
Issn:2676-1939
الإيداع القانوني: مارس 2019
Eissn: 2716-9057
Cognitive Center for Studies and Research
مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات
Cognitive Center for Studies and Research
مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات
Issn:2676-1939
Légal deposit: March 2019
Eissn: 2716-9057
مجلة مدارات تاريخية
Journal Of MADARAT TARIKHIA
المجلد: 03
العدد: 02
جوان 2021
Volume : 03
Issue : 02
june : 2021
مجلة مدارات تاريخية
مجلة دورية أكاديمية محكمة
تعنى بالبحوث والدراسات التاريخية
Journal Of Madarat Tarikhia
Reviewed Academic International
Periodical Magazine
For Historical And Researches Studies
مجلة مدارات تاريخية
مجلة مدارات تاريخية

مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات

مجلة مدارات تاريخية

دورية دولية محكمة ربع سنوية

تعنى بالبحوث والدراسات التاريخية

المجلد الثالث – العدد الثاني – جوان 2021

الرقم الدولي للمجلة ردمد: 2676-1939

الإيداع القانوني: مارس -2019

ترسل جميع المراسلات إلى رئيس هيئة تحرير مدارات تاريخية
العنوان الالكتروني:
madaratmagazine@gmail.com
حساب المجلة عبر البوابة الوطنية للمجلات العلمية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/654

التعريف وأهداف المجلة

التعريف بالمجلة

مجلة علمية دولية محكمة متخصصة في الدراسات التاريخية، تصدر دوريًا عن مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين من مختلف جامعات الوطن وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين من مختلف الدول العربية والأجنبية (تونس- المغرب- موريطانيا- ليبيا- الامارات- فرنسا- العراق- فلسطين- مصر...) وتصدر المجلة بصفة ربع سنوية مرة كل أربعة أشهر، مع امكانية صدور أعداد خاصة ببعض القضايا والدراسات التي قد تطرح من طرف ادارة المجلة وهيأتها العلمية. اهتمامات المجلة وأهدافها: مجلة مدارات تاريخية عبارة عن مجلة متخصصة في الدراسات والأبحاث التاريخية الجادة، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات الدراسات التاريخية، تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي

أهداف المجلة:

- الاهتمام بالدراسات التاريخية عموما وتاريخ الجزائر خصوصا الحافل بالأحداث والإنجازات الحضارية .
- -نشر المقالات ذات القيمة العلمية في شتى حقول المعرفة التي تتيحها المجلة.
- -السماح للباحثين من أساتذة وطلبة دكتوراليين من النشر وفتح آفاق الكتابة التاريخية وفق المناهج الجديدة
- -السعي للارتقاء بالأبحاث العلمية وبلوغ مصاف مؤشرات الجودة والتميز.

الهيئة العلمية الاستشارية

هيئة تحرير مجلة مدارات تاريخية

كلـــــمة العـــــــــــدد

بسم الله الرحمن الرحيم

بالرغم من كل ما قد يوجه من انتقادات إلى المجلات العلمية الوطنية في الجزائر إلا أنه لا يمكن أن ننكر تلك الطفرة التي عرفتها من حيث الكم والنوع، فمنذ سنوات قليلة كان عدد المجلات العلمية قليلا جدا، ولا يتناسب مطلقا مع العدد الهائل للباحثين الراغبين في النشر.

ظهرت مجلة مدارات تاريخية كمحاولة جادة لجمع شمل الباحثين في التاريخ والتراث لتقديم أعمالهم، وهي تسير بخطى حثيثة لتحقيق أهدافها التي سطّرتها منذ ظهورها والقائمة على تثمين الأعمال الجادة ونشرها دون محاباة.

إن مجلة مدارات تاريخية التي يديرها ويشرف عليها طاقم شاب وحيوي تبعث الأمل في نفوس الباحثين الجادين، وتبعث في البحث العلمي ببلادنا روحا ونفسا جديدا ملؤها التنافس العلمي والصبر على مصاعب البحث ومعوقاته.

لا زالت هذه المجلة الفتية تشق خطاها نحو التصنيف والعالمية، وأنا متيقن أنها لو سارت بنفس النهج فسيُكلّل ذلك بتتويجها بالتصنيف والعالمية قريبا بحول الله تعالى.

ويعلم الجميع ما يعانيه البحث التاريخي في بلادنا، وأن النشر لم يعد في الغالب إلا لتسويات إدارية، ولكننا نأمل أن يتغير هذا الواقع قريبا مع وجود النيات الصادقة للدفع بعجلة البحث العلمي التاريخي، وتعريف العالم بأقلام جزائرية جادة ونشيطة همها الوحيد نشر أبحاث جديدة وجادة تقدم صورة مشرقة عن الجامعة الجزائرية.

وفي هذا العدد تنشر مجلة مدارات تاريخية مجموعة جديدة من المقالات لباحثين من مختلف مناطق الجزائر بل حتى من عدد من البلدان العربية، لتثبت مرة أخرى أنها مجلة مفتوحة أمام الجميع دون تمييز وتخطو بهدوء لتصنع لنفسها اسما محترما

وسط مئات المجلات العلمية.

ففي هذا العدد يعيد باحث من تونس معالجة حركة سعادة الرياحي، ويدرس باحثان دور الولاية الرابعة في دعم وتنظيم الولاية السادسة، ويعالج باحث من المغرب موضوع الماء وتدبير ندرته، ويوضح باحث اخر مساهمة نادي النجاح في بلعباس،وتسلط باحثة من تونس الضوء على الثقافة والممارسة الثقافية، ويحاول باحث اخر توضيح اثر الحرب العالمية الثانية على المغرب الاقصى،، وتعود باحثة لمساهمة الاوقاف في تمويل التعليم بالجزائر العثمانية، ويكشف باحثان من جديد عن اهمية الارشيف في تاريخ المغرب المعاصر، ويوضح باحث علاقة الامير ارسلان بشمال المغرب، كما تقدم باحثة مفهوما للتحديث عند النخبة الفكرية العربية، ويقوم باحثان بكشف النشاط الاصلاحي لجمعية العلماء في منطقة بريكة، واخيرا اختار باحث الخوض في تاريخ مصر القديمة لمحاولة توضيح وسائل النقل في تلك المرحلة التاريخية.

تحتاج جامعاتنا الى تظافر جهود المخلصين لتقف على رجليها وتخرج من وضعها البائس بفضل البحث العلمي واعادة الاعتبار للجدية والتميز وهو ما نأمله دائما لهذه المجلة الفتية.

وفي الاخير نرجو لهذه المجلة لفتية الجادة الاستمرار في العطاء العلمي، ونامل ان نجدها يوما تحتل مكانتها ضمن المجلات الرائدة في العالم العربي.

أ.د/ فارس كعوان

جامعة محمد لمين دباغين/ سطيف

الفهـــرس

وسائل النقل في مصر القديمة

"رؤية في السفينة خلال مرحلة الدولة الحديثة ".

Means Of Transportation In Ancient Egypt "A Vision In The Ship During The Stage Of the modern state"

بلعياس محفوظي(*)[1]،
[1] جامعة عمار ثليجي "الأغواط"، abassalgeria@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/05 **تاريخ القبول:** 13 /2021/06 **تاريخ النشر:** **2021/06/30**

ملخص:

وصفت العديد من الكتب التقنيات لبناء القوارب والسفن المختلفة في مصر القديمة، تقنيات استخلصت من صور وفيرة لأنواع السفن المستخدمة في العصور الفرعونية، ومشاهد لمقابر ومعابد أصبحت مصدرًا دقيقًا للعديد من التفاصيل الفنية لسفن الشحن والبضائع المستخدمة في نهر النيل و البحر المتوسط وكذا البحر الأحمر.

وهذا البحث يهدف إلى معرفة صناعة وأنواع السفن خلال مرحلة الدولة الحديثة 1570-1085ق.م، لكونها تطورت خلال هذه الحقبة ووصلت الى مرحلة عالية من مراحل التطور الهائل نتيجة ما لحق بحاجيات المجتمع المصري الدينية والدنيوية، والثروات التي تدفقت عليها في تلك الفترة.

الكلمات الدالة: وسائل النقل، الدولة الحديثة، المراكب، الورشة، صناعة السفن، مصر القديمة.

Abstract:

Many books describe techniques for building various boats and ships in ancient Egypt, techniques drawn from abundant images of the types of ships used in Pharaonic times, and scenes of tombs and temples that became an accurate source for many of the technical details of

(*) المؤلف المرسل: بلعباس محفوظي: **abassalgeria@gmail.com**

cargo ships and goods used in the Nile, the Mediterranean, and the Red Sea.

This research aims to know the manufacture and types of ships during the stage of the modern state 1570-1085 B.C., because they developed during this era and reached a high stage of massive development as a result of what happened to the religious and worldly needs of Egyptian society, and the wealth that flowed to it in that period.

Keywords: Transportation, The New Kingdom, Boats, Workshop, Shipbuilding, Ancient Egypt.

1. مقدمة:

كان لزاما على المصريين القدماء أن يجدوا وسيلة مناسبة ليعبروا بها نهر النيل من شاطئ الى شاطئ أو ليرتحلوا على صفحته من اقصى الشمال الى الجنوب أو العكس، فوجدوا في ضالتهم بالقوارب المصنوعة من ورق البردي الذي كان ينموا على ضفاف نهر النيل وفي أحراشه، ليقومو بعد ذلك بصناعة القوارب الكبيرة والمتوسطة معتمدين على بعض الأخشاب المحلية الصالحة لذلك الغرض.

ونظرا لأن مصر من البلاد الفقيرة في الثروة الخشبية كانوا يحتاجون الى انواع اخرى من الأخشاب أكثر جودة وصلابة وملائمة لصناعة المراكب الأكبر حجما لذلك قاموا باستيراد تلك الاخشاب من الساحل الفينقي، وهنا تمكن المصريون من بناء السفن بكافة أنواعها بحيث بلغت أفضل مراحلها في عصر الدولة الحديثة تحديدا عصر الأسرة الثامنة عشر الذي يعد العصر الذهبي للبحرية المصرية، وهنا نطرح مجموعة من التساؤلات نحاول الاجابة عليها في البحث: كيف كانت تقنيات إنشاء السفن خلال مرحلة الدولة الحديثة؟ وماهي أنواع السفن المستعملة ؟.

2. السفينة في الدولة الحديثة

يعتبر عصر الأسرة الثامنة عشرة قمة العصر الذهبي للبحرية ولصناعة السفن في مصر القديمة، ويتميز بصفة عامة بكثرة بناء واستخدام الأساطيل الضخمة لمختلف أنواع السفن من حربية وتجارية وناقلات الأحجار والمثقلات الكبيرة، بل وبنيت في ذلك سفن تجاوزت حمولتها أكثر من ألفي طن [1] .

حيث سجلت صناعة السفن خلال هذه الفترة درجة مرموقة من التطور والتقدم بسبب اتساع أرجاء مصر (**أنظر الخريطة رقم:1**)، وحرص ملوك هذا العصر خاصة بعض ملوك الأسرة الثامنة عشر على دعم نفوذها العسكري في كافة أرجاءها وتأكيد سيطرتها على البحرين الأحمر والمتوسط، خاصة الساحل الفينيقي وبعض الجزر منها جزيرة كريت وقبرص، وكذلك لتأمين تجارتها الخارجية مع إقليم غرب آسيا وبلاد البونت، ولعل خير دليل على ذلك ما حققته هذه الصناعة من تقدم، ما أقدم عليه تحتمس الثالث خلال مرحلة الإعداد لحملته العسكرية التي كانت تهدف إلى توسيع نطاق مصر الى منطقة الفرات، إذ قام بتصنيع أجزاء السفن الضرورية لهذه الحملة في "ميناء جبيل" بفينيقية، ثم حملها برا على عربات إلى "قرقميش"، حيث تم تركيبها لتحمل جيشه الكبير عبر الفرات، وهذه كانت أول مرة تحمل فيها سفن برا لمسافة نحو 250 ميل، كما كانت أول مرة تستخدم فيها السفن لعبور نهر واسع كنهر الفرات وهي محملة بقوة عسكرية كبيرة[2].

كما اهتم الملك "تحتمس الثالث" بمدينة منف التي اتخذها مركزا للأسطول المصري، وتشير النصوص إلى أنها كانت مقر ولي العهد "أمنحوتب الثاني" الذي كان مسؤولا عن مراقبة توزيع الأخشاب الخاصة بصناعة السفن الموجودة في "برو–نفر"، والجدير بالذكر أيضا قد تم إنشاء مراكز أخرى للبحرية المصرية في هليوبوليس، وفي "قنتير و طيبة"، عندما اتسعت الإمبراطورية المصرية أكثر[3].

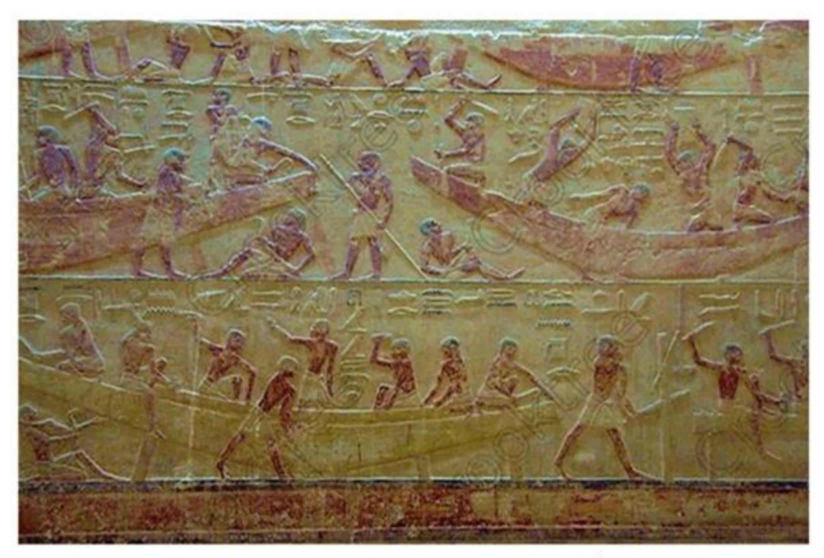


خريطة رقم1: خريطة تبين الحدود الجغرافية لمصر خلال مرحلة الدولة الحديثة

Cynthia klingel And Robert B.Neyed,**Ancient Egypt**,United States of America,2003,**p4.**

1.2. تقنيات إنشاء السفن:

وصفت العديد من الكتب التقنيات المختلفة المعتمدة عليها في مصر في بناء القوارب والسفن (**انظر الشكل**:1)، تقنيات استخلصت من صور وفيرة لأنواع السفن المستخدمة في العصور الفرعونية، مشاهد في مقابر ومعابد أصبحت مصدرًا دقيقًا للعديد من التفاصيل الفنية لسفن الشحن والبضائع المستخدمة في نهر النيل، وكذلك للسفن البحرية المستخدمة في البحر المتوسط والبحر الأحمر، بالإضافة إلى عدد من نماذج القوارب التي تركت في المقابر لاستخدامها في الحياة الآخرة، كما تم اكتشاف عدد من القوارب الفعلية في مصر القديمة والتي أضافت دراستها الكثير من المعلومات في فهم تقنيات صناعة السفن المصرية القديمة.



الشكل رقم 1 : توضح مشهد لعمال منهمكين في بناء السفن(ورشة إنشاء السفن)
Lionel Casson ; Illustrated history of ships & boats, Ed. Copyright, New York, 1964, p22.

وحتى يمكن الوفاء بهذه الاحتياجات البحرية الضخمة وهذه الأعداد المتزايدة من السفن الكبيرة توسعت الدولة في إنشاء وتدعيم ترسنات بناء السفن التي كانت منتشرة ببعض مناطق مجرى النيل وسواحل البحر الأحمر(4) ، لذا اهتم "تحتمس الثالث" بمدينة منف التي اتخذها مركزا للأسطول المصري والتي أصبحت قاعدة بحرية عامة للقوات البحرية المصرية وأطلق عليها "برو–نفر"(الميناء الجميل)(5) ، وبهذا أصبح هذا الميناء هاما في هذه الفترة بأهميته التجارية والعسكرية(6).

وهذه القاعدة كانت لا تبتعد كثيرا عن موانئ ساحل الدلتا، وقد سجلت بردية رقم 10056 الموجودة بالمتحف البريطاني نشاط بناء السفن في "برو–نفر" خلال عصر الملك تحوتمس الثالث فذكرت فيها عملية تجارة السفن وكذا أنواع الخشب المعتمد وأحواض بناء

السفن التي يعمل فيها نجارين متخصصين يمكنهم إنشاء أو صناعة قارب في سبعة عشر يومًا [7].

لقد تطورت صناعة السفن وعملت على أن تلائم عصرها والثروات التي تدفقت على مصر في تلك الفترة، فتفنن بناؤو السفن في عمل أنواع مختلفة، منها ذات قمرات مزركشة وأعلام، كما نوعوا أيضا في أشكال القوارب والسفن، وجعلوا مؤخرتها على شكل زهور البردي، وجروا على الطلاء هذه السفن بألوان براقة[8] ، وأصبح في هذه المرحلة الشراع مستطيل الشكل وكذلك كثرت وتعددت الزخارف وتحولت المقصورة إلى ما يشبه البيت الصغير تزين ببعض الأعمدة الرشيقة البديعة الصنع[9].

كان بناء وانشاء السفن يتم وفقا لمعايير محددة وقواعد أساسية لم تختلف كثيرا عن تلك القواعد في عصر الدولة الوسطى ولكنها حظيت ببعض التطور نتيجة تراكم خبرات المصري القديم في صناعة السفن، وكان يتم الإشراف على تنفيذ تلك القواعد والمعايير بواسطة المشرف العام على ورش صناعة السفن في الترسانة الملكية، حيث كان يتم إرسال الأبعاد المطلوبة وقطع الأخشاب اللازمة إلى ورش التصنيع ومن ثم يتم تصنيع الأجزاء المطلوبة وفقا للترتيب المرسل[10].

كما اتخذت السفن أشكالا عديدة بحيث شكلوا مقدمة ومؤخرة كل سفينة بشكل أو طراز معين، منها ماأخذ أشكال حيوانية مثل الكباش أو الأسود ومنها ماأخذ هيئة رؤوس الطيور مثل الصقور وهناك طراز آخر أخذ أشكال نباتية مثل اللوتس والبردي، ويبدوا أن بعض هذه الرؤوس كانت تشكل من قطع خشبية منفصلة يتم تعشيقها بهيكل السفينة بوصلات مختلفة، وقد اتجه بعضها بوجهه ناحية ظهر السفينة بينما اتجه الآخر للأمام وأظهر الصناع تفاصيل هذه الأوجه بكل اتقان وحرفية[11].

أما عن الأدوات المستخدمة في عصر الدولة الحديثة فهي لم تختلف كثيرا عن أدوات صناعة السفن في عصر الدولة الوسطى، فقد استخدم الصناع المطارق والبلط والأزاميل

والمناشير وكانت جميعها مزودة بمقابض خشبية كما استخدمت أيضا المطارق الخشبية والمثاقب، وقد تم استخدام الخشب المحلي مثل خشب الجميز والصمغ والخشب المستورد مثل خشب الأرز والسدر[12].

ومن كثرة أعداد السفن التي استخدمتها الدولة في الأغراض العامة المختلفة ظهرت وظيفة كبيرة جديدة هي "القائم بأعمال إحصاء السفن"، كما كان من المعتاد أن يطلق على كل سفينة اسم يميزها عن بقية السفن الأخرى مثل: "الصقر" و"المتقدمة" و"المضيئة في منف"...الخ[13] .

3.أنواع السفن:

1.3. السفن الحربية:

اعتمد المصريون على عدد أكبر من الأخشاب لاستخدامها في بناء السفن البحرية الحربية، وقد عثر الأثريون على سفن مصنوعة من ألواح الأرز المجلوب من بلاد الفينيقيين، كانت متصلة بواسطة نقر مفتوح ومفاصل لسان، وهي طريقة للبناء تتطلب أن يكون الهيكل أكثر سماكة، إذ يتم تثبيت الأضلاع في الداخل وتُحيط بها طبقات من ورق البردي أو غيرها من المواد النباتية التي سمحت لهذه الطريقة بتفكيك السفينة، وهو إجراء يستخدم لنقل السفن عبر الصحراء إلى البحر الأحمر، أي إلى وادي الجواسيس حيث الكهوف كانت تستخدم هناك لتخزين أجزاء من السفن [14].

استعملت هذه السفن الحربية في العديد من النشاطات العسكرية، منها ما ذكر في سيرة القائد أحمس بن أبانا، الذي قضى جل حياته المهنية في خدمة الأسطول المصري، وصف فيها المعارك الحربية البحرية في النوبة وأفاريس، كما استخدمت ضد شعوب البحر وذلك ما جاء في المعبد الجنائزي لرمسيس الثالث[15].

وعلى الرغم من التاريخ الطويل للسفن الحربية المصرية، فإن أول تصوير واضح لهذه السفن يعود إلى عهد رمسيس الثالث في مدينة "هابو"، حيث جاء وصفها بأنها تنتهي

بهيكل السفن النهرية التقليدية "أي على شكل ملعقة"، على الرغم من أن شكلها الإجمالي ما زال منحنيًا في الواقع، وتمثل التغييرات التي تطرأ على بدن السفينة وأشرعتها مرحلة وسيطة بين التقاليد المصرية المتمثلة في بناء السفن وتقليد حرفة البحر المتوسط " الأكثر شيوعًا" إذ تأثروا بسفن بلاد فينيقيا أو بحر إيجة أو كريت، وتم تعزيز معظم السفن المصرية المبكرة بحلقات حبل ملفوفة حول الهيكل، بالإضافة إلى حبال كبيرة تمتد على طول السفينة من الجذع إلى مؤخرة السفينة لمنع "التعقيد"، كما بنيت سفن رمسيس الثالث ببنية داخلية أقوى قد تمثل المستطيلات الصغيرة التي تعمل أسفل العارضة النارية نهايات الحزم المتقاطعة التي تربط وتعزز جوانب السفينة[16].

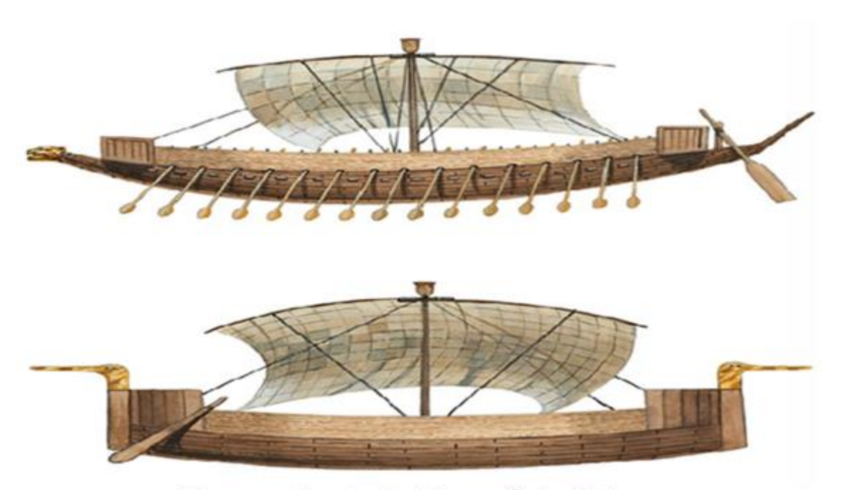
هذه المراكب الشراعية الكبيرة كان يقودها صف من المجدفين أو صفان في بعض الأحيان، فيشدون بقوة على المجاديف عند ميسرة السفينة وميمنتها بينما تتعالى أغانيهم، وقد يصل طولها إلى 60 مترا، وتنساب على صفحة نهر النيل أو تجري عبر الشديدة الاخضرار، أو تبحر بمحاذاة الشاطئ مدفوعة بالرياح التي تنفخ في الشراع العريض الذي يتخذ شكل المعين المنحرف والمثبت على عارضتين والمرفوع على سارية مزدوجة أو بسيطة، ويتحكم في السفينة من الخلف حبلا الرفع، ويعتمد توجيه السفينة إما على مجداف واحد في المؤخرة أو على مجدافين طويلين وعريضين، واحد على كل جانب من جانبي كوثل السفينة، وقد وضعا فوق شوكة تتحرك كالرافعة، وكان الربان يرفع أحدهما بواسطة حبل، ولا يعرف شيء عن التجهيزات الداخلية للمراكب، فكل ما يعرف عنها عن طريق التصاوير أو النماذج المصرية المصنوعة من الخشب، أو الفينيقية المصنوعة من الصلصال، ولكنها ليست سوى نماذج مصغرة لأنها تبرز سوى الخطوط العامة لما تصوره[17] .

ومن هذه النماذج ما هو معروض في المتحف المصري بالقاهرة، نموذج مصنوع من الخشب لسفينة حربية من الأسطول المصري في عهد الدولة الحديثة منقول من السفن المرسومة على جدران معبد الدير البحري، ومنه يمكن معرفة تفاصيل السفن الحربية المصرية

القديمة والوقوف على دقائقها، فالبوارز الظاهرة في طول النموذج هي الأضلاع الجامعة للجانبين الضابطة لسطح السفينة كما أن هذا السطح مركب من عشرين لوحا ومثبت بدسر فيها مقاعد للجدافين، كل عشرة منهم في جنب وليس لها دقل"صار" ولا أدوات ولا ملاحون، ولم يبق في مؤخرتها إلا قائمة من ذان قرن يوضع المجداف بها، وكان يستعمل بدل الدفة، ثم بقايا لمواقف الرؤساء والمجدوفين، وتوجد بالمتحف سفينة أخرى من هذا النوع أكبر حجما وفي كل جانب منها ثمانية عشر مجدافا، ولا يزال باقيا في مؤخرها قسم من جوانب المقعد من القائمين ذواتي القرون اللتين كانت توضح فيها الدفة (**انظر الشكل رقم:2**)[18].

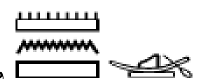
والظاهر أن الأسطول الحربي كان يتكون من سفن كبيرة تسمى"دبت عات" كانت منها سفن يبلغ طولها نحو 50 مترا [19] ، هذه السفن المصرية التي استخدمت لتحقيق هذه الأغراض الحربية لم تكن سفنا حربية بالمعنى المفهوم لتلك التسمية النوعية، أي أنها لم تصمم لكي تكون مؤهلة للقيام بعمليات ومعارك حربية بحرية، وإنما كانت في الأصل سفنا لنقل المجهود الحربي من رجال وجنود وأسلحة وعتاد ومواد غذائية وخيول ومركبات حربية وغيرها(**انظر الشكل رقم:3**)([20]).

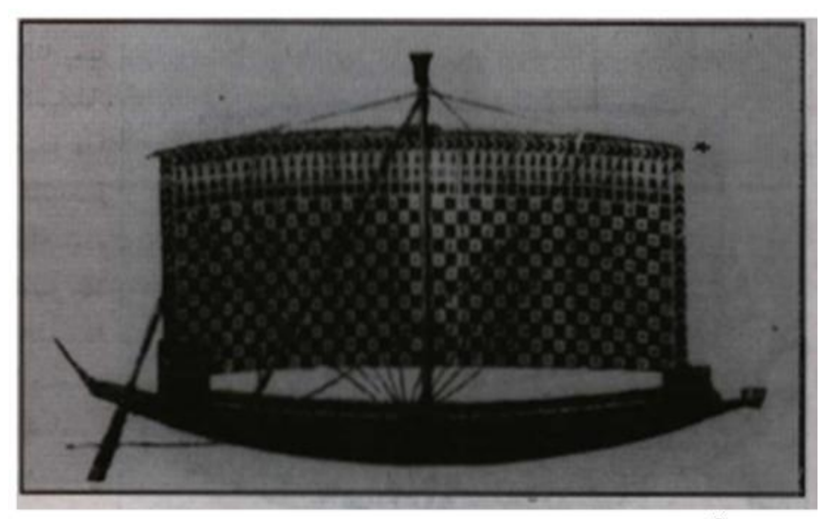
والأجزاء التي صنعت منها السفن الحربية كانت من خشب الصنوبر حيث صنع به الصاري والذي كان يعلوه عش عسكريا و"عش الغراب"، إذ كانت مهمته الإغاثة عند الحرب، كما صنع به عصاة لتوجيه المجاذيف، كما وضعت في السفن الحربية "القلاع" الصغيرة أو الطوابق المحاطة بالحصى في ما بين القوس والقوس وقد وفرت هذه الارتفاعات الحماية المتزايدة لمشاة البحرية في المؤخرة ، كما صنع به أيضًا مقعد للقائد إذ بها يتم حماية المجذفين من ضربات العدو ضربات العدو[21].



الشكل رقم 2 :بعض السفن التي استعملها رمسيس الثالث
Adrian k wood, Warships Of The Ancient World:3000-500Bc, P9.

وكانت للسفن للحربية المستخدمة في الحملات والمعارك الحربية أسماء خاصة بها وتشير تسميتها إلى إحدى المناطق الجغرافية في فينيقيا منها ، *skty* وتشير في تسميتها أيضا إلى كلمة القوات، وهناك سفينة ظهرت ابتداءا من الدولة الحديثة *br (b3yr)* تم استخدامها في معارك رمسيس الثالث الحربية، ضد شعوب البحر، وكانت سفينة بحرية من الدرجة الأولى وحجما انسيابي ماياناسب لحمولة الجنود والضباط ولسهولة المناورات، وظهرت أيضا خلال الدولة الحديثة *mk* ويعني إسمها القوية أو سفينةالصارمة ويعني أيضا الحامية أو المحمية من ضربات الأعداء وهي من سفن الملاحة البحرية، التي استخدمت لطرد الهكسوس، وهناك سفينة،هي احدى السفن التي ظهرت ابتداءا من الدولة الحديثة خاصة *mnš*

 في عصر الأسرة الثامنة عشرة، وفي بداية ظهورها كان يتم استخدامها في أغراض الملاحة البحرية، واستخدمت أيضا في الحملات العسكرية التي قام بها ملوك الدولة الحديثة خاصة في فينيقيا، وحجمها وصل إلى 100 ذراع أي 50 متر، وإرتبط إسمها *mnš* بعدة ألقاب خاصة ببحارتها منها:. *hry pdt، hry mnš،iswt mnš* [(22)].



الشكل رقم 3 :طراز السفن البحرية السريعة التي كانت تستخدم غالبا في نقل الجنود والاشتراك في المعارك البحرية في عصر الدولة الحديثة.
مختار السويفي،من تاريخ البحرية....،عدد92،المرجع السابق،ص36.

2.3. السفن التجارية:

عرفت مصر خلال الدولة الحديثة ازدهارا ملحوظا في نشاطها التجاري وهذا بطبيعة الحال انعكس بالإيجاب على تطور سفنها التجارية التي امتازت بمتانتها وضخامتها وازدياد طولها لتحوي الكثير من البضائع والسلع، حيث ذكرت النصوص القديمة أن أطول هذه

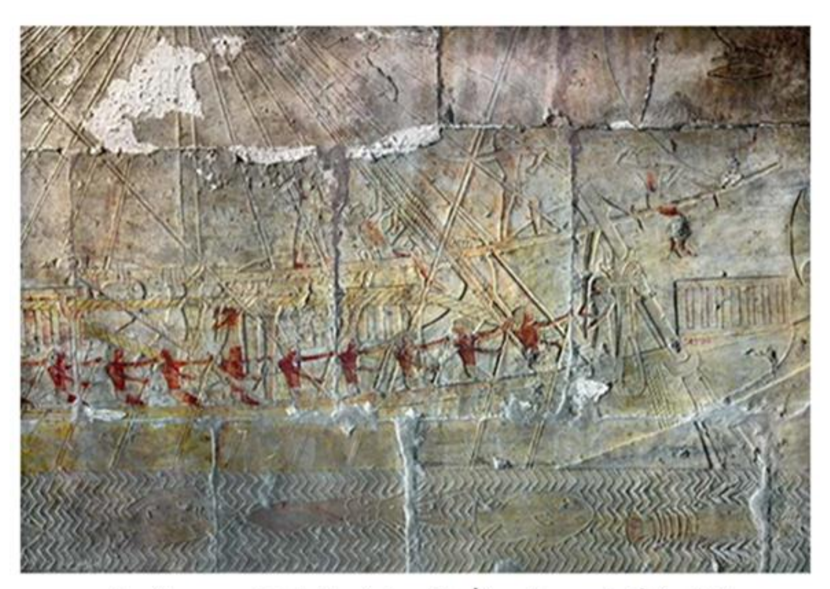
السفن بلغت حوالي 57 مترا في عصر الدولة القديمة، لتزداد في عصر الدولة الحديثة –عهد الملك تحوتمس الأول إلى 69 مترا[23].

أما أشهر المناظر التي صورت هذه السفن، هي المشاهد الموجودة بمعبد الدير البحري الذي أقامته الملكة حتشبسوت عندما قامت ببعثة تجارية نحو بلاد البونت [24] تتكون من خمسة سفن ربما لا يقل طولها عن سبعين قدما وعرضها ثمانية عشرة، أما عمقها فيتراوح ما بين أربعة أو خمسة أقدام أما عن صاريها فلا يستبعد أن يكون ارتفاعه يزيد عن سبعة وعشرون قدما(**أنظر الشكل:4**)[25]).

وصورت هذه السفن في أعالي البحر مازالت اثنتان منها راسيتين أما أشرعة الثلاث الأخرى فمفتوحة للريح، يمكن مشاهدة مقصورة القيادة بمسطحيها، أحدهما في المقدمة والآخر في المؤخرة القيدام والكوثل مرتفعان، السفينة بلا سطح ولها سارية واحدة وعدة أشرعة والدفة تتكون من مجدافين عريضين تحركهما من الخلف قطعة خشب معقوفة إلى الداخل[26].

أما عن طاقم هذه السفن، فكل سفينة منها مكونة من خمس عشر مجذفا كلا الجانبين أي ثلاثين مجذفا في السفينة الواحدة وبالتالي عدد مجذفي خمسة سفن سيكون مائة وخمسون مجدفا[27] يرافقهم ثمانية جنود وضباط [28].

وقد تم وضع حاملي الشراع في منتصف السفينة، حيث يتم تثبيته مباشرة في البدن النصف الدائري وزود بغطاء أمامي وغطاء خلفي يمثلان الشراع وكان ذلك يساعد في رفع وإنزال الشراع بسهولة حيث يتم إنزاله بالرافعات، وساعد نظام الشراع هذا وطريقة عمله بالحبال والرافعات سفن الملكة حتشبسوت أن تبحر في رحلتها بنصف جهد الرياح المطلوبة، ومن خلال أعداد المجاديف الموجودة والمسافة بين البحارة من طاقم السفينة حوالي(0.9 أو 1 متر) تقريبا، فإنه من المحتمل أن يصل طول السفينة التي سافرت إلى بلاد البونت من14 إلى 16مترا[29] .



الشكل 4:أنموذج من سفن رحلة حتشبسوت الى بلاد البونت من معبده الدير البحري.
محمد البيلي ،معبد حتشبسوت بالدير البحري،لومينا للنشر،جمهورية مصر العربية، 2011م،9

وهناك سفن لحمل الأثقال وهي تنقسم بدورها إلى السفن الكبيرة والسفن الصغيرة فأكبر سفينة من النوع الأول هي السفينة التي كانت تستخدم إما في النقل النهري مثل نقل الحجارة الضخمة من الجنوب إلى الشمال [30]ففي مناظر معبد الملكة حتشبسوت صور مشهد لسفينة كبيرة تحمل مسلتين من حجر الجرانيت وعلى الرغم من كبر حجم هذه السفينة، فإنها التزمت الشكل المعتاد للسفن المصرية أي بالمؤخرة العالية التي تنتهي على شكل باقة من زهور البردي، ومن المحتمل أن مثل هذه السفن كانت عبارة عن طوف متين، يمكن أن يتحمل الأحجام الكبيرة الثقيلة وقد راعى البناؤون أن يعطوه شكل السفينة في مقدمتها أو مؤخرتها ويبدو واضحا من صورة هذه السفينة أنها كانت مجهزة بثلاثة صفوف من العوارض الخشبية، لتمنع انبعاج جانبيها تحت ضغط الثقل الهائل الذي تحمله، وكان هناك في المؤخرة على كل جانب مجدافان كبيران يؤديان وظيفة الدفة، ولم تكن هذه السفينة مزودة

بمجاديف لتسييرها بل كانت تسحب بواسطة تسعين قاربا كبيرا، زود كل قارب بمجاديف عديدة وكان هذا العدد الكبير من القوارب مقسما إلى ثلاثة صفوف كل صف يحوى ثلاثين قاربا[31].

كما كانت هناك سفن لنقل كتل الأحجار كالجرانيت والديوريت والبازلت وغيره من المحاجر الواقعة على البر الشرقي مثلا أو البعيدة عن العاصمة عبر نهر النيل وكانت هذه السفن تتحمل حمولة تتراوح ثقل أحجارها ما بين 100طن وألف طن، سواء كان من قطعة واحدة أو عدة قطع وعليه يمكننا معرفة المقدرة الواسعة التي تميز بها صناع هذه السفن التي كان عليها نقل الأحجار من أسوان إلى الأقصر أو إلى الوجه البحري مثلا [32].

أما السفن الصغيرة المخصصة للنقل فقد وردت لها رسوم عديدة، منها ما وجد على جدران مقبرة "خامحت"، وقد مثلت أسطولا كاملا من هذه السفن يشمل 22 سفينة مرتين، مرة في الذهاب ومرة أخرى في الإياب، كما مثلت سفن أخرى مشابهة على جدران مقبرة "رخميرع" (تولى الوزارة في عهد الملك تحوتمس الثالث وأمنحتب الثاني) وهي تحمل أحجار بناء المعبد وقد رسمت سائرة إلى الكرنك، وغالبا ما ترى مثل هذه السفن وهي محملة بالمواشي والغلال، ففي مقبرة "حوى" مثلت ثمانية سفن، كل اثنتين منها تسير جنبا إلى جنب مع السفن الأمامية محملة بالمواشي، أما السفن الخلفية فهي محملة بالغلال، كما ترى بعض السفن من هذا النوع محملة بحزم سيقان البردي، وبشباك مملوءة بالفواكه وما إلى ذلك، وإلى جانب هذه السفن المخصصة للنقل فقط بعض سفن الأسفار التي كانت تستعمل أيضا لحمل المواد التي تستدعي سرعة نقلها كالأزهار والفواكه والخضر والأسماك وغيرها، وكان رؤساء الأملاك الخاصة يتجولون غالبا في هذه السفن متنقلين من مكان إلى مكان لجلب حاصلات الأراضي والأملاك وتحصيل الجزية وتقديمها للملاك أو الملك [33].

كما نجد سفن للسحب كما هو الحال في مصر الآن في حالة تكون فيها الرياح ضعيفة لا تساعد على سير المراكب، فيقومون بربط السفن المحملة بحبال ويأخذ عدد من الرجال في جرها وهم يسيرون على الشاطئ [34].

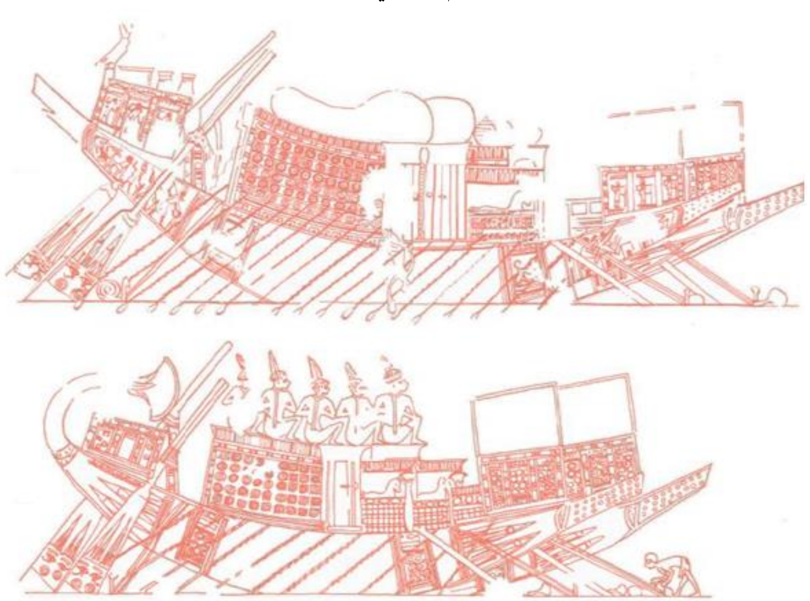
3.3. السفن الخاصة:

سفن خاصة بالأسفار، وهي مخصصة للأشراف يستخدمونها في رحلاتهم ، عبارة عن سفن شراعية طويلة من خشب الأرز على سطحها قمرة جدرانها من الحصير أو الكتان، يأوي إليها الشريف في رحلته وتتبعها عادة قوارب صغيرة من الخشب ينقل فيها الزاد ونحوه[35].

وقد وردت رسوم لها "بتل العمارنة" تمثل سفن الملك راسية أمام حديقة القصر، غير أن أحسن رسم لها تظهر فيه تفاصيل أجزاء السفينة هو الذي وجد في مقبرة "حوى" حاكم بلاد النوبة، وكانت تبنى عادة في وسط السفينة حجرة أو قمرة كما قلنا سابقا من الخشب تلون من الخارج برسوم هندسية بديعة كالمربعات مثلا، وكان لهذه الحجرة بابان في المعتاد وكانت تعد بشكل فاخر بحيث تحتوي على كل ما يلزم السيد في رحلته من أدوات على أنه بدلا من هذه الحجرة كان يكتفي أحيانا بأعمدة يطرح عليها قماش سميك أو نوع من السجاد ليحميها من الشمس والرياح ، وكان يوضع في مقدمة السفينة ومؤخرتها مظلات يجلس فيها السيد وأتباعه احيانا ليستمعوا بنسيم النيل وهم في مأمن من الشمس كما كانت تعد أماكن أخرى للخيول وغيرها (**انظر الشكل:5**)[36].

كما كانت سفن خاصة بالمعابد فمرسوم "نورى" من عهد سيتي الأول ومرسوم إليفانتين من عهد رمسيس الثالث، إنما تشير إلى أنه ليس من حق الموظفين الملكيين التدخل بأية وسيلة في شؤون السفن الخاصة بالمعابد، والتي تستطيع أن تمر حرة دونما أي قيد، وأنه لا يجوز الاستيلاء على هذه السفن أو بحارتها وتكليفها بأداء أي عمل[37]، أما النوع الآخر من السفن الخاصة فهي عبارة عن مراكب دينية صممت في شكل نماذج مصغرة لمراكب كانت

تلحق بالمقبرة تستخدم لنقل أوراح الموتىإلى العالم الآخر[38] ، وكانت تشبه المراكب التي يستخدمها إله الشمس في رحلته إلى العالم السفلي .[39]



الشكل رقم 5: منظر من مقبرة "حوى" يمثل مركب مزخرف
أميرة عبد الفتاح حسن،وسائل النقل والمواصلات في مصر القديمة،2018،ص142.

4. خاتمة:

وبعد هذا العرض نصل الى نتائج تالية:

سجلت صناعة السفن خلال فترة الدولة الحديثة درجة مرموقة من التطور والتقدم بسبب اتساع أرجاءها، وحرص ملوك هذا العصر خاصة بعض ملوك الأسرة الثامنة عشر على دعم نفوذها العسكري وتأكيد سيطرتها على البحرين الأحمر والمتوسط، وبالاضافة الى تأمين تجارتها الخارجية مع إقليم غرب آسيا وبلاد البونت.

بسبب الاحتياجات البحرية الضخمة والأعداد المتزايدة من السفن الكبيرة توسعت الدولة في إنشاء وتدعيم ترسنات بناء السفن التي كانت منتشرة ببعض مناطق مجرى النيل

وسواحل البحر الأحمر، نذكر منها مدينة منف حيث سجلت بردية رقم 10056 الموجودة بالمتحف البريطاني نشاط بناء السفن في منف خلال عصر الملك تحوتمس الثالث فذكرت فيها عملية نجارة السفن وكذا أنواع الخشب المعتمد وأحواض بناء السفن التي يعمل فيها نجارين متخصصين يمكنهم إنشاء أو صناعة قارب في سبعة عشر يومًا.

تطورت صناعة السفن خلال الدولة الحديثة وعملت على أن تلائم عصرها والثروات التي تدفقت على مصر في تلك الفترة، فتفنن بناؤو السفن في عمل أنواع مختلفة، منها ذات قمرات مزركشة وأعلام، كما نوعوا أيضا في أشكال القوارب والسفن، وجعلوا مؤخرتها على شكل زهور البردي، وجروا على الطلاء هذه السفن بألوان براقة، وأصبح في هذه المرحلة الشراع مستطيل الشكل وكذلك كثرت وتعددت الزخارف وتحولت المقصورة إلى ما يشبه البيت الصغير تزين ببعض الأعمدة الرشيقة البديعة الصنع، إذن تتم توفقا لمعايير محددة وقواعد أساسية لم تختلف كثيرا عن تلك القواعد في عصر الدولة الوسطى.

اتخذت السفن المصرية أشكالا عديدة حيث شكلوا مقدمة ومؤخرة كل سفينة على طراز معين، منها ماأخذ أشكال حيوانية مثل الكباش أو الأسود ومنها ماأخذ هيئة رؤوس الطيور مثل الصقور وهناك طراز آخر أخذ أشكال نباتية مثل اللوتس والبردي، ويبدوا أن بعض هذه الرؤوس كانت تشكل من قطع خشبية منفصلة يتم تعشيقها بهيكل السفينة بوصلات مختلفة، وقد اتجه بعضها بوجهه ناحية ظهر السفينة بينما اتجه الآخر للأمام وأظهر الصناع تفاصيل هذه الأوجه بكل اتقان وحرفية.

5. قائمة المراجع:

- ابراهيم رزقانه، واخرون، **حضارة مصر والشرق القديم**. مصر، دار مصر للطباعة،(**د . ط**)، (**د . ت**).
- أحمد رشاد موسى، **دراسات في مصر الإقتصادي**. مصر، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، (**د . ط**)، مصر، 1997م.

- أسامة بسيوني السيد الدمنهوري، **الأسطول الحربي في مصر القديمة "منذ عصر الانتقال الأول حتى نهاية العصر البطلمي**، مذكرة ماجيستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، 2016م.
- أمال صفوت الألفي، **متحف مركب خوفو**، المجلس الأعلى للآثار،(**د . ط**)، مصر، 1997.
- جورج هارت، **الحضارة المصرية القديمة**، نهضة مصر للطباعة للنشر والتوزيع. (**د . ط**)، مصر، 2007م.
- جي راشيه، **الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية**، المجلس الأعلى للثقافة، (**د . ط**)، مصر، 2006.
- صدقي ربيع، **المراكب في مصر القديمة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (**د . ط**)، 1992م.
- غربال محمد شفيق واخرون. **تاريخ الحضارة المصرية**، مج1، مكتبة النهضة المصرية، (**د . ط**)، (**د . ت**). القاهرة.
- كريستيان ديروش نوبلكور، **حتشبسوت "عظمة وسحر وغموض"**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (**د . ط**)، القاهرة، 2005.
- كلير لالوليت، **طيبة أو نشأة إمبراطورية**، تر: ماهر جويجاتي، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،(**د . ط**)، القاهرة، 2005.
- كلير لالويت، **الفراعنة إمبراطورية الرعامسة**، تر:ماهر الجويجاتي طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،ط1، مصر، 2009.
- محرم كمال، **تاريخ الفن المصري القديم** ، مكتبة مدبولي،ط1، القاهرة، 1991م.
- محمد رأفت عباس، **الجيش في مصر القديمة، عصر الدولة الحديثة 1550–1069ق م**، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(**د . ط**)، القاهرة، 2016م.

- مختار السويفي، **مصر القديمة أول سيدة بحار في تاريخ العالم**. مجلة المدير الناجح، ع108، 2005.
- مختار السويفي، **من تاريخ البحرية وصناعة بناء السفن**، مجلة المدير الناجح، ع90، 2000.
- مختار السويفي، **من تاريخ البحرية وصناعة بناء السفن**، مجلة المدير الناجح، ع90، 2000.
- Vinson, S,Boats (Use of) , UCLA Encyclopedia of Egyptology, 2013.
- Šichan, D, Přístavy Ve Starém Egyptě, Harbours In Ancient Egypt. Praze: Český Egyptologický ústav,2011.
- Sodebergh, T,The Navy Of The Eighteenth Dynasty,uppsala 1946.
- Wood, A. K ,War Ships Of The Ancient World 3000–500 BC, OspreyGreat, Britain,2012.
- M.R.Well. la fin De Moyen Empire Egyptien, Journal Asiatique,1917.
- Casson, l. ,illustrated History Of Ships Boats. United States Of America,1964 .
- F.Griffith, The Abydos Decree Of seti I At Nouri, 1927
- Vanhulle, D, Boat Symbolism In Predynastic And Early fynastic-Egypt:An Ethno-Archaeological Approach. Journal Of Ancient Egyptian Interconnections,2018.

6. هوامش:

(1)-مختار السويفي، **مصر القديمة أول سيدة بحار في تاريخ العالم**. مجلة المدير الناجح، ع108، 2005، ص28.

(2) -أحمد رشاد موسى، **دراسات في مصر الإقتصادي**. **مصر**، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، (**د . ط**)، مصر، 1997م، ص248.

(3) - محمد رأفت عباس، **الجيش في مصر القديمة، عصر الدولة الحديثة** 1550-1069ق م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (**د . ط**)، القاهرة، 2016م، ص93.

(4). مختار السويفي، **من تاريخ البحرية وصناعة بناء السفن**، مجلة المدير الناجح، ع90، 2000، ص29.

(5) Šichan, D, Přístavy Ve Starém Egyptě, Harbours In Ancient Egypt. Praze: Český Egyptologický ústav,2011,p96.

(6)- Sodebergh, T,TheNavy Of The Eighteenth Dynasty,uppsala 1946, p37.

(7)- Wood, A. K ,War Ships Of The Ancient World 3000–500 BC, OspreyGreat, Britain,2012,p7.

(8)- غربال محمد شفيق واخرون. **تاريخ الحضارة المصرية**، مج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (**د . ط**)، القاهرة، (**د . ت**)، ص469.

(9) -جي راشيه، **الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية**، المجلس الأعلى للثقافة، (**د . ط**)، مصر، 2006، ص434.

(10) -أسامة بسيوني السيد الدمنهوري، **الأسطول الحربي في مصر القديمة "منذ عصر الانتقال الأول حتى نهاية العصر البطلمي**، مذكرة ماجيستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، 2016م، ص72.

(11)-نفسه، ص83 .

(12)- نفسه، ص89.

(13) -مختار السويفي، **من تاريخ البحرية** ...، ع90، 2000، ص29.

(14)- Wood, A. K,op-cit, 7-8.

(15) Vinson, S,Boats (Use of), UCLA Encyclopedia of Egyptology, 2013, p5.

(16) Wood, A. K,op-cit, 7-8.

(17)– كلير لالويت، **الفراعنة إمبراطورية الرعامسة**، تر:ماهر الجويجاتي، طبع بالهئية العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، مصر،2009، ص109.

(18)– صدقي ربيع، **المراكب في مصر القديمة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، مصر، 1992م، ص17-18.

(19)-M.R.Well. la fin De Moyen Empire Egyptien, Journal Asiatique 1917,p247.

(20)- مختار السويفي، **من تاريخ البحرية وصناعة بناء السفن**، مجلة المدير الناجح، ع90، 2000، ص28-29.

(21)- .Wood, A. K,op-cit, 7-8

(22)- أسامة بسيوني السيد الدمنهوري، المرجع السابق، ص 68–70.

(23)- غربال محمد شفيق واخرون، المرجع السابق، ص470.

(24)- Casson, l. ,illustrated History Of Ships Boats. United States Of America,1964 ,p25.

(25)- كريستيان ديروش نوبلكور، **حتشبسوت "عظمة وسحر وغموض"**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،(**د . ط**) ،القاهرة، 2005، ص187.

(26) -كلير لالوليت، **طيبة أو نشأة إمبراطورية**، تر: ماهر جويجاتي، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، القاهرة ،2005، ص294–295.

(27)- كريستيان **ديروش نوبلكور**، المرجع السابق، ص 187.

(28)- كلير لالوليت، **طيبة**...، المرجع السابق، ص295.

(29)- أسامة بسيوني السيد الدمنهوري، المرجع السابق، ص84.

(30) -أمال صفوت الألفي، **متحف مركب خوفو**، المجلس الأعلى للآثار،(**د . ط**)، مصر، 1997، ص5.

(31)- غربال محمد شفيق واخرون، المرجع السابق، ص470.

(32)- نفسه.

(33)-محرم كمال، **تاريخ الفن المصري القديم** ، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1991م، ص213–214.

(34)– نفسه، ص214.

(35) -ابراهيم رزقانه، واخرون، **حضارة مصر والشرق القديم**. دار مصر للطباعة، ط1، مصر، (**د. ت**)، ص133.

(36) - محرم كمال، المرجع السابق، ص211–212.

(37)- F.Griffith, The Abydos Decree Of seti I At Nouri, 1927, p200

(38) -Vanhulle, D, Boat Symbolism In Predynastic And Early fynastic Egypt:An Ethno-Archaeological Approach. Journal Of Ancient Egyptian Interconnections,2018, p177.

(39)-جورج هارت، **الحضارة المصرية القديمة**، نهضة مصر للطباعة للنشر والتوزيع. (د.ط)، مصر، 2007م، ص19.

مفهوم التحديث عند النخبة الفكرية العربية خلال القرن 19م

قراءة في النموذجين المصري والتونسي

The concept of modernization in the Arab intellectual elite during the 19th centuryReading in Egyptian and Tunisianmodels

فاطمة الزهراء رحماني(*)[1]

[1]جامعة الجزائر 02، rahmani.fatmazohra2020@gmail.com

تاريخ الاستلام: 10 /2021/02 تاريخ القبول:25 /2021/05 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء علىآراء وأطروحات النخبة الفكرية وتصوراتها وطرق تفاعلها مع التحديث طيلة القرن 19م، وذلك من خلال تقديم صورة شاملة لاسهامات النخبة الفكرية في بلدين إسلاميين هما مصر وتونس، مع محاولة تقصي الظروف التاريخية اللتي أسهمت في بلورة أفكار هذه النخبة؛ إدراكا مناّ لأهمية العطاء الفكري الذي بذلته هذه النخبة من أجل بلورة طلائع المشروع التحديثي.

الكلمات الدالة: التحديث، النخبة الفكرية،مصر،تونس،القرن 19م.

Abstract:

This study aims to highlight the views and theses of the intellectual elite, their perceptions and ways of interacting with modernization throughout the 19th century, by providing a comprehensive picture of the contributions of the intellectual elite in two Islamic countries, Egypt and Tunisia, while trying to explore the historical circumstances that contributed to the evolution of the ideas of the elite; Aware of the importance of this elite's intellectual giving to crystallize the vanguard of the modernization project

(*)المؤلف المرسل: فاطمة الزهراء رحماني: rahmani.fatmazohra2020@gmail.com

Keywords: Modernization, Intellectual Elite, Egypt, Tunisia, 19th century.

____

1. مقدمة:

إذا تأملنا بعمق أي لحظة من لحظات التغيير في مسار المجتمعات العربية الإسلامية، نجد أنّ السر وراء ذلك يكمن في قدرة بعض العقول على تأسيس فكر نقدي ينتقل بالذات الفردية والجماعية من واقع منغلق ومتخلف إلى واقع أكثر انفتاحا ووضوحا وازدهارا، وهذا ما حدث بالتحديد في العالم الإسلامي خلال القرن 19م، أين كان لرجال الفكر قصب السبق في مراجعة بعض المفاهيم والقضايا الفكرية التي هي بحاجة إلى إعادة نظر وتجديد، منذ أن وعوا خلال القرن 18مدى تأخر العرب المسلمين عن الغرب الأوروربي في العديد من مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

وبصرف النظر عن الظروف التي أحاطت بهذا الوعي وعن بواعثه ومصادر تأثره، إلاّ أنّه دفع بالنخبة الفكرية العربية وفي مقدمتها النخبة المصرية والتونسية باعتبار أنّها تفاعلت _ في وقت مبكر_ مع تلك الأفكار التنويرية الأوروبية التي انتشرت في العالم الاسلامي نتيجة للصدام الحضاري بين هذا الأخير والعالم الأوروبي خلال القرن 19م، عبر منافذ مختلفةكان أبرزها الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، والبعثات العلمية والرحلات إلى أوروبا، إلى البحث عن وسائل إعادة التوازن للذات العربية الاسلامية من خلال الإجابة على التساؤلات التي تمركزت حول سؤال كبير أساسي هو: لماذا تقدّم الغرب الأوروبي وتخلف العالم الإسلامي؟ وهل بإمكان البلاد الاسلامية أن تستفيد من ذلك التقدم؟ وإذا كان كذلك ما هي سبل تحقيق ذلك؟.

ساهمت تلك الأسئلة في طرح رؤى إصلاحيةجديدة في العالم الإسلامي على المستوى السياسي عبر المطالبة بصياغة دساتير تنظم العلاقات بين الحاكمين والمحكومين، وعلى

المستوى الإجتماعي من خلال المطالبة بتعليم المرأة باعتبارها مدرسة الأجيال، وعلى المستوى الإقتصادي من خلال مطالبة الدولة مطالبة الدولة بتنظيم القطاعات الاقتصادية وإخضاعها للمعايير الحديثة، وقد ترجمت هذه الأفكار والتطلعات الإصلاحية بالمشروع التحديثي.

انطلاقا مما سبق؛ فإنّنا نحرص في هذه الدراسة على تقصي آراء النخبة الفكرية وتصوراتها وطرق تفاعلها مع التحديث طيلة القرن 19م، وذلك من خلال تقديم صورة شاملة لاسهامات النخبة الفكرية في بلدين إسلاميين هما مصر وتونس، إدراكا مناّ لأهمية العطاء الفكري الذي بذلته هذه النخبة من أجل بلورة طلائع المشروع التحديثي ويرسم ملامح التطور والتقدم. ومنه نحاول الإجابة على إشكالية التحديث ومنطلقاته الفكرية وأسسه المعرفية من خلال العودة إلى ما أنتجته النخبة الفكرية في مصر وتونس خلال القرن 19م، والوقوف عند درجة تفاعل هذه النخبة داخل المنظومة الفكرية العربية الإسلامية؟.معتمدين في ذلك على المنهج التحليلي القائم على تحليل ومناقشة الأفكار والأطروحات والنظريات التي تطرّقت إلى هذه الإشكالية.

2. مفهوم التحديث:

1.2. المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

يصعب صياغة تعريف واف لمصطلح**التحديث**، ذلك(لأنّه من المفاهيم التي تجاذبتها ميادين مختلفة ومتنوعة، فلا هو مفهوم اجتماعي ولا هو مفهوم سياسي ولا هو مفهوم تاريخي ولاحتى مفهوم أدبي محض)[1]، ومما يزيد من صعوبة إيجاد تعريف دقيق ومضبوط لهذاالمصطلح هو تداخله وتمازجه مع ألفاظ أخرى كالحداثة والتجديد والتنوير والإصلاحسواء أكان ذلك على مستوى الفكر الغربي أو العربي. على أنّ هذا التداخل قد برز بشكل واضح وجلي في صفوف النخبة العربية ذلك لأنّ المصطلح غربي الأصل،حيث وردت بصيغة ***modernisation***[2].

بينما لم تتوفرالمعاجم والكتب التراثية العربية والإسلامية على صيغة لفظية دقيقة تعبّر عن هذا المصطلح، إذ نجد لفظ (حدث) ومشتقاته أمثال يحدث حدوثا حداثة واستحدثه الأحداث والحديث ومحادثة وغيرها[3]. وانطلاقا من ذلك؛ فإنّ لفظ **التحديث** ما هو سوى تعريب للأصل الغربي.

وفي الحقيقة؛ لم يشمل الاختلاف النخبة العربية وحسب بل تعدّى إلى أوساط النخبة الغربية، حيث استعمل مصطلح "**الحداثة*modernité*والتحديث*modernisation*والحديث*modern*والعصرنة *modernism***" في العديد من الدراسات والأبحاث الأجنبية على أنّ لهم طبيعة واحدة رغم الفوارق التي بينهم في اللّفظ[4]. غير أنّ الفارق بين مدى استيعاب صفوة العرب والغرب لمصطلح التحديث، وما يحتويه من دلالات يكمن في أنّ النخبة الغربية كانت تتحرك في مساحة أرحب. فلم تبقى حبيسة الاختلاف بين المصطلحات، وحاولت إخراج التحديث من النظرية إلى التطبيق لتصل بذلك الى مستوى الحداثة وما بعد الحداثة. في حين ظلت النخبة العربية تتعامل مع التحديث في زاوية منغلقة. حيث استمرت في بحثها عن دلالات هذا المصطلح دون أن تفكر في أن تبلغ به مراحل متقدمة.

زيادة على ذلك؛ فإنّه على تعدد أنماط تعريف **التحديث** وتداخله مع ألفاظ اخرى في الفكر العربي والغربي، يبقى (النمط الحضاري الخاص الذي يشمل كل تلك المفاهيم، والذي يتصارع داخل منظومة التراث والتجديد،القديم والحديث،الأصالة والمعاصرة) [5]. فهو (العنصر الفعال الذي يرمز إلى شروط التحول التي بها يخرج المجتمع من دائرة الجمود القاتل ليتطلع نحو الأفضل ويرنو نحو الأسمى، وهذه الشروط التي تسمح بنمو مجتمع حديث وقادر على التطور. وهو يعني التقدم والحركة وهو ضد الثبات والجمود. كما يحمل بين طياته معنى التغير والنسبية فما كان حديثًا بالأمس يصير تقليديًا وقديمًا اليوم، وما هو حديث اليوم سيصبح قديمًا غدًا)[6].

وقد ارتبط الفكر التحديثي أول الأمر بالغرب الأوروبي، حيث (ظهر في الدول الأوروبية مع بروز عصر النهضة، فحركة الإصلاح الديني اللوثري، فعصر التنوير ونمو الرأسمالية والثورتين الصناعية والسياسية والاعتقاد بالمنهج العلمي وقوة العقل، لتتجاوز فيما بعد هذه المرحلة إلى مرحلة ما بعد الحداثة وذلك بعد الحربين العالميتين)[7]. وسرعان ما تحول التحديث إلى البلدان الإسلامية نتيجة للاحتكاك الحضاري الذي حدث بينها وبين أوروباعلى إثر الحركة الاستعمارية، والذي شكلّ صدمة حضارية أفاق من خلالها العرب المسلمين. فحاولوا القضاء على الجمود والتخلف، واللحاق بالركب الحضاري الذي سبقهم بكثير، على أن تتم عملية الاقتباس والإقتداء بنموذج الغرب[8]. فكانت الدولة العثمانية سباقة لهذا الأمر، ثم تبعتها التجربة التحديثية المصرية، والتجربة التحديثية التونسية، إلى جانب حركات التحديثالتي شهدها المغرب الأقصى ولبنان وسوريا وغيرها[9].

2.2. مفهوم التحديث في الفكر العربي:

سعى المصلحون والمثقفون العرب منذ أن وعوا _خلال القرن 18م_التخلف العربي الإسلامي إلى البحث عن سبل الخروج من هذا الواقع، وبصرف النظر عن الظروف التي أحاطت بهذا الوعي وعن بواعثه ومصادر تأثره، فقد وسموا محاولاتهم بمفاهيم ومصطلحات مختلفة متفاوتة من حيث الدّقة والتواتر؛ بعضها مستمد من التراث الديني كالإصلاح والصحوة والتجديد والبعث والإحياء، وبعضها الآخر مستلهم من الفكر العالمي الحديث كالنهضة والتقدم والتحديث والتمدن والتنوير[10].

انطلاقا من ذلك؛ تعدّى الاختلاف في وجهات النظر بين المفكرين والمؤرخين حول مصطلح **التحديث** إلى الاختلاف حول طبيعته، حيث أن مفهومه هو مفهوم إشكالي نتيجة لأبعاده المتشابكة والمتداخلة فيما بينها. وقد أخذت تعريفاته تتطور متماشية مع تطور الظروف الداخلية والخارجية المحيطة بالمجتمع الاسلامي والفهم المتجدد له ودوره. الأمر الذي أدى إلى بروز ثلاث اتجاهات فكرية رئيسية، اجتمعت على ضرورة تطبيق مشروع تحديثي من

أجل تخليص المجتمعات العربية الاسلامية من الرواسب الفكرية التقليدية، لكنّها اختلفت في كيفية تنفيذ هذا المشروع.

أما الاتجاه الأول؛ فعرف بالتيار التغريبي، الذي نادى باتخاذ الحضارة الغربية نموذجا شاملا للمجتمعات الاسلامية بكل ما نتج منها من نظريات وأفكار. أي الأخذ بالحداثة الأوروبية بخيرها وشرّها، في مختلف ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وصرف النظر تماما عن الموروث بما فيه الموروث الديني الذي ينتمي إلى العصور الوسطى التي مضت وتجاوزها التطور(11).

أما الاتجاه الثاني وهو المحافظ؛ هو تيار تراثي سلفي يدعو إلى تجاوز التحديث والارتماء في أحضان الآخر، والاكتفاء بالأصالة على أنّها منفذ النجدة من الانحطاط من التخلف وسبيل النهضة. قدوته وسراجه السلف الصالح، وشعاره لا يصلح حال الأمة إلاّ بما صلح به أولها. وعنده الحضارة الغربية تتعارض مع القيم العربية الاسلامية والانتماء التاريخي والحضاري، خاصة بعد أن تعرّضت البلاد الاسلامية للاستعمار الأوروبي، وتوظيفه لمنتجات حضارته لقهر الشعوب الضعيفة ونهب خيراته وممارسته سياسة التبشير المسيحي ونشر لغته وثقافته(12). وأبرز من مثل هذا الاتجاه التيار الوهابي والتيارات الصوفية الطرقية وشيوخ وعلماء المؤسسات الدينية التقليدية مثل علماء جامع الأزهر وجامع الزيتونة وغيرهم.

أما الاتجاه الثالث؛ فهو تيار توفيقي يجمع بين الوافد والموروث وبين الأصالة والمعاصرة، وبين الاسلام والفكر الغربي. بحيث يتم الأخذ من الحداثة الأوروبية ما لا يتناقض مع قيمنا الدينية والحضارية، ومن التراث العربي الاسلامي ما يساير العصر ومتطلبات التقدم. وللإشارة فإنّ هذه النزعة التوفيقية انبثقت عن حرص بعض المفكرين على إصلاح ما أفسده الدهر في المجتمعات الاسلامية ومحاولة اللحاق بالركب الحضاري للغرب الأوروبي، دون أن تتخلى هذه المجتمعات عن قيمها ومبادئها الروحية(13).

ومهما يكن؛ فإنّ الاختلاف حول طبيعة **التحديث** وكيفية تحقيقه والذي أفرز ثلاث تيارات فكرية ظلت تتصارع فيما بينها، لا يزال يشغل مساحات واسعة في خطابات الفكر العربي المعاصر. حيث تحدّد الصراع بين التيار المحافظ والتغريبي مع محاولة التيار التوفيقي لفض ذلك النّزاع. الأمر الذي أعطى لمصطلح التحديث دلالات ومعاني كثيرة، يصل التداخل والتناقض بينها الى الحد الذي يجعل كل فهم معرفي لها ملغيا المفهوم الآخر نظرا لجملة من العوامل والأسباب التي أسهمت في بلورة وعي العقل العربي بهذا المفهوم(14).

3. التحديث عند النخبة الفكرية المصرية والتونسية:

1.3. خلفيات التفكير التحديثي عند المفكرين في مصر وتونس:

ظهرت في **مصر وتونس** خلال القرن 19م دعوات فكرية نادت بإحداث تغييرات في كافة المستويات في البلاد، مع ضرورة التخلي عن الأفكار التقليدية المتحجرة التي ترفض أي تغيير. ويرجع أساس هذه الرؤية؛ إلى إدراك صفوة المجتمع المصري والتونسي للضعف والانحطاط، الذي عانت منه بلادهم خلال ذات القرن. وما زاد من عمق هذا الإدراك؛ احتكاك هذه النخبة بالغرب الأوروبي إما عن طريق الحملات الأوروبية أو الرّحلات أو البعثات العلمية. إذ كشف لهم هذا الاحتكاك عن الهوة الشاسعة التي تفصل بينهم وبين أوروبا المتقدّمة والمتحضرة. وانطلاقا من ذلك الوعي، جاءت الدعوة إلى ضرورة إعادة النظر في المفاهيم والأفكار التقليدية وإدخال مفاهيم وأفكار حديثة، بل وإحداث تغيير جذري في البنى الفكرية والسياسية للبلاد.

ففي مصر؛ شكلت مسألة تخليص المجتمع العربي الإسلامي من رواسب الأفكار التقليدية الموغلة في الجهل والتخلف منذ الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، الموضوع الأساسي الذي طرح على الساحة الفكرية المصرية خاصة والعربية الإسلامية عموما. فقد أحدثت الحملة أول اتصال مباشر في العصر الحديث بين النخبة الفكرية وأفكار أوروبا العلمية

والسياسية الحديثة لاسيما أفكار الثورة الفرنسية وشعاراتها، مما ساهم في الكشف عن الهوة الشاسعة التي تفصل بين العالمين الإسلامي والأوروبي(15).

يعدّ شيوخ الأزهر **عبد الرحمن الجبرتي**(**1854_ 1825م**)**والحسن العطار**(**1766_1835**)**وإسماعيل الخشاب**(**توفي 1815م**)، من أبرز رجال الفكر المصريين، الذين تأثروا بالمنجزات الحضارية التي جاءت بها الحملة الفرنسية إلى مصر، والتي أثارت إعجابهم ودهشتهم. إذ تمكنوا إثر احتكاكهم المباشر بالعلماء الفرنسيين من الإطلاع على الآلات الفلكية والهندسية لهؤلاء العلماء، وعلى بعض تجاربهم العلمية التي لم تكن معروفة في الوسط المصري والعربي الإسلامي(16). الأمر الذي أدى بهم إلى التفكير في ضرورة تغيير الأوضاع السائدة في مصر، ومحاولة اللّحاق بالركب الحضاري للغرب خصوصا في المجال العلمي.

رغم أنّ تلك الدعوة ظلت ضيقة الأفق، إذ انحصرت في الجانب العلمي واكتفت بمحاولة إحياء التراث العربي الإسلامي أيام عصورها الزاهرة، والحث على الوصل بين الماضي العلمي المجيد والحاضر المفتقر إلى العلم، فضلا عن ملازمتها للشعور بخطر الحملة الفرنسية على الأمة الإسلامية(17). إلاّ أنّها مثّلت جهودا أولية بذلت في سبيل إنقاذ مصر من الأفكار التقليدية الراسخة في عقول المجتمع، فوجدت صداها في عهد محمد علي باشا حاكم مصر ما بين (1805- 1849)(18).

كما كانت إيذانا بعهد جديد برزت فيه بشكل جلي دعوة النخبة الفكرية إلى ضرورة التغيير وفقا للنّمط الأوروبي، بعد أن أتيحت لهم مجدّدا فرصة الاحتكاك الحضاري بأوروبا عن طريق البعثات العلمية والرّحلات خلال القرن 19م، والتي جعلتهم بشكل تلقائي يتساءلون عن أسباب التقدم الذي وجدوه في أوروبا؟ وعن إمكانية أن تستفيد البلاد الاسلامية من ذلك التقدم، انطلاقا من جملة من القواعد والشروط لأخذ ما يمكن أخذه وترك ما لا يمكن أخذه من الحضارة

الغربية؟. وبناء على ذلك؛ نادىأولئك المفكرون بضرورة التحديث في بلدانهم بشكل خاص والبلاد الإسلامية عامة من خلال الإقتداء بأوروبا ونظم حكمها والأخذ بمنجزاتها الحضارية.

يأتي رفاعة رافع الطهطاوي في طليعة أولئك المفكرين المصريين الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية البحث عن سبل إصلاح وتغيير المجتمع العربي الإسلامي،إذ تتفق أغلب الدراسات التاريخية المعاصرة[19] على أنّ آراءه وأفكاره تعدّ أول صياغة نظرية للعلاقة الجديدة بين العرب والغرب الأوروبي.فقد كان أول من وضع مقارنة عربية في العصر الحديث بين الشرق والغرب، مبرزا بوضوح جوانب تفوق هذا الأخير ومظاهر تقدمه وتحديثه، ومؤكدا أهمية ما أدركه من محاسن هذا التقدم ومنافع التحديث بالنسبة للمجتمعات العربية الاسلامية.

ويرجع أساس هذه الرؤية إلى اتصاله المبكر بأوروبا من خلال زيارته لها خلال القرن 19م في إطار البعثة العلمية التي أرسلها حاكم مصر محمد علي باشا، والتي كشفت له مدى تقدّم الغرب في مقابل التخلف والانحطاط الذي كانت تعيشه مصر بشكل خاص والعالم الاسلامي عامة.كما أكسبته معرفة وثيقة بمؤسساتأوروبا العلمية والإدارية والبنى العامة لأنظمة الدول الغربية الحديثة، مما سمح له بالدعوة إلى الاقتباس عنها[20].

أضف إلى ذلك؛ إطلاعه على مؤلفات الكتاب والمفكرين الأوروبيين _الفرنسيين خاصة_[21]، مما مكنّه من التعرّف على جوانب الفكر الاجتماعي والسياسي الأوروبي الحديث وبعض قيمه الفكرية والسياسية والتحرّرية. وبناء على ذلك؛ تفاعل الطهطاوي مع ما كان يجري في أوروبا من تحولات وإصلاحات سياسية وتطورات علمية وتقنية وحضارية، وإدراك أهميتها الإنسانية وصلاحها لتقدم البلاد الإسلامية وتمدنها، فكان ذلك دافعا قويا وراء دعوته إلى إعادة النّظر في الأفكار الموروثة عند المسلمين، والتي لم تعد تتماشى والوضع الحضاري الجديد ولم تعد تستجيب لمتطلبات العصر. وبالتالي ضرورة الأخذ بأسباب التقدّم الأوروبي، مع تحديد المعايير الواجب استخدامها في عملية الاستعارة من أوروبا. كما سعى إلى تقديم نظريات سياسية

واقتصادية واجتماعية جديدةمقتبسة من الغرب، شكّلت صياغة نموذجية لمشروع تحديثي في مصر.

لم تؤثر البعثات العلمية على الطهطاوي وحسب؛ بل أثرت أيضا في مفكر آخر يدعى **علي باشا مبارك** (**1823_ 1893م**). فهو من أهم المفكرين المصريين الذين أدركوا مدى عمق الهوة الشاسعة بين العالمين الإسلامي والأوروبي، نتيجة لاحتكاكه المباشر بأوروبا عندما كان عضوا في البعثة العلمية التي أرسلت من قبل حاكم مصر محمد علي إلى فرنسا سنة 1845م، والتي مكنّته من التعرّف على مختلف مظاهر التقدم والازدهار الأوروبي، فقد عاين عن كثب مدن فرنسا وعادات وتقاليد مجتمعها وعلومها ومعارفها ومؤسساتها وأنظمتها.

وأمام هذه التجربة، وقف علي مبارك مقارنا وناقدا وباحثا عن سبب التّقدم الأوروبي الذي أرجعه إلى اتساع دائرة العلم والمعلومات. بالإضافة إلى إطلا ع الأوروبيين على العلم العربي الإسلامي الذي عملوا على دفعه إلى الأمام دفعا قويا، وعن أسرار التخلف المصري الذي أوعزه إلى فساد السلطة الحاكمة وانعدام أهليتها لمهامها. بالإضافة إلى ما صار عليه الأئمة من تخلف، فقد تركوا ما كان عليه السلّف من النّظر في مصالح الأمة والسعي فيما فيه نفعها، فنبذوا كل ذلك وراء ظهورهم وحملوا الناس ما لا يطيقون(22).

أما في تونس؛ فلم تختلف الأمور كثيرا عن مصر، إذ ساهمت الرحلات والبعثات في إدراك المفكرين التونسيون مدى الفارق الشاسع بينهم وبين الغرب الأوروبي، الأمر الذي دفعهم إلى إيجاد حلول من شأنها أن تتجاوز وضعية الانحطاط والتخلف. ويعدّ خير الدين التونسي، الذي جمع في شخصه بين الفكر والسياسة، من أبرز الشخصيات التي تأثرت بالحضارة الأوروبية، نتيجة لاحتكاكها المباشر بها، إثر إرساله ضمن بعثات دبلوماسية كلّف بها من قبل بايات تونس. حيث أتيحت له الفرصة لزيارة 20 دولة أوروبية كفرنسا وإنجلترا

وإيطاليا والسويد وغيرها، فأصبح على دراية واسعة بما يجري في البلدان الأوروبية من تقدم وازدهار، في مقابل الانحطاط الذي أصاب بلاده بشكل خاص والعالم الاسلامي عموما[23].

علاوة على ذلك؛ اطلع خير الدين على الفكر الأوروبي فتأثر به، الأمر الذي دفعه إلى (إيقاظ ذوي الحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس الوسائل الموصلة إلى حسن حال الامة، وتنمية أسباب تمدنها بتوسيع قاعدة التعليم، وتطوير الزراعة والتجارة والصناعة). فضلا عن (تحذيره لعامة المسلمين من تماديهم في الإعراض عن ما يحمد من سيرة الغير الموافقة للشرع، فالحق أحق أن يتبع، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها)[24].

من جهة أخرى؛ كان للرحلات دور كبير في تأسيس الفكر التحديثي عند **محمد بيرم الخامس**(**1840 _1889م**)الذيأتيحت له الفرصة لزيارة بعض المدن والعواصم الأوروبية مثل فرنسا وايطاليا وإنجلترا ومالطة، رغم أنّ الهدف من هذه الرحلات اختلف كثيرا عن رحلات المفكرين الذين سبق ذكرهم. إذ ارتحل من أجل طلب العلم والتداوي بعد أن أصيب بمرض الأعصاب[25]. إلاّ أنّه تأثر كغيره بالحضارة الغربية، مما أدى به إلى الدعوة إلى اقتباس والاقتداء بالنموذج الأوروبي، وبتحديث الانظمة بغية إصلاح أوضاع بلاده والبلدان الاسلامية.

زيادة على ذلك؛ ساهمت الرحلات في بلورة الفكر التحديثي عند أحمد ابن أبي الضياف، حيث استكشف من خلال زيارته لفرنسا رفقة أحمد باي سنة 1846م وعدد من رجال الدولة[26]، مزايا الحضارة الأوروبية وإنجازاتها الحضارية فتأثر بها، مما ساهم في إدراكه للفارق الشاسع بين ما وصل إليه الاوروبيون من تقدم في جميع الميادين؛ وما تعانيه الامة الاسلامية من انحطاط، ومنه الدعوة بالأخذ عن الغرب الأوروبي ومواكبة متطلبات العصر.

2.3. التحديث في تصورات المفكرين في مصر وتونس

يرتكز التحديث عند رفاعة رافع الطهطاوي على البحث في قضايا رئيسية ذات أسس فكرية سياسية واجتماعية واقتصادية مثل: التمدن والتقدم، الدولة والسلطة السياسية وما يتعلق

بهما من مبادئ الديمقراطية والحرية، وتجديد الدين، وجدلية المرأة والعقلانية. وعلى هذا الأساس؛ نادى بضرورة إلغاء المفاهيم القديمة، وتداول مفاهيم حديثة كالحرية والعدالة والديمقراطية والبرلمان والمجتمع المدني وغيرها، وبيّن الأهمية البالغة لهذه القيم والمفاهيم الجديدة في المجتمع المصري(27).كما نادى بضرورة اقتباس علوم ومعارف أوروبا، والأخذ بها من حيث هي عامل تقدم أساسي في تجاوز الركود الذي طال بلاده.

هذا وقد عمل الطهطاوي على إيجاد مبرر لهذه الأفكار في التراث العربي الإسلامي حتى يتبين أنّ هذه المبادئ ليست غريبة عن العرب والإسلام(28)، حيث كان لابد عليه من تقديم حجج وأدلة مقنعة لأولئك الذين يعتريهم الشك والارتياب، بل والرّفض في كثير من الأحيان اتجاه أي جديد يأتي من أوروبا. لا لإحداث تحول جذري في بنية الدولة والمجتمع أو إحداث قطيعة مع الماضي، بل من أجل التأكيد على أنّ التحديث مطلب أساسي وغاية مرجوة أمام تردي الأوضاع في مصر خاصة والعالم الاسلامي عموما. لذلك حاول الاستناد الى مبادئ الشريعة الاسلامية التي تقتضي ضرورة التغيير من أجل استقامة أمور الناس وانتظام شؤونهم، كما استند إلى أنّ حضارة أوروبا هي في الأصل نتاج لما استعارته من الحضارة الاسلامية عندما كانت في أوج قوتها وازدهارها، وبالتالي يحق للمسلمين أن يسترجعوا ما أخذ منهم في وقت سابق(29).

تفاعل علي مبارك مثله مثل الطهطاوي مع الحضارة الأوروبية مستوعبا جوانبها المختلفة، فأعلنّ عن إعجابه بمظاهر التقدّم الأوروبي ودعا إلى ضرورة الأخذ به. لكن حضارة الغرب وتقدمه لم يبهره بقدر ما كان يؤرقه تخلف وانحطاط وطنه وأمته، لذلك دعا إلى استلهام جوهر الحضارة الغربية وماهو أصيل فيها. إذ أدرك أنّ جوانب التغيير والتحديث لا تأتي بمحاكاة الغرب وفقط؛ بل يجب أن تخضع للفحص والتمحيص والتفتيش في جوانب حضارته المختلفة، للوصول إلى العوامل الكفيلة باستنهاض العرب المسلمين ودفعهم إلى ركب التّقدم والتحضر والرّقي(30).

ومن هنا وعى علي مبارك أهمية وقدر العلم الحديث ومدى تأثيره في صياغة الأمم وبعثها من جديد، فدعا إلى تحصيل العلم وطلبه لأنّه أصل التقدم، مستدلا في ذلك على أحكام الشريعة الإسلامية التي لم يرى فيها ما يمنع من التقدم في أي علم من العلوم النّافعة، وأنّ علوم العرب المسلمين قديما هي أساس ومنبع التمدن الأوروبي(31).

من زاوية أخرى؛ دعا خير الدين التونسي إلى التحديث السياسي باعتباره ــفي نظره ــ أول خطوة نحو تحديث تونس. ولعلّ هذه الرؤية نبعت من المقارنة التي عقدّها هذا المفكر بين النظام السياسي في العالمين الأوروبي والإسلامي، والتي كشفت له سلبيات الحكم المطلق والمستبد الذي كان سائدا في بلاده وانعكاساته الخطيرة على العامة وأوجه الحياة الاقتصادية والعمرانية والحضارية. خلافا لأوروبا التي اتسمت نظمها السياسية بالعدل وكانت في مجملها دستورية، فلم يكن الحكم مطلقا بل كان مقيّدا بقانون يحدّد صلاحيات الملك وواجباته، ويضمن المساواة والحريات لجميع المواطنين، ويوفر لهم كل الضمانات، ويحميهم من التجاوزات التي من شأنها أن تلحق الضرر بأرزاقهم وأعراضهم وهذا ما حقق لهم نهضة شاملة في مختلف الميادين(32).

ارتكز خير الدين في برنامجه التحديثي السياسي على الاقتباس من الغرب والرجوع إلى السلف(33)؛ فأما الركيزة الأولى فقد ألحّ فيها على اقتباس النظم والمؤسسات السياسية والإدارية الأوروبية الحديثة القائمة على العدل والشورى، ولعلّ أبرزها النظام الدستوري. فالدستور في نظره رادع للفساد والظلم، وركيزة للعدل والأمن في نفوس المواطنين، فهو يدفعهم للعمل والبذل دون خوف على ثمرة مجهودهم، كما أنّه يضمن الحرية والمساواة بين الناس(34).

ولا يكتمل التحديث السياسي في نظر خير الدين إلاّ بإحداث هيكلين اثنين هما: مجلس الشورى أو مجلس أهل الحل والعقد الذي يضم علماء الدين ورجال السياسة، ومنصب الوزير المباشر(35). وليس من الصدفة هنا أن يدعوا هذا المفكر إلى تضافر الجهود بين رجال

السياسة والعلماء في بلاده لتتحقق مصلحة الأمة، فيقترح رجال السياسة القوانين الجديدة الضرورية لتنظيم المجتمع، ويقرّر العلماء فيما إذا كانت تلك القوانين تتفق وتتطابق مع مبادئ الشريعة الإسلامية[36].

مما لا شك فيه أنّ السياسة العادلة المؤسسة على دستور وحكم نيابي عند خير الدين هي أساس الازدهار الاقتصادي والتطور الاجتماعي وتقدّمه، فحسن الإمارة حسب رأيه سيسهل عملية اقتباس العلوم والتقنيات ووسائل التقدم في الصناعات من أوروبا لتحقيق التقدّم في كافة المستويات، ذلك لأنّ (ما بلغت إليه أوروبا من تقدم في العلوم والصناعات إنّما تحقق عن طريق التنظيمات المؤسسة على العدل السياسي، بالإضافة إلى تسهيل طرق الثروة واستخراج كنوز الأرض بعلم الزّراعة والتجارة)[37]. ومن هنا جاءت دعوة خير الدين إلى الأخذ بعلوم الغرب وتوظيفها في مختلف أوجه الحياة في البلاد التونسية، مؤكدا أنّ أوروبا قد سبق لها وأن أخذت بعلوم العرب المسلمين من طب وهندسة ورياضيات وتاريخ وتجارة وفلاحة وغيرها[38].

أما الركيزة الثانية التي اعتمد عليها خير الدين في برنامجه التحديثي والمتعلّقة بالرجوع إلى جوهر الشريعة الإسلامية والاقتداء بالسلف الصالح، فإنّه يؤكد على أنّ ما يدعوا إليه من أفكار سياسية مقتبسة من الغرب لا تتعارض والتعاليم الإسلامية بل بالعكس هو مما تحث عليه. والتفت لتبرير ذلك إلى المضامين الشرعية التي أوردتها النصوص الفقهية والإشارة إليها في مدونته أحكاما ومقاصد، والاستشهاد بأقوال علماء الشريعة وبثوابت الدين والعقيدة، ساعيا إلى إحياء القيم الإسلامية كالشورى والحرية والعدل، مؤكّدا أنّ هذه القيم كانت للأمة الإسلامية فيما مضى مصدرا للاستقرار والأمن وازدهار العمران وانتشار العلوم والصناعات، كما هي اليوم مصدرا للتقدّم الأوروبي[39].

يتفق ابن أبي الضياف مع خير الدين في ما آل إليه الوضع السياسي في تونس من تدهور وانحطاط جراء الحكم المطلق والمستبد، حيث بيّن رفضه وتنديده لهذا الحكم واستنكر المبادئ الجائرة التي (كان البايات في تونس في عصره وقبل عصره يسوسون بها البلاد مثل اتباع الهوى، والجور واستعباد النفوس والقهر المؤذن بخراب العمران)[40]. كما عبّر عن استيائه من المواقف السلبية لعلماء الدين، وانسحابهم من المشاركة في الحياة السياسية، ورفضهم المساهمة في إيجاد الحلول لكلّ المسائل وتطوير التشريعات، واصفا إياهم بالموالين للحكم المطلق مصدر للظلم والقهر[41]. ومن هنا جاء تأكيده على ضرورة الاعتماد على الملك المقيّد بالقانون في البلاد التونسية وفقا للبلدان الأوروبية لما له من أهمية بالغة، حيث يخلق التوازن بين السلطة والرعيّة وينشر العدل ويؤسس للحضارة.

ليس هذا وحسب؛ بل ألحّ ابن أبي الضياف على ضرورة تطبيق مبادئ الثورة الفرنسية كالعدل والحرية والمساواة، وذلك من خلال دعوته إلى صياغة قوانين ونظم سياسية وقضائية لتطبيق سياسة عادلة تضمن للناس بأن لا يقعوا فريسة في أيدي الظالمين والجائرين، ومن تلك القوانين تكوين مجلس شورى من الأعيان والعقلاء يكون بالانتخاب من الأهالي لحماية حقوق الناس، والدفاع عنهم ويكون هذا المجلس بمثابة الوكيل عنهم، وإصلاح نظام العدالة بجعل محاكم متعدّدة لرفع الظلم عن المظلومين[42].

اعتمد ابن أبي الضياف في تبرير ما دعا إليه على الثنائية الفلسفية القائمة على الشريعة الإسلامية والسلف الصالح وهو نفس ما ذهب إليه خير الدين، حيث سعى ابن أبي الضياف إلى تأكيد شرعية الاقتباس من نظم ومؤسسات الغرب الأوروبي من خلال استناده إلى الشريعة الاسلامية والاستدلال التاريخي، ليبيّن أن عصور ازدهار الأمم مرتبط بالحكم المقيّد[43].

لا يكاد محمد بيرم الخامس يختلف كثيرا عن سائر رواد الفكر التحديثي من حيث اعتبار الوضع السياسي كعامل رئيسي في تخلف وتراجع بلاده خاصة والبلدان الإسلامية

عموما، وهذا ما دفع به إلى الإقرار بأهمية النضال من أجل مواجهة الرداءة السياسة والفساد الذي كان عليه أرباب السلطة في البلاد التونسية. داعيا إلى الأخذ بالتجربة السياسية الأوروبية الحديثة التي لم يخف إعجابه الشديد بها، لأنّه لاحظ فيها سيادة القانون الذي جعل النّاس ينضبطون حكاما ومحكومين. كما عاين عن كثب المجالس النيابية في كل مدينة أوروبية زارها وأثرها الفعال في تحقيق العدل والمساواة والحريات ورفع الظلم عن المظلومين(44).

وعلى هذا الأساس؛ ربط بيرمتطور المجتمعات بمدى عدالتها السياسية ودرجة انضباطها، بالقوانين التي تحدّ من هيمنة الرّأي الفردي، وتروض النفوس على الامتثال جميعا لقانون يجعل الناس متساويين في الفرص والحظوظ(45).

لكن حسب بيرم الخامس لن ينجح أي برنامج تحديثي سياسي إلاّ بالإصلاح الديني ونشر التعليم وتحسينه، ومن هنا جاءت دعوته إلى نقد المفاهيم السائدة، وتقديم البدائل المشفوعة بالبرامج المتعلقة بمحتويات الفكر الديني والمؤسسات الدينية القائمة، ونبه إلى تخاذل وتهاون العلماء وافتقارهم للدور الفعال(46). كما دعا إلى نشر المعرفة وإصلاح التعليم الزيتوني، منوها إلى دور الصحافة في تعميم التجربة السياسية الأوروبية في تونس، ذلك لأنّ في نظره ما وصلت إليه أوروبا من تقدم إنّما كان نتيجة لانتشار العلم والمعرفة(47).

وقد ذهب بيرم إلى أبعد من ذلك، إذ دعا إلى وجوب الالتفاف حول الخلافة العثمانية من أجل التصدي لأطماع الغرب. ففي نظره القوة العسكرية ونشر التعليم واعتبار الأهالي مواطنين محترمين يؤدون الخدمة العسكرية لمدة معينة ويدفعون الضرائب، بوعي كاف لإعادة العزّة إلى الدولة الإسلامية(48).

وتجدر الإشارة إلى أنّه بالرّغم من دعوة محمد بيرم الخامس إلى احتكاك بلاده بالغرب الأوروبي، والأخذ بتجربته السياسية والعلمية التي أشاد بها، إلاّ أنّ ذلك لم يمنعه من إبراز المساوئ والتجاوزات الحاصلة في المجتمعات الاوروبية خاصة من ناحية السلوك والأخلاق(49).

ومن هنا دعا إلى التوفيق بين التراث الإسلامي والشريعة الإسلامية من جهة، وبين ما يستحسن أخذه من الحضارة الغربية من جهة أخرى، فيكون ذلك الحل الامثل للحاق البلاد التونسية خاصة والبلدان الإسلامية عامة بالرّكب الحضاري(50).

3.3. وسائل التحديث عند المفكرين في مصر وتونس

تعدّ الكتابة والترجمة فضلا عن النشاط الصحفي وتولي مناصب في الدولة، من أهم الوسائل والأساليب التي اعتمد عليها رجال الفكر سواء في **مصر أو تونس**، من أجل تحقيق المشروع التحديثي الذي رأوا فيه مطلبا أساسيا لإنهاض مجتمعاتهم من الانحطاط والتخلف الذي أصابهم واللّحاق بمصاف الدول المتقدمة. **ففي مصر**؛ ألّف رفاعة رافع الطهطاوي ثلاث كتب رئيسية، لخص فيها كل ما شاهده وعرفه عن العالم الأوروبي الحديث وأنظمته ومؤسساته المتقدمة، كما حاول من خلالها التأكيد على ضرورة التحديث وسبل تحقيقه.

جاء الكتاب الأول بعنوان "**تخليص الإبريز في تلخيص باريز**"، حيث نقل فيه الطهطاوي تجربته التي عاشها في فرنسا، كما رصد فيه الهوة الشاسعة بين الغرب والعالم الإسلامي على مستوى التقدّم والحضارة من خلال وصفه وإعجابه بالانجازات الحضارية لأوروبا، إلى جانب ذكره لانطباعاته عن الباريسيين وعاداتهم وتقاليدهم في المأكل والمشرب، فكان الكتاب بمثابة سجل دقيق للثقافة والحضارة الأوروبية عامة والفرنسية بشكل خاص، والهدف منه إيقاظ سائر أمم الاسلام من نوم الغفلة(51).

أما الكتاب الثاني فقد جاء بعنوان "**مناهجالألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية**"والثالث بعنوان"**المرشد الأمين للبنات والبنين**". وهما كتابان تعليميان قدّم الطهطاوي من خلالهما رؤية واضحة للطريق الذي ينبغي لمصر أن تسلكه في مجال التعليم وتسيير فيه وفقا لمتطلبات العصر، و دعا من خلاله أيضا إلى ضرورة تعليم المرأة تماما مثل الرجل، وهذا مالم يكن موضع نقاش على الساحة الفكرية المصرية آنفا.

لم تكن الكتابة الوسيلة الوحيدة التي عبّر من خلالها الطهطاوي على مواقفه وآرائه التحديثية؛ بل وجدّ في الحكومة المكان المناسب لطرح تلك الأفكار. فمن خلال تقلّده لعدّة وظائف حكومية، لم يعد دوره يقتصر على قبول فكرة التغيير ورصد الأسس التي ينبني عليها هذا التغيير؛ بل امتد دوره إلى المشاركة في صنع التغيير. ومن أهم تلك الوظائف إشرافه على بعض المدارس كمدرسة الألسن سنة 1836م، وإشرافه على العديد من الصحف والمجلات مثل صحيفة الوقائع المصرية فيما بين (1841_1850م) ومجلة روضة المدارس بين (1871_1873م).أضف إلى ذلك؛ توليه وظيفة مترجم مما سمح له بنقل العديد من المؤلفات الاجنبية إلى اللغة العربية. بالإضافة إلى مهام أخرى مثل: تفتيش عموم مكاتب الأقاليم، نظارة الكتبخانة الافرنجية ومخزن عموم المدارس وتفتيش المدارس، نظارة الهندسة الملكية والعمارة، تفتيش مصلحة الأبنية[52].

زيادة على ما سبق؛ كان التأليف والصحافة من أهم الوسائل التي وظفها علي مبارك للتعبير عن آرائه وتصوراته اتجاه المشروع التحديثي، إذ ألّف العديد من الكتب الفكرية والأدبية والعلمية بالإضافة إلى نشاطاته الصحافية. ولعلّ أهم كتاب ألّفه مبارك هو الرواية الأدبية والقصصية "**علم الدين**"[53]، التي ضمنّها معلومات قيمة عن أحداث عصره سواء أكان ذلك في موطنه أو في أوروبا واضعا مقارنة بينهما. فقد تطرق إلى الأوضاع المتردية التي سادت بلاده في مختلف الميادين، كما استعرض جوانب التقدّم الأوروبي في كافة الأصعدة التي تبدأ بالتعليم والتربية حتى الاختراعات الحديثة والتقدم العلمي في الفنون والمسرح والصناعة والمواصلات.

أضف إلى ذلك؛ مجلة "**روضة المدارس**" التي أنشأها علي مبارك سنة 1877م، وذلك من أجل النهوض باللغة العربية ونشر المعارف الحديثة. وفي الحقيقة كان لهذه المجلة أثر كبير في تحديث اللغة العربية من خلال ما احتوته من قصائد شعر ونثر، بالإضافة إلى مؤلفات عدد كبير من العلماء والأدباء[54].

علاوة على ذلك؛ ساهم علي مبارك في تحديث مصر من خلال توليه العديد من الاعمال التي أنجزها في ظل توليه الوظائف الحكومية. فقد أنشأ الاستحكامات الحربية، وكان من أبرز مهندسي الحرب الثلاث والسبعين الذين درسوا فنون الحرب بأوروبا على عهد محمد علي، وأنجز أول تخطيط للقاهرة ومدن مصر في العصر الحديث، وخطط للهندسة الزراعية وللنيل، وأنشأ دار الكتب سنة 1869م [55].

أما في تونس؛ فقد اعتمد خير الدين التونسي _مثله مثل المفكرين في مصر_على التأليف من أجل طرح أفكاره التحديثية. إذ ألّف كتابه المعنون بـ:"**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**"، الذي بيّن في مقدمته أنّ الغاية من تأليفه هو (إيقاظ الغافلين من رجال السياسة وإغراء ذوي الغيرة والحزم من العلماء والسياسيين بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة إلى حسن حال الأمة الإسلامية وتنمية أسباب تمدنها)[56]. فالكتاب حصيلة مشاهداته ومعايناته خلال ترحاله إلى البلدان الأوروبية، وخلاصة لفكره وتأملاته، ووعاء فكري للمعلومات والآراء التي استقاها من كتب فرنسية في السياسة والتاريخ والاقتصاد والقانون، وأهم الأفكار التنويرية.

علاوة على ذلك؛ لجأ خير الدين إلى تجسيد نظرياته وأفكاره التحديثية عندما تولى الوزارة الكبرى في تونس في الفترة الممتدة ما بين 1873م إلى 1877م لاسيما في المجال العلمي، حيث نظم التعليم في جامع الزيتونة، وأنشأ أول مدرسة عصرية في تونس سميت بالصادقية[57].

زيادة على ما سبق؛ دعا كل من أحمد ابن أبي الضياف ومحمد بيرم الخامس إلى التحديث من خلال حركة التأليف. حيث ألّف الأول كتاب "**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**"بأجزائه الثمانية[58]،والذي ينظر إليه على أنّه تجاوز وصف المسالك والمشاهدات البسيطة إلى التركيز على مقومات الحضارة الأوروبية من مبادئ إنسانية

(الحرية ، العدالة ...)، وأنظمة سياسية واقتصادية، وأنماط فكرية. كما تضمن تحليلا وتبيانا لأسباب التفوق الأوروبي، وأسباب التخلف الذي تعانيه المجتمعات الإسلامية عامة والمجتمع التونسي بشكل خاص[59].

أما بيرم فألّف كتاب سماه بـ:"**صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والأقطار**"، والذي يقع في 05 أجزاء[60]. ضمن فيه آراءه وتحليلاته لواقع بلاده وأوضاع العالم الإسلامي المحيط به، في مقابل نقل انطباعاته عن أحوال الغرب التي عاينها عن كثب.حيثاعتنى فيه بمظاهر الحضارة الغربية التي تأثر بها، ودعا إلى ضرورة الاقتباس والإقتداء بتلك الحضارة، وبتحديث الأنظمة بغية إصلاح أوضاع بلده والمجتمعات الإسلامية وذلك من خلال عرضه لانطباعاته حول مظاهر العمران والسياسة والثقافة في البلاد الأوروبية، إذ يقول في مقدمة الكتاب: "... **فجبت بحارا وقفار ومدنا وأمصارا على حسب ما يسره المقدور...ورأيت بعيني البصر والبصيرة،أمورا عجيبة وخطيرة أحببت نظمها في عجالة حفظا لها من الإهمال ...فلّعل الله بفضله يفيد بها اهل وطننا وإخواننا المسلمين**"[61].

ساهم كذلك بيرم الخامس في تحديث عدّة ميادين حساسة مثل التربية والثقافة والتعليم والشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصاد، إذ تولى عدّة مناصب في الدولة خاصة في فترة الوزارة الكبرى التي تولاها خير الدين[62]، ولعلّ أهمها ترأسه لجمعية الأوقاف، وإشرافه على بعث المستشفى الصادقي أول مستشفى عصري في تونس، إلى جانب مشاركته في بعث المدرسة الصادقية، فضلا عن إدارته للمطبعة الرسمية وإدارة الجريدة التي تصدرها المعنونة بـ "الرائد التونسي". بالإضافة إلى مساهمته في إنشاء المكتبات وعضويته في العديد من اللّجان الاستشارية والجمعيات الخيرية. بالإضافة إلى ما كتبه من كتب ومقالات، حيث صنّف حوالي 16رسالة علمية، وكتب عشرات التقارير في إصلاح التعليم والأوقاف والصحافة والقضاء والسياسة والعقيدة[63].

4. الخاتمة:

مما لا شك فيه أنّ إشكالية التحديث كظاهرة حضارية وكمعضلة فكرية ذات دلالات تعبيرية متعدّدة، تبقى من أخطر القضايا التي شغلت ولا تزال تشغل بال أرباب الفكر والقلم الذين كتبوا عنها بشكل عام أو خاص.إذ كثرت الآراء حول هذه الظاهرة، وتنّوعت بتنوع المفكرين.لكن تبقى الرؤى الإصلاحية التي قدّمتها النخبة الفكرية في القرن 19موفي مقدمتها النخبة المصرية والتونسية، الأصل في تفسير منطلقات هذا المشروع وأسسه المعرفية.ذلك لأنّ تلك النخبة صاغت نظرياتها على أساس النزعة المعرفية وليس الإيديولوجية ولا حتى القطرية.

فانبثاقها من داخل الفضاء الأكاديمي بجامعات الأزهر والزيتونة بالإضافة إلى المدارس الحربية الحديثة، أهلّها لأن تشكل نخبة ناضجة تمتلك من الكفاءة العلمية ما مكنّها من تشخيص الداء الاجتماعي والسياسي، والبحث في أسباب التأخر والانحطاط والتخلف العربي الإسلامي، ومحاولة فهم أسباب التقدم الأوروبي. بالإضافة إلى مقاومة نظام الحكم المطلق والمطالبة بدساتير تحول الملك من ملك مطلق إلى ملك مقيد بقانون، مع الدعوة إلى التجديد الديني والفكري ومحاولة التوفيق بين الشريعة الإسلامية والاقتباس من الحضارة الأوروبية،فشكلّت بذلك فاعل قويا في بلورة المشروع التحديثي.

وتجسّد ذلك في ظهور لأول مرّة في البيئة الإسلامية عامة ومصر وتونس بشكل خاص نظما قانونية جديدة كالدستور والبرلمان، وأخرى اقتصادية كالمصارف والشركات، ولأول مرة؛ تطرح فكرة الوطن وحب الوطن بالمعنى القومي الحديث الذي يقوم على التعصب لمساحة محدودة من الأرض. ولأول مرة ظهر الاهتمام بالمرأة وتعليمها، والاهتمام بالعلم والعلوم، وإقتناء الكتب وإنشاء المدارس و الكليات العلمية والحربية، وإرسال البعثات في مقابل استقدام الأجانب ذوي الخبرات العسكرية أو العلمية، دون أن ننسى تلك الحركة التي عرفت نشاطا

كبيرا والمتمثلة في حركة الترجمة، حيث تم ترجمة العديد من الكتب الأوروبية إلى العربية، والتي وسعت بدورها دائرة التعامل مع الأدوات الثقافية من مطابع وكتب ومجلات.

لكن علينا الإعتراف أنّ تلك النتائج كانت على مدى محدود حيث سرعان ما فشل المشروع التحديثي الذي اقترحته النخبة مشكلاّ _ رغم أهميته_حلقة ضعيفة في التطور العربي الإسلامي، إذ سرعان ما شهد تراجعا ملحوظا يأخذ ولا يعطي، يتأثر ولا يؤثر، يجتر ولا يبدع، فلم تتمكن من العودة من جديد، ولا اللحاق بما وصلت إليه أوروبا من تقدم كبير في ميادين متعدّدة أبرزها التقدم التقني. خلافا للتجربة اليابانيةالتي استطاعت في ظرف قصير أن تتخطى معوقات التحديث، فتجنبت البقاء في العزلة التي فرضتها الأفكار الموروثة من جهة؛ والانفتاح المبالغ فيه للحضارة الغربية، فتنفصل عن انتمائها الحضاري والديني وتقع فيما يعرف بالتغريب من جهة أخرى.

ولعلّ السبب راجع إلى قضية التعامل مع الحضارة الغربية كما أشار إليها مالك بن نبي، فالمجتمع العربي الإسلامي _وفي مقدمته النخبة الفكرية _ ظل مجتمعا متخلفا يتخبط في جدلية التراث والحداثة التي فرضها تصادم العامل الديني مع المؤثرات التغريبية التي تسربت مع الاستعمار الأوروبي لأنّه لم يستطع التعامل مع الحضارة الغربية تعاملا علميا ونقديا. في حين ترك اليابانيون القشور واهتموا بالجوهر، فتمكنوا من استيعاب العلوم الغربية التي تمثل سر شموخ حضارتها، دون أن يؤدي ذلك بهم إلى فقدان هويتهم والسقوط في التبعية والتقليد. كما أنّ العرب وقفوا موقف الزبون من الحضارة الغربية، فاستوردوا منها الأشياء. بينما وقف اليابانيون موقف التلميذ، فاستورد منها الأفكار.

5. المصادر والمراجع:

المؤلفات:

- بابائي حبيب الله وآخرون، الحضارة والحداثة في الفكر العربي المعاصر، ط1، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي2014م).
- بلقزيز عبد الإله، من النهضة إلى الحداثة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009م).
- بيرم الخامس محمد،صفوة الإعتبار بمستودع الامصار والأقطار، ج 02، تحقيق: علي بن الطاهر الشنوفي، (تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة،1999م).
- التونسي خير الدين، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم: محمد الحداد، (القاهرة– بيروت: دار الكتاب المصري —دار الكتاب اللبناني2012م).
- التيمومي الهادي، تونس والتحديث 1831_1877 أول دستور في العالم الإسلامي، (تونس: دار محمد علي حامي، 2010م).
- جدعان فهمي، المقدس والحرية وأبحاث ومقالات أخرى من أطياف الحداثة ومقاصد التحديث، ط 1، (الأردن: دار الفارس 2009م).
- جدعان فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ط 3، (القاهرة: دار الشروق، 1988م).
- حجازي محمد فهمي، أصول الفكر العربي الحديث عند رفاعة رافع الطهطاوي، ط1، (القاهرة: دار غريب، د .ت).
- حسن محمد عبد الغني ، حسن العطار، ط 2، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
- حسن محمد عبد الغني والدسوقي عبد العزيز ، روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية دراسة نقدية تحليلية، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1925م.)
- أبو حمدان سمير، رفاعة رافع الطهطاوي رائد التحديث الاوروبي في مصر، (بيروت: دار الكتاب العالمي 1996م).
- حوراني ألبرت،الفكر العربي في عصر النهضة 1798_1939، ترجمة:كريم عزقول، (بيروت: دار النهار 1997م).

- رزق يونان لبيب، تاريخ مصر بين الفكر والسياسة، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية2009م).
- زكي أحمد صلاح ، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط 1، (القاهرة: مركز الحضارة العربية 2001م).
- زيادة معن، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1987م).
- ساباyارد نازك، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، ط1، (بيروت: مؤسسة نوفل 1979م).
- الطهطاوي رفاعة رافع، تلخيص الإبريز في تخليص باريز، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2012م).
- الطويلي أحمد، التسامح والاصلاح في فكر المصلحين التونسيين، ط 1، (تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم،2005م).
- ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، ج 03، تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، (الجزائر: دار التونسية للنشر والتوزيع،1976م).
- عمارة محمد، مستقبلنا بين التجديد الاسلامي والحداثة الغربية، ط1، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية 2003م).
- عمارة محمد، علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران، ط 2، (القاهرة: دار الشروق1988م).
- الندى أبو الحسن علي الحسني، موقف العالم الاسلامي تجاه الحضارة الغربية، (الهند: المجمع الاسلامي العلمي 1963م).
- مبارك علي، علم الدين، ج 01، الإسكندرية: طبعة جريدة المحروسة 1882م).
- محمد حسين محمد، الإسلام والحضارة الغربية، (د.ب: دار الفرقان، د.س).

- المعاليقي منذر، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، تقديم: ياسين الأيوبي،(لبنان: دار إقرأ، د.ت).
- ابن المنظور، لسان العرب، مج 02، ط1، (بيروت: دار صادر للطباعة،1995م).
-الموسوعة العربية العالمية، مج 06، ط2، (الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة،1999م).

المقالات:

- حامدي مبارك، "إشكالية التحديث في مشروع الجابري الفكري: مقاربة تحليلية نقدية"، مجلة الدراسات الإنسانية والثقافية، مج 01، ع 04، تونس 2015م.
- الحمامي عبد الرزاق، "خير الدين التونسي والفكر الإصلاحي"، مجلة الحياة الثقافية، ع 179، مارس 2007م.
- بن سليمان حسن، "أهم مقومات الفكر الإصلاحي عند خير الدين التونسي"، مجلة الإتحاف، ع 102، تونس جوان 1999م.
- الصعيدي عبد المتعال، " استقبال بعض علمائنا لطلائع الحضارة الأوروبية"، مجلة رسالة الاسلام، العدد 19، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، القاهرة.
- القاسمي فتحي، "الشيخ محمد بيرم الخامس رحلته غربا وشرقا"، مجلة المسار، ع 11 ، تونس أكتوبر 1991م.
- المليتي منور، "مفهوم الدستور عند خير الدين التونسي"، م.ح.ث، ع 60، جانفي 1991م.

الرسائل الجامعية:

- الحكيمي حياة، تجديد الفكر الديني ومواكبة مستجدات العصر عند ابن أبي الضياف، مذكرة ماجستير، جامعة الزيتونة، تونس 2008-2009م.
- الصغير نور الدين، إشكالية الحداثة لدى النخبتين التونسية والمصرية في القرن التاسع عشر، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الزيتونة، تونس 1992_1993م.

- الصولي علي، أسس التفكير لدى محمد بيرم الخامس من خلال كتابه : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، رسالة دكتوراه مرحلة ثالثة، ج 01، جامعة الزيتونة، تونس 1995_1996م.

- عوادي مسعود، استكشاف الرحلات التونسية والجزائرية للفكر الاوروبي ونقله إلى المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 02، الجزائر 2010_2011م.

المؤلفات الأجنبية:

-JeanBeaudrillard, Encyclopédia Universalis, corpus 15, Paris, 1992.

6. هوامش:

(1)نور الدين الصغير، **إشكالية الحداثة لدى النخبتين التونسية والمصرية في القرن التاسع عشر**، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الزيتونة، تونس1992_1993م، ص 53.

(2) *JeanBeaudrillard, **Encyclopédia Universalis**, corpus 15, Paris, 1992, 552_553.*

(3)ابن المنظور، **لسان العرب**، مج02، دار صادر للطباعة،بيروت، ط1995،1م،ص 131.

(4)*Beaudrillard, Op cit.*

(5)نور الدين الصغير، المرجع السابق، ص 53.

(6)**الموسوعة العربية العالمية**، مج 06، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط1999،2م، ص 115.

(7)نفسه، ص 116.

(8)عبد الإله بلقزيز، **من النهضة إلى الحداثة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ت،2009م، ص 09_12.

(9)معن زيادة، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ت،1987م، ص 135_169.

(10)فهمي جدعان، **المقدس والحرية وأبحاث ومقالات أخرى من أطياف الحداثة ومقاصد التحديث**، ط 1، دار الفارس، الأردن، د.ت،2009م، ص 188 _190.

(11)محمد عمارة، **مستقبلنا بين التجديد الاسلامي والحداثة الغربية**، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، د.ت،2003م، ص 05 _06.

(12)أبو الحسن علي الحسني الندى، **موقف العالم الاسلامي تجاه الحضارة الغربية**، المجمع الاسلامي العلمي، الهند، د.ت،1963م، ص 11_ 17.

(13)عمارة، المرجع السابق، ص 19- 26.

(14)راجع في ذلك:

- حبيب الله بابائي وآخرون، **الحضارة والحداثة في الفكر العربي المعاصر**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ط2014،1م.

- مبارك حامدي، "**إشكالية التحديث في مشروع الجابري الفكري: مقاربة تحليلية نقدية**"، مجلة الدراسات الإنسانية والثقافية، مج01، ع04، تونس 2015م، ص 569_ 589.

(15)عبد المتعالالصعيدي، "**استقبال بعض علمائنا لطلائع الحضارة الأوروبية**"، مجلة رسالة الاسلام، العدد 19، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، القاهرة، ص 307_311.

(16)لميكناستقبالالعلماءللحضارةالأوروبيةالتيكشفتعنهاالحملةالفرنسيةبنفسالدرجةمنالتأثر،فكماكانالشيخ حسنالعطارويشاركهمعجبابماشاهدهمنمنجزاتعلميةفدعاإلىالأخذبها،إلاّأنّمعاصرهعبدالرحمنالجبرتيلميعبّرعنانبها رهالشديدبتلكالمنجزاتفقدأثبتمنخلالمؤلفهعجائبالآثارتحفظاتهالعنيفةبالنسبةإلىبعضالقيمالأخلاقيةوالروحيةوا لاجتماعيةالتيجاءتبهاالحملةالفرنسية،ولميخفموقفهالعدائياتجاهالحملة. أحمد صلاح زكي، **أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1،2001م، ص 21.

(17)فهميجدعان، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**، دار الشروق، القاهرة، ط 3،1988م، ص116_ 117.

(18)محمد عبد الغنيحسن، **حسن العطار**، دار المعارف، القاهرة، ط2، دون تاريخ،ص 75.

(19)من أهمالدراسات العربية المعاصرة: سمير أبو حمدان،**رفاعة رافع الطهطاوي رائد التحديث الاوروبي في مصر**،دار الكتاب العالمي،بيروت1996م.وأيضا: محمد فهمي حجازي، **أصول الفكر العربي الحديث عند رفاعة رافع الطهطاوي**، ، دار غريب، القاهرة،ط1، د .ت.

(20) منذر المعاليقي، **معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية**، تقديم: ياسين الأيوبي، دار إقرأ، لبنان، د.ط،د.ت ، ص 67.

(21)من أشهر الأوروبيين الذين اطلع الطهطاويعلى مؤلفاتهم: فولتير*Voltaire*(1694-1778م) وكتابه معجم الفلسفة، وبعض مؤلفات جون جاك روسو *Jean-JacqueRousseau*(1712-1788م) وخاصة "عقد التأنس والإجتماع الإنساني"،"وروح الشرائع" لمونتسيكيو *CharleMontesquieu*(1689_1755م)

وغيرها. أنظر: نازك سابايارد، **الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة**، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1979،1م، ص 23.

(22) محمد عمارة، **علي مبارك مؤرخ ومهندس العمران**، د.ش، القاهرة، ط 1988،2م، ص 170_171.

(23)الهادي التيمومي،**تونس والتحديث 1831_1877 أول دستور في العالم الإسلامي**،دار محمد علي حامي،تونس، د.ط،2010م، ص 180.

(24)خير الدين التونسي، **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، تقديم: محمد الحداد، دار الكتاب المصري —دار الكتاب اللبناني، القاهرة —بيروت، د.ط،2012م ص 11.

(25)محمد بيرم الخامس،**صفوة الإعتبار بمستودع الامصار والأقطار**، ج 01 و02، تحقيق: علي بن الطاهر الشنوفي،ج 02، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، د.ط،1999م، ص 88_91.

(26)ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان**،ج 03، تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، دار التونسية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط1976م، ص 92 _ 113.

(27) محمد حسين محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، دار الفرقان، د.ب، د.ط، د.س،ص 18_19.

(28)ألبرت حوراني،**الفكر العربي في عصر النهضة 1798_1939**،ترجمة:كريم عزفول،دار النهار، بيروت، د.ط،1997م، ص 122.

(29)نفسه، ص 90_91.

(30)أحمد صلاحزكي، مرجع سابق، ص 42.

(31)علي مبارك، **علم الدين**، ج 01، مطبعة جريدة المحروسة، الإسكندرية، د.ط،1882م، ص 321_346.

(32)عبد الرزاق الحمامي، "**خير الدين التونسي والفكر الإصلاحي**"، مجلة الحياة الثقافية، ع 179، مارس 2007م، ص 57_64.

(33)أحمد الطويلي، **التسامح والاصلاح في فكر المصلحين التونسيين**، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، ط 1، تونس 2005م، ص 84.

(34)منور المليتي، "**مفهوم الدستور عند خير الدين التونسي**"، م.ح.ث، ع 60، جانفي 1991م، ص 102_107.

(35)حسن بن سليمان، "**أهم مقومات الفكر الإصلاحي عند خير الدين التونسي**"، مجلة الإتحاف، ع102، تونسجوان 1999م، ص 30-39.

(36)التونسي، مصدر سابق، ص 62_63.

(37)نفسه، ص 17.

(38)نفسه، ص 35 _ 42.

(39)نفسه، ص 16.

(40)الطويلي، المرجع السابق، ص 40.

(41)حياة الحكيمي، **تجديد الفكر الديني ومواكبة مستجدات العصر عند ابن أبي الضياف**، مذكرة ماجستير، جامعة الزيتونة، تونس 2008-2009م، ص 72.

(42)الطويلي، المرجع السابق، ص 31_33.

(43)نفسه، 39 _ 40.

(44) فتحي القاسمي، " **الشيخ محمد بيرم الخامس رحلته غربا وشرقا**"، مجلة المسار، ع 11 ، تونس أكتوبر 1991م، ص 10_121.

(45)المرجع نفسه.

(46)علي الصولي، **أسسالتفكير لدى محمد بيرم الخامس من خلال كتابه : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، رسالة دكتوراه مرحلة ثالثة، ج 01، جامعة الزيتونة، تونس 1995_1996م، ص 130_180.

(47)نفسه، ص 192_235.

(48)نفسه، ج 02، ص 434_442.

(49)نفسه، ص 482_485.

(50)التيمومي، المرجع السابق، ص 190_192.

(51)الطهطاوي، **تلخيص الإبريز في تخليص باريز**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط،2012م، ص 12.

(52)يونان لبيب رزق، **تاريخ مصر بين الفكر والسياسة**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ط،2009م، ص 34.

(53)كتاب علم الدين لمحمد مبارك هو تلك الرواية التي يسجل فيها صاحبها رحلة يقوم بها شخصيتان رئيسيتان من الشرق وهما علم الدين بطل الحكاية وابنه برهان الدين إلى أوروبا بصحبة مستشرق إنجليزي يريد مساعدة أحد علماء الدين واللغة العربية في ترجمة كتاب لسان العرب لابن المنظور، فيتفق الأب وابنه على القيام بالمهمة نظير ذهابهما إلى أوروبا والتعلم بها ومعرفة الحياة في كل مناحيها بصحبة ذلك المستشرق. أنظر: مبارك، المصدرالسابق، ص 321_ 346.

(54)للتوسع أنظر: محمد عبد الغني حسن وعبد العزيز الدسوقي، **روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية دراسة نقدية تحليلية**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د.ط،1925م.

(55)عمارة، **علي مبارك** ...، مرجع سابق، ص 07.

(56)التونسي، مصدر سابق، ص 66_67.

(57)نفسه، ص 11.

(58) ألّف ابن أبي الضياف كتاب إتحاف أهل الزمان بين سنتي 1862و1872م، ولم يطبع إلا في عهد تونس المستقلة بين 1963و1966م،

(59) مسعود عوادي، **استكشاف الرحلات التونسية والجزائرية للفكر الاوروبي ونقله إلى المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 02 ، الجزائر2010_2011م، ص 46 .

(60) حرّر محمد بيرم الخامس كتاب صفوة الاعتبار في السنوات التي قضاها بإسطنبول بين سنتي (1880_1884م)، وتم طبع الأجزاء الأربعة الأولى من الكتاب في مطبعته الخاصة " المطبعة الإعلامية " بين سنتي (1884 _ 1885)،وطبع إبنه الجزء الخامس في مطبعة " المقتطف" بين سنتي (1893 _1894م).

(61) بيرم الخامس، المصدر السابق، ج 01، ص 24.

(62)الصولي، المرجع السابق، ج 02، ص 414_430.

(63)نفسه، 334_382.

مساهمة المؤسسات الثقافية في نشر الوعي الوطني لدى الجزائريين

نادي النجاح بمدينة سيدي بلعباس أنموذجا (1934–1954)

Contribution of cultural institutions in spreading awareness among Algerians

El-najah club in the city of Sidi Bel Abbes as a model

(**1934–1954**)

عبد الحق كركب

جامعة تيارت- الجزائر Kerkeb_abdelhak@yahoo.com

تاريخ الاستلام: **2021/02/11** تاريخ القبول: **2021/06/11** تاريخ النشر: **2021/06/30**

ملخص:

يعتبر نادي النجاح المؤسس بمدينة سيدي بلعباس سنة 1934 والمدشّن على يد العلامة البشير الإبراهيمي، بمثابة بذور ونواة النهضة الوطنية، وأحد أسلحة الجزائريين للمقاومة الثقافية، أين إلتف جموع الشباب فيه طواعية رغبة منهم في نهل ما يحمله من ثقافة ووعي وطني تهدف إلى اليقظة.

الهدف من هذه الورقة العلمية هو معرفة معالم طريق النهضة الإصلاحية بمدينة سيدي بلعباس، باعتبارها جدار الصد الثقافي التربوي وطوق النجاة لمختلف شرائح المجتمع كونه النواة الأولى في الإصلاح بمختلف جوانبه، ودافعا أساسيا نحو الوعي التحرري. ومن النتائج المستقاة عبر تحريرها هو إظهار الحقيقة التاريخية لهذه النوادي والجمعيات، فكان شباب مدينة سيدي بلعباس تواقا لها ويجد فيها ملاذه التحرري عبر تزوده من تعلم اللغة العربية والإطلاع على الثقافة الدينية والاجتماعية والمشاركة في النوادي الرياضية، واعتكافه، وتردده المتواصل مختلف الدروس والمحاضرات المنشطة باللغة العربية، وما يعقد فيها من ندوات واجتماعات.

الكلمات الدالة: نادي النجاح؛ النهضة الإصلاحية؛ المقاومة الثقافية؛ النزعة الثقافية؛ سيدي بلعباس.

Abstract:
El-najah club wasfounded in the city of Sidi bel abbes in 1934 and inaugurated by Mohamed Bachir El Ibrahimi, was considered as the seeds for national renaissance, and one of Algeria's weapons for the cultural resistance where the young gathered and volunteered to learn from what it held from culture and national awareness.

The purpose of this scientific paper is to know the milestones of the renaissance in the city of Sidi Bel Abbes, considering it as cultural and educational shield and the life raft to the community for being the main core to the reformation of all aspects and the essential motive for consciousness.In addition, from the results of this paper.Is to show the historical truth of these clubs and societies, where the young found refuge to learn Arabic and getting involved with religious and social culture, participated in sports and attendinglectures and seminars.
Keywords: El-najah club; Renaissance reform; Cultural resistance; Cultural tendency; Sidi Bel Abbes.

1. مقدمة:

انكبت دراستي على تبيان دور النهضة الأصيلة وتأثيرها على الوجه المحلي لمدينة سيدي بلعباس، كونها تعد دعامة أساسية تاريخية فكرية لا مناص من التعريف بها للباحث في التاريخ والتراث التاريخي الوطني، ولتمكين القارئ من التطلع عليها في ظل الزخم الفكري المعاصر، ولتوطيد العلاقة بين الأجيال التي غرست فسيلة التنوير الإصلاحي بالمدينة، وما هو شاهد اليوم كصرح ديني قائم بجدرانه، ليست طلولا من التراب بل معالم تاريخية يهتدي بها عند البحث، وليست كصخر بل وقع خطى رجال، وآثار صنعت جزءا نيرا من تاريخ المدينة التي رفضت الإدماج والهوان، وكانت حلقة قوية في الكفاح بكل أشكاله صامدة ضد فلول الاستعمار، ضاربة عبودية الفكر وظلام الجهل إلى التمسك بنور العلم والمعرفة، لتتكلل بتسابق الرجال والنشء إلى توحيد الرؤى في نضال مشترك ترص فيه الصفوف لبلوغ الحرية، بركوب موجة النهضة الثقافية والمقاومة بمختلف أشكالها بالمدينة، متناسقة في الوقت ذاته مع نظيراتها عبر ربوع الوطن حفاظا على الهوية الوطنية والشخصية القومية.

منذ بداية القرن العشرين ظهرت بالجزائر إلى العلن بوادر تكوين النوادي والجمعيات على يد نخبة من العلماء المحافظين المصلحين الاجتماعيين أمثال: عبد القادر المجاوي، عبد الحليم بن سماية، المولود بن موهوب، حمدان لونيسي، عمر راسم، وسعيد بن زكري، الذين حملوا لواء إصلاح الفرد والمجتمع بالعمل على إعادة الاعتبار لقيمه العربية الإسلامية، والحفاظ عليها من الطمس والزوال، وربطه بمحيطه العربي من خلال التواصل الفكري بالحركات المتواجدة في البلاد العربية، متحدين كل الصعاب والظروف التي فرضها الاستعمار الفرنسي، للفوز في معركة الوعي.

فكانت هذه النوادي والجمعيات تهدف بالأساس إلى: نشر التعليم العربي الإسلامي، وحارسا يقضا في دق ناقوس الخطر وتنبيه الجزائريين بالمخاطر المحدقة بهم جراء السياسة الاستعمارية الفرنسية –سياسة الإلحاق والإدماج– والعمل على انتشال المجتمع من مخلفات الجهل والأمية والانحراف وتوجيهه إلى الطريق الصحيح.

فقد عرف وفي تلك الفترة بالغرب الجزائري، وخاصة بمدينة سيدي بلعباس، نوادي بارزة أهمها: نادي النجــاح الذي كان له الفضل الوافر في تحرير وبلورة الفكر الإصلاحي، والاجتماعي والسياسي للجماهير، وبخاصة في فئة الشباب عن طريق نشر التعليم والتوعية، وإعطائهم الفرصة السانحة في إظهار مواهبهم الأدبيــة.

مما سبق ومن الضروري أن أسوق إستفهامين لرفع اللبس ولتنوير درب العلم والبحث في المجــال: ما مدى مساهمة هذه النوادي والجمعيات في نشر وبلورة الوعي الوطني الإصلاحي والسياسي لدى الشعب الجزائري أثناء الفترة الاستعمارية؟ وما الدور الفعلي الذي قدمه نادي النجاح بمدينة سيدي بلعباس كمظهر من ملامح النهضة الفكرية الوطنية لمختلف شرائح المجتمع؟.

2. واقــع النضــال الثقافـي فـي الجزائـر (1919–1954)

عرفت الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي عجزا ثقافيا كبيرا يعود بالدرجة الأولى إلى الأوضاع المتردية التي كانت تعيشها في ظل التضييق على المنشآت والدور الثقافية، مما ساعد على انتشار الجهل والأمية في أوساط الجزائريين، الأمر الذي دفع بهم إلى إتباع العصامية في تثقيف أنفسهم فلجئوا إلى الكتاتيب والنوادي والجمعيات الثقافية، عكس فئة قليلة كان لها الحظ الوافر ممن سنحت لهم الفرصة بإتمام الدراسة خارج الجـزائر.

ولم تشهد الجزائر أي تواجد للنوادي والجمعيات إلا بعد ظهور فكرة التحرر والمواقف المعارضة للاستعمار ومناهضته، خلال القرن العشرين لدى مجتمعات العام الثالث ومنهم الجزائريين من خلال الأحزاب السياسية، حينها استعاد الشعب أنفاسه من التضييق المفروض عليه جراء ما لقيه من اضطهاد وهيمنة من الاستعمار الفرنسي، فكانت –النوادي والجمعيات– نتاجا لحتمية تاريخية من الصحوة الثقافية التي عرفتها الجزائر في ثلاثينيات القرن الماضي هذا بما أقرته الإدارة الاستعمارية، حينها بادر زمرة من الشباب المثقفين إلى إنشاء التكتلات الثقافية والاجتماعية الغير السياسية في شكل نواد وجمعيات والتي اعتبرت بمثابة أولى حلقات نواة الإصلاح والنهضة الوطنية والتي تمثلت في نشر الوعي الفكري والعلمي في صفوف مختلف شرائح المجتمع ، وبالارتكاز على فئة الشباب كالطلاب والحركة الكشفية الإسلامية لتهذيب وصقل القيم والأخلاق الحميدة وكذا الثقافة العربية الإسلامية للوقوف ندا ضد سياسة التجنس والإدماج في الوسط الاستعماري.

فكانت هذه الأخيرة جدار صد ضد كل السموم الفكرية والثقافية التي كان يبثها المستعمر، فعكفت الطبقة الواعية المثقفة من الجزائريين على توجيه الفكر وتصويب الوعي الاجتماعي للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، عن طريق الأسرة الجزائرية، التي سعت الإدارة الاستعمارية جاهدة إلى تفكيك أواصر روابطها العربية والإسلامية بطمس الشخصية وقيمها من خلال الثالوث الرهيب المرض، الفقر، الجهل، ضف إلى ذلك الحملات المسعورة

والممنهجة من قبل الكنيسة ورجال الدين في شكل بعثات التنصير والتبشير عبر مختلف جهات الوطن.

ومن أهم هذه الجمعيات والنوادي الثقافية أصوغ منها على سبيل المثال لا الحصر والتي كانت منتشرة في مختلف أنحاء الوطن: نادي الترقي المؤسس سنة 1927، ونادي الإصلاح المؤسس سنة 1934 بمدينة الجزائر، النادي الإسلامي المؤسس سنة 1935، والجمعية الإسلامية المؤسسة سنة 1936 بمدينة ميلة، وكذا جمعية الشباب الفني المؤسسة سنة 1937 بقسنطينة، وبمدينة تلمسان نجد نادي السعادة ونادي الرجاء، وعن مدينة وهران نجد نادي الفلاح المؤسس سنة 1938، ونادي الشبيبة الإسلامية بمدينة معسكر المؤسس سنة 1930[1]، والتي لقيت ترحابا واستحسانا كبيرين في الوسط الشباني كونها كانت تهدف إلى نشر المعرفة والتنوير الاجتماعي[2]، وبالرغم من قلتها فقد ساهمت بشكل فعال في يقظة الجزائريين[3]، فكان الشباب وبالدرجة الأولى يجد في هذه النوادي والجمعيات مبتغاه ويشبع نهمه المعرفي بالتزود من الثقافة الدينية الإسلامية والاجتماعية من خلال حضوره المتواصل للندوات والمحاضرات والدروس، ولمختلف الاجتماعات، ومشاركته في الدورات الرياضية التي تجرى في شكل منافسة فيما بينها، وإلى تنظيم الرحلات.

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعتبر النوادي العربية الإسلامية همزة وصل بين المدرسة والمسجد[4]، تؤدي وظيفة التربية والتوجيه والإرشاد، وملتقى اجتماعيا ورياضيا ومركزا للتدريب على ممارسة الإسعافات الأولية، وحيزا منيعا متواريا عن أنظار الإدارة الاستعمارية في تبادل ومناقشة الأفكار التحررية السياسية [5]، وكالعادة فرنسا وعبر استخباراتها انزعجت من تردد وتوافد الشبيبة على هذه المراكز التعليمية الأصيلة المناوئة للتواجد الاستعماري بكل حزم تارة بالتطويق وأخرى بالمنع من خلال سن وتطبيق قانون الأنديجينا (**Code de l'indigènat**)،كما حاربت بكل الوسائل توسع المدارس العربية الحرة والسعي إلى القضاء على نشاطها الحيوي، حيال ذلك أصدر وزير الداخلية الفرنسي في سنة 1939 قرارا يمنع فيه

بيع المشروبات الحلال – المباحة- داخل النوادي ولا يكون إلا بترخيص مسبق من السلطات الاستعمارية التي كانت ترفض منح أي تسهيلات.

حري التنويه إليه أن مصدر الدعم المادي الوحيد لتسيير النوادي الثقافية في أداء رسالتها التربوية والتوعية للشباب اعتمدت بالدرجة الأولى على اشتراكات أعضائها فقط، وتارة على هامش الربح المحصل من بيع المشروبات لزوارها، الأمر الذي أرهق كاهلها وأثر سلبا على التسيير إلى أن هجرها أصحابها لعدم وجود ما يجتذبهم إليها، وإلى الرقابة المسلطة والمشددة عليها من طرف الإدارة الاستعمارية.[6]

وجراء هذا العدوان حقق المستعمر الفرنسي مبتغاة الإستراتيجي بضرب اللغة العربية والهوية الإسلامية في الصميم، عن طريق عرقلة الحركة الإصلاحية في الجزائر بتعطيل عمل النوادي التي كانت تسعى إلى تنوير المجتمع وإرشاده تحت قيادة جمعية العلماء المسلمين[7] منذ سنة 1931 على يد مؤسسها العلامة "عبد الحميد بن باديس" مع أعوانه وأتباعه[8]، الهادفة إلى بناء الشخصية الجزائرية في إطار العروبة والإسلام، بالأعمال التربوية والدينية، والسياسية المعتدلة، رغم كل الصعوبات والعراقيل التي اعترضتها فعزيمتها لم تتوانى ولم تكل بل استمرت في نشر منهجها الإصلاحي التربوي، وعقيدتها المذهبية في أذهان التابعين لها، والداعين لتطبيق منهجها[9]، كما تعتبر هذه النوادي بحق بذورا للإصلاح الديني والاجتماعي،[10] وانتشرت النوادي الثقافية في كثير من المدن الجزائرية إلى منطقة سيدي بلعباس نجد نادي النجـــــاح.[11]

3. أهم الجمعيات والنوادي في الغرب الجزائري ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بها.

لقد انتشرت هذه الجمعيات والنوادي في كامل التراب الوطني من الشرق إلى الغرب[12] فكانت الملاذ والمتنفس الحقيقي للطبقة المثقفة تتبادل فيها الرؤى والمعارف وتشحذ فيها الأفكار الإصلاحيـــة،[13] ولتبصر الشعب الجزائري بواقعه المرّ الذي يعيشه، وتدفع به قدما

إلى الأمام نحو التحرر الفكري والسياسي.[14]وعلى سبيل المثال كانت بالقطاع الوهراني: جمعية الصداقة المؤسسة سنة 1912، وجمعية باب علي والجمعية الأخوية بمعسكر.[15]

والملاحظ أن النوادي و الجمعيات لقيت حظها من الانتشار لما لقيته من انصهار الشباب بها لما طابق ميولاتهم وأهواءهم، ومن هذا أسوق الجدول التالي الذي يبين الجمعيات بمنطقة الغرب الجزائري وفق التقارير الفرنسية:[16]

الرقم	اسم النادي	سنة التأسيس	المكان
01	الشبيبة الأدبية الأهلية	1927	معسكر
02	دار الحديث	1937	تلمسان
03	جمعية الفلاح	1937	وهران
04	جمعية التربية والتعليم	1939	وهران
05	جمعية التربية والتعليم	1939	سيدي بلعباس
06	جمعية التهذيب	1944	مستغانم
07	جمعية الفلاح	1946	تيارت
08	جمعية الحياة	1946	وهران
09	جمعية المجد	1946	وهران
10	الجمعية الإباضية	1951	تيارت

كان الدرب الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين متواصلا، فظهرت عدة نوادي ثقافية بالمدن إلتف حولها الشباب[17] أين مست بصداها وتواجدها الأماكن والحواضر الجزائرية،[18]وبالغرب الجزائري انتشرت أيضا الأندية وسايرت النهضة الفكرية والسياسية ففي القطاع الوهراني نذكر منها:

- نادي الشبان الجزائريين 28 مارس 1910م.

- نادي الشباب مستغانم تأسس1913م.
- نادي الشبيبة الجزائرية 1905م، أقدم نادي بتلمسان ذو توجه إصلاحي منذ بدايته.
- نادي اتحاد تغنيف 1911م، وكذا نادي الاتحاد ونادي الإسلامي لكرة القدم بمعسكر.
- نوادي ذات طابع خيري ورياضي مثل الهلال الأحمر الوهراني تحت رئاسة حسين بشطارزي.[19]
- نادي الرياضي أو الشبيبة الإسلامية (**GSMT**)الذي تأسس في مدينة تيارت سنة 1945.[20]

4. مهام الجمعيات والنوادي في صنع الوعي الإصلاحي والسياسي:

إن فكرة إنشاء النوادي والجمعيات الوطنية الجزائرية جاءت لخدمة الأهداف الاجتماعية والثقافية لبلوغ النهضة الفكرية من أجل بلورة الوعي السياسي للوصول إلى الاستقلال،[21] ورفع صداها إلى أكبر عدد ممكن من المواطنين الجزائريين،[22] فالاتصالات والاجتماعات كانت وسيلة ودعامة في تكوين العلاقات الجديدة بين المنظمين فيها لتبادل الآراء ومناقشة القضايا الاجتماعية،السياسية والدينية[23] بهدف نشر العلوم بين أوساط الجماهير، [24] بالإضافة إلى توسيم روادها بمحاسن الإسلام واللغة العربية،[25] من خلال المشاركة في تنشيط وتنظيم محاضرات لتهذيب الأخلاق في مجال التوعية والتحسيس بمخاطر الخمر والقمار ومحاربة الخرافات والتعصب، وكانت مركزا للالتقاء لبعض العناصر البرجوازية، وللأطباء ومساعديهم، التجار، الأساتذة وحتى صغار الموظفين،[26] فكان نشاطها شبيه بالمنتديات الأجنبية والعلمية بالمشرق،[27]حيث تمثلت أنشطتها في ميدان التعليم والتوعية وتنشيط الشباب وحمايته من الانحراف، كما عالجت قضايا الفكر المعاصر من تراث وطب،[28] وكذا التعليم، القراءة والكتابة ومبادئ اللغة العربية والدين الإسلامي، وتعليم التاريخ والجغرافيا، الموسيقى،

المسرح، إلقاء المحاضرات، قراءة الأشعار، الندوات الأدبية، وإقامة المهرجانات الخطابية والحفلات،[29] زيادة على ذلك كان لها نشاطات تندرج ضمن الكشافة الإسلامية.[30] واتخذت مركزا للدعاية، وتقوم بجلسات التكوين والتربية.[31]

وعلى العموم كانت هذه الجمعيات والنوادي تؤذي وظيفة المدرسة، وخلوة للأحاديث وملتقى اجتماعي[32] لتربية الشعب وتثقيفه.[33]

كما ساهمت في نهضة الجزائر عامة وأدت إلى تطوير الوعي السياسي للجزائريين من خلال النشاطات التي كانت تؤديها،[34] فهي بذلك تعبر عن قوة عميقة،[35] حملها منهاجها ورجالاتها بهدف التحرر الفكري والعقائدي والوطني.

5. نادي النجاح، دوره في إصلاح الشباب والمجتمع

في سنة 1355هـ الموافق لـ 1934، تم تأسيس نادي النجاح بمدينة سيدي بلعباس، وفتح أبوابه للعامة بالطابق العلوي من بناية العسولي، بنهج الإخوة الثلاث عميروش برقم 29 بحي الأمير عبد القادر –حي القرابة الشعبي حاليا-، بموازاة مع النهضة الإصلاحية والثقافية والسياسية التي عمت البلاد، رغم أن مؤسسيه كانوا من المثقفين باللغة الفرنسية، ونادرا ما يوجد فيما بينهم ممن يحسن القراءة والكتابة باللغة العربية، مع إغفالهم لأبجديتها، بيد أن الوازع والشعور الوطني المفعم بالوطنية والمواطنة والروح العربية الإسلامية المتشبعة بالتقاليد العريقة الموروثة عن الآباء والأجداد ، كان ميلاد هذا المركز الحيوي دافعا أساسيا إلى العمل على تثبيت الهوية الوطنية المعطلة إداريا، وترسيخ انتماءاتها الحضارية،[36] ليصبح ملاذا يقصده الشبان والشيوخ على حد سواء ليقضوا فيه أوقات فراغهم في المسامرة، والمذاكرة وتبادل الآراء، والحِكم، وكان لاحتكاكهم بالمثقفين والاستفادة منهم، في التوجيه والمطالعة على الكتب، والمجلات، والمنشورات، التي ترد وتصنف بمكتبة النادي.[37]

ويؤكد "أحمد الخطيب" في كتابه **'جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي'** بأن: **(نادي النجاح يعد من أهم النوادي الثقافية وأهمها في المنطقة، وبمدينة سيدي بلعباس والتي شهدتها منذ بدايتها، وهذا ما يدل على أن النهضة الثقافية كانت جارفة، أين شملت كل الميادين فهو يعتبر مهد النزعة التحررية والإصلاحية بالمنطقة).**[38]

ويردف قائلا: **(أن الحركة الإصلاحية دخلت إلي مدينة سيدي بلعباس على يد الداعية الأول الأستاذ مصطفى بالحلوش)**[39] العضو الإداري لجمعية العلماء الجزائريين، الذي سهر على تنظيم أوقات النادي، فخصص لكل فئة من الفئات الطالبة للعلم أوقات يترددون عليه ويتلقون فيه دروسهم.[40]

كما تحدث "عمار هلال" في كتابه **'**الحركة الإصلاحية الجزائرية**'** عن تأسيس هذا النادي، وذكر بأن الشيخ "البشير الإبراهيمي"[41] عندما كان في زيارة لمدينة سيدي بلعباس، عين لجنة محلية للجمعية أوكل لها مهمة بناء مسجد ومدرسة خلال نهاية سنة 1934، فقامت ذات اللجنة وبمعية "العلامة الإبراهيمي" بتدشين النادي.[42]

كما يؤكد الكاتب أن الشيخ الإبراهيمي: ألقى بالنادي محاضرة على العامة حضرها 150 شخصا، ويضيف أنه استقبل من طرف أنصار الحاج محمد الهادي السنوسي الذي رحب به وقدمه للجمهور ومنح له الكلمة، وكان موضوعها تفسير لآيات من القران الكريم.[43]

فقد كتبت الشرطة الاستعمارية كثيرا عن تنقلات"الشيخ الإبراهيمي" وزياراته لمنطقة سيدي بلعباس منها في 24 نوفمبر 1949 وهو قادم من العاصمة من أجل مواصلة الإصلاح فكان من بين المستقبلي له كل من: "حضري سيد أحمد تاجر" في المنطقة "ورايس الغالي" أحد رؤساء المدرسة الإصلاحية.

كانت مدينة سيدي بلعباس محطة يمر عليها وفد جمعية العلماء المسلمين في عمالة وهران بحكم قربها من تلمسان حيث جاء في سياحة وفد جمعية العلماء المسلمين وبعد صلاة الظهر خرج الوفد قاصدا سيدي بلعباس قادما من مدينة معسكر وبعد ساعتين حط رحاله في نادي

المصلحين نادي النجاح، وقد وجد في انتظاره جماعة من المصلحين وبينهم الأستاذ "**البشير الإبراهيمي**" الذي قدم من تلمسان في صباح ذلك اليوم (الخميس) وفي الساعة التاسعة ليلا انعقد الاجتماع في نفس النادي فاكتظت رحاله على اتساعها بالوافدين وقام "**الشيخ مصطفى**" بتقديم أعضاء الوفد ثم أحال الكلمة" **للشيخ العربي التبسي**" فألقى درس بليغا في قوله تعالى: «**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**» -سورة النساء، الآية 13-.

ثم خطب "**الشيخ الزموشي**" في واجبات الأمة نحو الجمعية، ثم الشيخ الإبراهيمي في مبادئ الجمعية ومواقفها التاريخية مع خصومها وخصوم الأمة واعتذر "**الشيخ مصطفى**" عن الكلام لضيق الوقت وأشار على الناس بانصراف فانصرفوا متفائلين بمستقبل سعيد، حيث بات الوفد في مدينة سيدي بلعباس وفي الصباح رحل "**الشيخ البشير الإبراهيمي** "إلى تلمسان والوفد إلى مستغانم.[44]

وما زاد من نشاط النادي وحيوية هو انضمام الأديب والشاعر الشيخ "محمد الهادي السنوسي" إليه،[45]مما وسع من دائرة تعليم اللغة العربية بمناهج علمية، ليعتمد النادي مقرا لتدريسها والداعي إلى نشر تعاليم النهضة الإصلاحية التي تبناها الإمام الشيخ "عبد الحميد ابن باديس"[46]وتلامذته.

وفي سنة 1937 تحول النادي إلى مقره الأخير بالطابق العلوي من بناية الرايس الواقعة في شارع علي بن أبي طالب بنفس الحي المسمى الأمير عبد القادر، أين واصل الشيخ "الهادي السنوسي" بكل جدية نشاطه إلى حين استجابته للوظيفة التي عرضت عليه بالإذاعة الوطنية الخاضعة أنداك للإدارة الفرنسية، فخلفه "مصطفى بالحلوش" الأستاذ المتميز بالزهد والتقوى كما وصفه زملاؤه والغزير بالعلم والمعرفة المتشبع بالوطنية، أين أخد المستخلف على عاتقه مواصلة نهج سابقيه في المجال.

ويعتبر هذا نادي النجاح بمثابة بذور ونواة النهضة الوطنية، وأحد أسلحة الجزائريين للمقاومة الثقافية، أين إلتف جموع الشباب العباسي فيه طواعية رغبة منهم في نهل ما يحمله من ثقافة ووعي وطني تهدف إلى اليقظة، فقد عرف وفي تلك الفترة بالغرب الجزائري، وخاصة بمدينة سيدي بلعباس، نوادي بارزة أهمها هذا النادي نادي النجــاح الذي كان له الفضل الوافر في تحرير وبلورة الفكر الإصلاحي، والاجتماعي والسياسي للجماهير، وبخاصة في فئة الشباب عن طريق نشر التعليم والتوعية، وإعطائهم الفرصة السانحة في إظهار مواهبهم الأدبيــة.[47]

وعلى هذا المنوال تعدى نشاط النادي حدوده المادية والبشرية وغطى أماكن نائية خارج المدينة، مما مكن رجاله المناضلون ومن أعيان المدينة من أمثال: الغوثي بلامي، أحمد علال، ومحمد بن طالب، من تحقيق أمنيتهم المتمثلة في بناء مؤسسة تربوية وتشييد مدرسة "التربية و التعليم" بالقرب من النادي في سنة 1942 واكتمل بناؤها سنة 1945 ولم يتقرر فتح أبوابها إلا في 20 أكتوبر 1947 وقد يعود سبب التأخير لأحداث الحرب العالمية الثانية، وقد وتم تسليم مفاتيحها إلى جمعية العلماء المسلمين، وأقيم بالمناسبة حفلا بهيجا حضره جمع غفير يتقدمه الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أم بالمصلين في أول صلاة جمعة بالمدرسة،[48] وقد تدرج وتعاقب على تسيير وتكوين الطلبة بهذه المدرسة نخبة من المدراء منهم: "**محمد القباطي**"، هذا الأخير يعتبر من أحد أبرز الرجال التي مارست الإصلاح الثقافي والفكري والديني والتحرري الرافض للوجود الاستعماري بمدينة سيدي بلعباس، وهو من أهم رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمنطقة، عين إماما بها لصلاة الجمعة، ومديرا على تسيير شؤونها من سنة 1951 إلى 1956، وخلال إشرافه عليها أظهر الإمام فنا مشرفا في التسيير وبطريقة حديثة، فتدفق الإصلاح في أوساط عقول شرائح المجتمع العباسي[49] وعن خطبه التي كان يلقيها في منبر يوم الجمعة بجامع المدرسة يحي القرابة الشعبي: "أنه كان يرتجل في سرد المقالات ويعتمد على أسلوب القصص والحكايات للدلالة والبيان الممزوجة بالحماس يحث من خلالها الناس على

الإصلاح وحب الوطن والدفاع عنه، وكان ينتقي الدروس التاريخية والحماسية ويربطها بالمرجعية الإسلامية وكان يتعامل مع الاستعمار بأشكاله ولا يهابه".[50]

فكان النادي بمثابة الأرضية والانطلاقة الرسمية لشباب المدينة في تشكيل مدرسة التربية والتعليم، والجمعية الأدبية للشبيبة الإسلامية ومنه تم تشكيل فوج "الأمـل" للكشافة الإسلامية وجمعية الجزائرية للعرفان الخيرية.[51]

أوضح وأؤكد أنه من ثمار الإخلاص الوطني، ذاع صيت النادي وتلعلع صداه في الأوساط الاجتماعية وتواترت نتائجه في تثقيف الشباب فلقي القاعدة الأساسية، فانبثقت عنه جمعيات ثقافية فتية توعدت بمستقبل مشرق للمجتمع وللوطن وأسرد منها:

- الجمعية الأدبية للشبيبة الإسلامية المؤسسة بمدينة سيدي بلعباس سنة 1935.
- الفوج الأول للكشافة الإسلامية المسماة –كشافة الأمل–.
- جمعية العرفان الخيرية (1949–1951).

نجم عن النادي هيئات فرعية تابعة له تمثلت في الجمعية التي ترأسها "عبد القادر حساني"[52] التي سعى شبابها بكل جهد إلى تكوين مكتبة متواضعة ضمت كتبا ومجلات باللغتين العربية والفرنسية لتوضع تحت تصرف القراء في متناول الجميع وخاصة المجلات الوطنية منها.[53]

وقد سعت الجمعية بكل طاقتها على جذب الشباب التواق إلى تحسين دائرة معارفه بالقدر الذي يؤهله إلى الدفاع عن أفكاره، و بهذا المجهود الفعال مكنت للطلاب الذين قصدوها وللفنانين الذين آثروها عن غيرها، ومن مختلف شرائح المجتمع حتى الشيوخ في المبادرة والمساهمة في إثراء الحوار البناء، والنقاش المتعدد لترقية الفكر والاستفادة من الدروس والمحاضرات الملقاة، والالتفاف حول مائدة المشروبات المطلوبة عوضا من الذهاب إلى المقاهي العامة للاختلاط بالناس والخوض فيمالا طائل منه.[54]

1.6 الفوج الأول للكشافة الإسلامية المسماة –كشافة الأمل –

ولد من رحم نادي النجاح الفوج الأول للكشافة الإسلامية بمدينة سيدي بلعباس سنة 1939 تحت إشراف وقيادة محمد بن الداودي الذي كان عضوا بارزا في جمعية الشبيبة الأدبية، وشارك مع زملائه أمثال السادة: بن غازي الشيخ، مقدم الجيلالي، إلى إيجاد فروع لها في الأحياء والقرى، وتمكن السيد بن الداودي عبر الهيئة الكشفية إلى الارتقاء في سلم المسؤولية العليا على الصعيد المحلي والوطني، وتمكن من توثيق روابطها مع الكشافة الفرنسية المحلية بفروعها في إطار النظام العالمي للكشافة ذات النزعة الإنسانية، وبانضباطه المتواصل ورباطة جأشه وسلوكياته القويمة وأخلاقه الرفيعة تمكن من جذب جموعا من الشباب الميال إلى الوطنية، ليقوم بغرس بذور الحماس والوفاء من خلال ترديد الأناشيد والتشبع بالهدف المنشود المتمثل في التحرر وطرد المستعمر.

2.6 جمعية العرفان الخيرية (1949–1951):

تأسست على يد المجاهد "عبد القادر عزة"[55] وكان هدفها جمع المال بطرق شرعية من بعض المتبرعين لمساعدة طلبة مدينة سيدي بلعباس القلائل الذين كانوا يزاولون دراستهم بفرنسا وتونس والمغرب الأقصى وكان عددهم ستة فقط، قصد التغلب عن النفقات المطلوبة منهم، والتي كانت تقف كحاجز في طريق البعض منهم من إتمام دراستهم كونهم من الأسر الفقيرة، أين قام في صائفة 1950 بتكليف طلبة اللغة العربية من الدارسين بتونس وفاس، تقديم عرض مسرحي على خشبة مسرح بلدية مدينة سيدي بلعباس، أين تم جني خمسة وخمسون ألف فرنك فرنسي قديما، بيعت التذاكر بواسطة الطلبة أنفسهم والمحبين للجمعية.[56]

من المؤكد أن المسرحية لقيت نجاحا شعبيا بلغ صداها أحياء المدينة مما دفع بالمواطنين من المطالبة بإعادة تمثيلها لما كانت ترمز إليه من بعد ثقافي واجتماعي.[57]

إذن، كان نادي النجاح بسيدي بلعباس يدرس المبادئ الإصلاحية 'لابن باديس' وعقيدته حيث كان "الهادي سنوسي" يقوم بهذه المهمة في أوساط سكانها، وهذا لدفع

ورفع النهضة الثقافية الإصلاحية في المدينة نحو الأمام تحت شعار: 'الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا'، بهدف بلورة الثقافي والأدبي والتعليم.[58]

7. خاتمة:

إذن، إن إنشاء النوادي والجمعيات الوطنية الجزائرية يعد لبنة ووثبة تاريخية تحررية هادفة لبلورة الوعي الاجتماعي والثقافي والسياسي من أجل بلوغ الاستقلال، وما أحداث 08 ماي 1945 لدليل قاطع لما دعت إليه جمعية أحباب البيان تضامنا مع المجندين لهذا الحدث عبر مدن الوطن تعبيرا منها لدفع فرنسا للوفاء بوعودها للجزائر جراء انتصارها على دول المحور بتحقيق مطلب الحرية، فتجمع المتظاهرون بمدينة سيدي بلعباس من مختلف الجنسين والشرائح والأعمار بالحي الشعبي "الطحطاحة" بساحة الفتح حاليا بحي الأمير عبد القادر حاملين لافتات، ومرددين شعارات وطنية تناسقت فيها دهنياتهم وثقافتهم، مجندة الرأي العام وراءها أين سلموا عريضة المطالب الوطنية إلى نائب العمالة الفرنسية بوسط المدينة، لكن دون جدوى وفي اليوم الموالي تم القبض على المشبوهين لانتمائهم للحركة الوطنية ليزج بهم في سجن "سانطو" بوهران إلى أن تم إطلاق سراحهم وفق العفو السياسي الذين مسهم سنة 1946، فهي قوة التلاحم بين الشعب على اختلاف انتماءاته السياسية ومشاربه الفكرية، ما دعت إليه النوادي والجمعيات للتجند صوب رفض العبودية والتحرر.

لعبت الحركة الوطنية دورا تاريخيا وسياسيا وثقافيا بمدينة سيدي بلعباس مما مكنها بلوغ الريادة والعراقة، والتسهيل في تأسيس العديد من النوادي والجمعيات الثقافية والدينية كنادي النجاح الذي يعود الفضل في تأسيسه إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وإلى نائب رئيسها آنذاك الشيخ البشير الإبراهيمي، والتي كانت تهدف إلى الدعاية ونشر المبادئ وإحياء الأفكار القومية ونشر تعاليم النهضة الإصلاحية.

كان نادي النجاح مثله كمثل المدارس الحرة من حيث التوجيه والتحفيز وشحذا للهمم والمتطلع إلى معرفة أخبار البلاد، المنافس في الأكثر نوعية ومنهجية تربوية وتعليمية عكس

المدارس التقليدية من كتاتيب وزاوايا، ومنه تكونت فطاحل الرجال وجهابذة الفكر ممن وضعوا أسس التحرر، فكان خزانا الرجال من مختلف الفئات والشرائح المثقفة.

في الأخير إيمانا مني ومن خطى التاريخ وشهادات الرجال كان للنوادي والجمعيات صيت فعال من منابرها ومشارب عقولها وممثليها، فألحق فوج الكشافة الإسلامية الرائدة في القيادة نظرا لتميزها بسلوكيات انضباطية عالية، وقدرتها على القيادة، ومعرفتها بطبوغرافيا الأمكنة من ترصد وتوجه في إطار تعرفها على المواقع خلال التخييم، والتدريبات الرياضية المسبقة، والمشابهة للحياة الشبه العسكرية، وحالات الدفاع عن النفس في مختلف الخرجات والرحلات الميدانية الغابية، لتناضل في حزب الشعب الجزائري خدمة للقضية الوطنية بأبعادها السياسية والثقافية، وحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري منذ ظهوره، ثم إلى ثورة التحرير.

8.قائمة المراجع المستعملة:

- **الكتب:**

–أبو قاسم، سعد الله، "**الحركة الوطنية الجزائرية (1900–1930)**"، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

–أبو قاسم، سعد الله، "**الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930**"، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

–أبو قاسم، سعد الله ، "**تاريخ الجزائر الثقافي** "، الجزء الخامس، دار البصائر، الجزائر.

–عمار، هلال، "**أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830–1962)**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

–أحمد، الخطيب، "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

-عبد الكريم، بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية(1931-1945)**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

-رابح، تركي، **"الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر"**، الطبعة الخامسة 1422هـ/2001م، مزيدة ومنقحة، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار.

-رابح، تركي، **"التعليم القومي والشخصية الوطنية"**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1975.

-أحمد، الأزرق، **"النهضة الثقافية الأصيلة في مدينة سيدي بلعباس(1931-1954)"**، الطبعة الثالثة، مطبعة تومي، 2009.

-خالد، مرزوق، المختار، بن عامر، **مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان أثار ومواقف 1907-1931-1956**، طبعة خاصة، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

-أحمد، صاري، **"شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصرة "**، تقديم أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، غرداية ، الجزائر 2004.

-إبراهيم، مهديد، **"القطاع الوهراني مابين 1850 و1919 دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية"**، منشورات دار الأديب.

-لحسن، جاكر، **"نشاط جمعية العلماء المسلمين في مدينة معسكر 1931-1956"** ،دار الغرب لنشر والتوزيع وهران، 2003. شارل، أجيرون، **"المسلمون الجزائريون وفرنسا"**، تر، حاج مسعود ، بلعريبي ،لجزء الثاني ، طبعة خاصة ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر، 2007.

-علي، مراد، **"الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر "**بحث في التاريخ الديني و الاجتماعي من 1925الى 1940 ترجمة محمد يحياتن، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار الحكمة، الجزائر 1999.

-الحواس، الوناس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية (1927-1954)، كنوز الحكمة، الجزائر 2012.

-الشيخ، بوعمران، محمد، الجيجلي، **"الكشافة الإسلامية الجزائرية 1935-1955"**، طبعة خاصة ، دار الأمة ،الجزائر ، 2008.

-محمد، حربي، **"الثورة الجزائرية سنوات المخاض"**، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر 2007.

–محمد الحسن، الفضلاء، " **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر القطاع الوهراني**"، الجزء الثالث، ط1، دار الأمة للطباعة و النشرن الجزائر، 1999.

–رشيد، بن يوب ، "**دليل الجزائر السياسي**"، الطبعة الأولى ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، جانفي 1999.

–علي، نهاري، "**من سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة**"، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2008.

–Bélaid, LACARNE, **«USMBA Story 1933-1971»**, L'Histoire Du Grand Club Bel Abbésier, Imprimerie Toumi- Sidi Bel Abbés.

–Amar, Hellal, **«Le Mouvement Réformiste Algérien Les Hommes Et L'histoire 1830-1957**», Alger 2002.

–Redouane, AINAD TABET, « **Histoire D'Algérie, Sidi Bel Abbés De La Colonisation A La Guerre De Libération En Zone 5 Wilaya V (1830-1962)** », Avec La Collaboration De TAYEB NEHARI, Officier De L' A.L.N, ANP, Edition, Alger1999.

- **المقالات:**

– عبد القادر، بلجة، **إسهامات الشيخ محمد القباطي في الحركة الإصلاحية بسيدي بلعباس (1942–1954)**، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية**، المجلد 6، العدد 12، ديسمبر 2020.

–إبراهيم، مياسي، "**إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية**"، **مجلة المصادر** العدد السادس، السداسي الأول 1423هـ/ مارس 2002، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

– الياقوت، كلاخي، "**انتفاضة 08ماي 1945 بمنطقة تيارت** "،**مجلة عصور الجديدة** ،**العدد 06**، صيف 2012، دار القدس العربي للنشر والتوزيع ،مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي ،جامعة وهران ،الجزائر.

◆ **المجلات:**

- **معالم في طي النسيان –نادي النجاح بمدينة سيدي بلعباس–**، (دون ذكر صاحب المقال)، مجلة أضواء العدد الثالث، 2000، نشرة إعلامية تاريخية فصلية تصدر عن مديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس، مصلحة المحافظة على التراث التاريخي والثقافي.

◆ **الملتقيات:**

- محمد، مجاود، "**الدكتور حساني عبد القادر(1920–1985)**"، الملتقى الوطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1962/1830،الجزء الأول، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر.

- Abdelkader, Hani, « **Le Professeur Azza Un Intellectuel De Sidi Bel Abbes »,** Histoire De La Région De Sidi Bel Abbes, Durant La Période Coloniale (1830-1962), Tome 2, Université Djilali Liabes, Sidi Bel Abbes, Edition Errachad.

◆ **الرسائل الجامعية:**

- سليمان، قريري، **تطور اتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية (1940–1954)**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2011/2010.
- خالد، بوهند، "**الوضع الثقافي وتكوين النخبة بمنطقة سيدي بلعباس خلال الاحتلال الفرنسي (1900–1954)**"، مذكرة ماجستير، تحت إشراف مجاود محمد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2006.
- سمية، سحواج، **الحركة الإصلاحية في القطاع الوهراني ما بين 1936–1956 (تلمسان – سيدي بلعباس أنموذجا)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2016-2017.

◆ **الشهادات الحية:**

- مقابلة مع شقيق الدكتور حساني عبد القادر، السيد حساني مصطفى بمقر سكناه بمدينة سيدي بلعباس يوم 27 فبراير 2016.
- مقابلة مع المجاهد والأستاذ الأزرق أحمد بمقر سكناه بمدينة سيدي بلعباس يوم 25 نوفمبر 2019.

9. هوامش:

[1] عمار، هلال، "**أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830–1962)**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995، ص 279 وما يليها.

[2] أحمد، الخطيب، "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص87.

[3] أبو القاسم، سعد الله ، "**الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930**"، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 ص ص (144- 146).

[4] عبد الكريم، بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931–1945)**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص (150–151).

[5] إبراهيمن مياسي، "**إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية**"، **مجلة المصادر** العدد السادس، السداسي الأول 1423هـ/ مارس 2002 ، مجلة فصلية تعني بشؤون الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص ص (127–151).

[6] أنظر جريدة البصائر: عدد 108، في 1938/04/15.

[7] عبد الكريم، بوصفصاف، المرجع السابق، ص 152.

[8] رابح، تركي، "**التعليم القومي والشخصية الوطنية**"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1975، ص264.

[9] أحمد، الأزرق، "**النهضة الثقافية الأصيلة في مدينة سيدي بلعباس(1931–1954)**"، الطبعة الثالثة، 2009، مطبعة تومي، ص11.

[10] خالد، مرزوق، المختار، بن عامر، **مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان أثار ومواقف 1907–1931–1956**، طبعة خاصة، 2013 دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 25.

[11] أحمد، الخطيب، المرجع السابق، ص ص (226–227).

[12] الياقوت، كلاخي، "**انتفاضة 08ماي 1945 بمنطقة تيارت** "،**مجلة عصور الجديدة ،العدد 06**، صيف 2012، دار القدس العربي للنشر والتوزيع ،مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي ،جامعة وهران ،الجزائر، ص 249.

[13] أحمد، صاري، "**شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصرة** "،تقديم أبو قاسم سعد الله ،المطبعة العربية، غرداية ، الجزائر 2004 ص ص (115-116).

[14] خالد، مرزوق، المختار، بن عامر، المرجع السابق، ص 25.

[15] إبراهيم، مهديد، "**القطاع الوهراني مابين 1850 و1919 دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية**"، منشورات دار الأديب، ص 102.

[16] لحسن، جاكر، "**نشاط جمعية العلماء المسلمين في مدينة معسكر 1931–1956**" ، دار الغرب لنشر والتوزيع وهران، 2003، ص 119.

[17] أحمد، الخطيب، المرجع السابق، ص 88.

[18] شارل، أجيرون، "**المسلمون الجزائريون وفرنسا**"، تر، حاج مسعود ، بلعريبي ،لجزء الثاني ، طبعة خاصة ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر، 2007 ص 710.

[19] إبراهيم، مهديد، "**القطاع الوهراني** "، المرجع السابق، ص ص(101-102).

[20] الياقوت، كلاخي، المرجع السابق، ص 256.

[21] عبد الحق، كركب، "**نشاط الحركة الوطنية والثورة الجزائرية في منطقة سيدي بلعباس**"، تحت إشراف مجاود محمد، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس 2015/2016، ص 145.

[22] سليمان، قريري، **تطور اتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية (1940–1954)**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة 2010/2011، ص 46.

[23] عبد الكريم، بوصفصاف ، المرجع السابق ، ص 150.

[24] سليمان، قريري، المرجع نفسه، ص 46.

[25] علي، مراد، "**الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر** "بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925الى 1940 ترجمة محمد يحياتن، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار الحكمة، الجزائر 1999، ص 378.

[26] شارل، أجيرون، المرجع السابق، ص 711.

[27] سليمان، قريري، المرجع السابق، ص 46.

[28] أبو قاسم، سعد الله، "**تاريخ الجزائر الثقافي** "، الجزء الخامس، دار البصائر، الجزائر، ص (314-315).

[29] الحواس، الوناس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية (1927–1954)، كنوز الحكمة، الجزائر 2012، ص 9.

[30] الياقوت، كلاخي، المرجع السابق، ص 249.

[31] الشيخ، بوعمران، محمد، الجيجلي، "**الكشافة الإسلامية الجزائرية 1935–1955**"، طبعة خاصة، دار الأمة ،الجزائر، 2008، ص 17.

[32] أبو قاسم، سعد الله ، " **الحركة الوطنية الجزائرية (1900–1930)**"، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 177.

[33] محمد، حربي، "**الثورة الجزائرية سنوات المخاض**"، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر 2007. ص 122.

[34] الياقوت، كلاخي، المرجع السابق، ص 256.

[35] محمد، حربي، المرجع السابق، ص 110.

[36] **مقابلة مع المجاهد والأستاذ** الأزرق أحمد بمقر سكناه بمدينة سيدي بلعباس يوم 25 نوفمبر 2019.

[37] أحمد، الأزرق، "**نادي النجاح بمدينة سيدي بلعباس**"، **مجلة أضواء**" الصادرة عن مديرية المجاهدين لمدينة سيدي بلعباس، العدد الثالث 2000، ص(13-15).

[38] أحمد، الخطيب، المرجع السابق، ص 228.

[39] **مصطفى باحلوش**: ولد في 25 أكتوبر 1907 في مدينة مستغانم، وحين بلغ سن الرشد وجهه والده الشيخ "**أبو القاسم ابن حلوش**" لحفظ كتاب الله الكريم على يد شيوخ البلدة، وعقب إتمامه لحفظه للقرآن الكريم.ولما التمس منه والده نبوغه ونجابته وذكاءه الثاقب أشركه في تنشيط بعض الدروس للطلبة بالمسجد في محاور الفقه واللغة، فغرس فيه حب الدين واللغة العربية، ووفر له جميع الوسائل التي ساعده على تحصيل العلم. وفي سنة 1926 أرسله والده إلى مدينة قسنطينة لإتمام دراسته بالجامع الأخضر على يد الشيخ "**عبد الحميد بن باديس**" ليواصل دراسته مرة ثانية بجامع الزيتونة بتونس أين بقي فيها مدة سنة (01) وليبقى يغدو ويروح على المدرسة الخلدونية للنهل علمي التاريخ والجغرافيا. وفي سنة 1930 رجع إلى مسقط رأسه بمستغانم ليشارك في النهضة الفكرية والعلمية بأسلوب الخطابة في مختلف الاجتماعات واعتمد

على الكتابة في الصحف والمجلات منبرا كلسان حال الشعب في جريدتي المنتقد والشهاب ليعبر عن فكره التحرري.وفي عام 1934م حل الشيخ "**مصطفى باحلوش**" بمدينة سيدي بلعباس حيث اشتغل بتلقين الأدب العربي حتى سنة 1938، ورغم الضغوطات الاستعمارية وتضييق الخناق عليه أقدم الشيخ رفقة مجموعة من سكان المدينة إلى فتح مدارس قرآنية سرية في حي بوجو (القرابة) برعاية من الجمعية الأدبية للشبيبة الإسلامية (**Jeunesse Littéraire Musulman**) وبعيد التحاق الشيخ "**محمد الهادي السنوسي**" بعمله الجديد بإذاعة الجزائر وتخليه عن التعليم بنادي النجاح، خلفه في منصبه الشيخ "**مصطفى باحلوش**" وصار عضوا فاعلا فيه ليصبح بعدها رئيسه رفقة الشيخ "**بلقاسم رواغ**" مناديا بفكر وطني تحرري ضد التواجد الاستعماري بالجزائر، ينظر: محمد، خير الدين، المرجع السابق، (276-277).

[40] محمد الحسن، الفضلاء، " **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر القطاع الوهراني**"، الجزء الثالث، ط1، دار الأمة للطباعة و النشرن الجزائر، 1999، ص 97.

[41] **البشير الإبراهيمي (1889–1965)**: من مواليد 14 جوان 1889 بعين ولمان قرب سطيف انتقل إلى سوريا وتعلم فيها و اشتغل مدرسا في المدرسة الأموية ثم في جامع الأمويين بمدشق 1912–1922 و حين عودته إلى الجزائر شارك إلى جانب عبد الحميد بن باديس في إصدار جريدة الشهاب ثم في تأسيس جمعية العلماء في 5 ماي 1931، خليفة عبد الحميد بن بن باديس في رئاسة جمعية العلماء المسلمين سنة 1940 وأحمد أهم رجالات الحركة الإصلاحية، **المرجع**: رشيد، بن يوب، "**دليل الجزائر السياسي**"، الطبعة الأولى جانفي 1999، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ص ص (106- 107).

[42] Amar, Hellal, **«Le Mouvement Réformiste Algérien Les Hommes Et L'histoire 1830-1957»**, Alger 2002, p173.

[43] خالد، مرزوق، مختار، بن عامر، "**مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان آثار ومواقف 1907–1931–1956 وملحق**"، طبعة خاصة 2013، دار زمورة للنشر والتوزيع، صدر من دعم من وزارة الثقافة، ص 148.

[44] سمية، سحواج، **الحركة الإصلاحية في القطاع الوهراني ما بين 1936–1956** (**تلمسان – سيدي بلعباس أنموذجا**)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، 2016-2017، ص ص (120- 122).

[45] **محمد الهادي السنوسي**: يعتبر من الشخصيات البارزة في منطقة سيدي بلعباس، ولد في ربيع الأول 1320هـ/ 13جوان 1902 بقرية ليانة، بالباب الشرقي لولاية بسكرة، تعلم القرآن في الكتاب وحفظه كاملا على يد والده، فلقنه فن الشعر العربي، وحببه إليه ورغبه فيه، ولما اشتد عوده أرسله ولده إلى مدينة قسنطينة للنهل مع النهم في طلب العلم و المعرفة والتحصيل طيلة سبع سنوات لدى الشيخ الأستاذ "**عبد الحميد بن باديس**".عقبها عمل بالصحافة وعين متجولا لجريدة "**المنتقد**" و "**الشهاب**" التي أسستها جمعية العلماء المسلمين، فمشط البلاد بالجريدتين وكان يحصل اشتراكهما... له مؤلف هام تحت عنوان "**شعراء الجزائر**" صدر الجزء الأول منه عام 1926م، والجزء الثاني منه عام 1927م، وكلا هما طبعا في مدينة تونس.اشتغل أيضا في التعليم بالجزائر، وهران، تلمسان وسيدي بلعباس، وفي هده المدينة اقتصر نشاطه على تدريس مادة اللغة العربية بنادي النجاح، والدعوة إلى نشر تعاليم النهضة الإصلاحية السلفية، التي تبناها الشيخ "**عبد الحميد بن باديس**"، إلى غاية انتقاله للعمل في الإذاعة الجزائرية التي كانت تخضع للإدارة الفرنسية وذلك خلال الحرب العالمية الثانية.ونقلا عن الشيخ "**محمد خير الدين**" أكد أن الشيخ "**محمد الهادي السنوسي**" وقع في خلاف مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حول رؤى العمل المسلح والسياسي فاعتزلها واشتغل بالتجارة في مدينة سيدي بلعباس، وانزوى على نفسه فاستغلت الإدارة الفرنسية ذلك الخلاف، وقامت بعزل مدير المدرسة الشيخ "**محمد القباطي**" التابعة لجمعية العلماء، ونصبت الشيخ المعتزل بدلا منه، ولم يدم الأمر طويلا إلا بعد تدخل الشيخ "**محمد خير الدين**" الذي أعاد الأمور لنصابها كما في السابق، **ينظر**: محمد خير الدين، "**مذكرات**"، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، (276-277).

[46] **عبد الحميد ابن باديس (1889–1940)**: ولد الشيخ عبد الحميد ابن باديس في 3 ديسمبر سنة 1889 بمدينة قسنطينة، أبوه أحمد بن مكي بن باديس، وأمه زهيرة بنت علي بن خلدون، يعد أعظم شخصية إصلاحية جزائرية أكمل دراسته العليا بجامع الزيتونة بتونس حيث قضى حياته كلها في خدمة الدين و المجتمع، إذ يعتبر المؤسس الرئيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931. ومن أهم أهدافه الإصلاحية: تكوين شعب جزائري مسلم، ذو أخلاق عالي والحفاظ على وحدة الأمة العربية، توفي رحمه الله في ليلة الثلاثاء الثامن من ربيع الأول 1309 هـ الموافق للسادس عشر أبريل 1940، ولهذا أصبح السادس عشر من شهر أبريل من كل سنة يوما وطنيا للعلم، **المرجع**: تركي (رابح)، "**الشيخ عبد الحميد**

ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر"، الطبعة الخامسة 1422هـ/2001م، مزيدة ومنقحة، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار، ص 59 وما بعدها.

47 أحمد، الأزرق، "**النهضة الثقافية الأصيلة في مدينة سيدي بلعباس(1931–1954)**"، المرجع السابق، ص ص (30–31).

48 عبد القادر، بلجة، **إسهامات الشيخ محمد القباطي في الحركة الإصلاحية بسيدي بلعباس (1942–1954)**، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية**، المجلد 6، العدد 12، ديسمبر 2020، ص ص(32–50).

49 – محمد، خير الدين، المرجع السابق، ونفس الصفحة.

50 – محمد الحسن، الفضلاء، المرجع السابق، ص98، **ينظر أيضا**:

- محمد القباطي، " تأملات في الإنسانية "، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2008، ص 11.
- مقابلة (شهادة حية) مع ابنه القباطي بلنوار زهير، بمقر سكناه بمدينة سيدي بلعباس، يوم 2016/03/03.
- عبد الحق، كركب، "العلامة محمد القباطي مناقب، نضال وآثار"، الملتقى الوطني الثاني حول: أعلام منطقة سيدي بلعباس، جامعة سيدي بلعباس، يوم: 2018/11/21.

51 أحمد، الأزرق، المرجع السابق، ص 28 وما يليها.

52 **عبد القادر حساني**: ولد عبد القادر حساني بمدينة سيدي بلعباس يوم 23 سبتمبر 1920، تربى وترعرع في أسرة محترمة وميسورة الحال تتكون من سبعة أولاد، أربعة ذكور وثلاثة بنات وهو أكبرهم سنا كان أبوه من أعيان المدينة ومندوبا في بلدية سيدي بلعباس في فترة 'لوسيان بلا' (**Lucien–Bella**) رئيس البلدية، وقد فتح أول دكان لبيع المواد الغذائية في حي القرابة، الأمير عبد القادر حاليا، الذي كان يعتبر منبع الوطنية في ذلك الوقت، تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة (**Turgot**) الابتدائية –الغزالي حاليا– ليلتحق بعد ذلك بثانوية (**Laperrine**) عزة عبد القادر حاليا، انتقل بعدها إلى الجزائر العاصمة ليكمل دراسته العليا بكلية الطب بجامعة الجزائر، ومن ثم إلى كل من جامعتي ميلوز وستراسبورغ أين تحصل على شهادة الدكتورة في الطب العام، يعد الدكتور حساني من بين الطلبة الجزائريين القلائل الذين زاولوا دراستهم العليا في الجامعة بتفوق واستحقاق بالرغم من معانات التمييز العنصري الذي كان يلاحقهم. وبعد

انتهائه من الدراسة الجامعية عاد الدكتور حساني إلى بلدته ليمارس مهنة الطب في مسقط رأسه، وكانت عيادته المكان الذي يتردد عليه المسلمون الجزائريون الفقراء، ولم يكن الاهتمام بالسياسة اكتسابا متأخرا، فقد مارسها منذ سن مبكرة، حيث أبدى ميولا سياسيا منذ صباه، فعند بلوغه سن السابعة عشر، أي في سنة 1937 شارك مع بعض من رفقائه في تأسيس جمعية الشبيبة الأدبية الإسلامية، وهي هيئة فرعية تابعة لنادي النجاح بمدينة سيدي بلعباس وكان "عبد القادر حساني" وراء ظهورها والتي عملت على نشر التربية والعلم في وسط الشباب المسلمين. كما أشرف على فريق كرة القدم بسيدي بلعباس "الإتحاد الإسلامي لسيدي بلعباس (**Union Sportive Musulmane Bel Abbesiènne**) في سنة 1948 في مكان السيد بلقاسم بن دمراد مع مشاركة كل من أوهيبي سعيد، بكوش مختار وشيالي عبد الكريم بعدما أكمل دراسته بفرنسا.

ليلتحق المجاهد الدكتور حساني عبد القادر بالمنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني منذ سنة 1955 ويدعم سلك الأطباء والممرضين بالولاية الخامسة فقد وضع قدراته المعرفية في مجال الطب خدمة للقضية الجزائرية، حيث تكفل بحكم وظيفته بمعالجة المجاهدين الجرحى لجبهة التحرير الوطني وبعد أن اكتشفت السلطات الاستعمارية وصفات الدواء التي كان يعطيها للمجاهدين، وفضلا عن الأدوية التي كان يجمعها لصالح الجبهة، غادر الدكتور حساني في بداية 1957 أرض الوطن لينتقل إلى الحدود التونسية الجزائرية ليصبح طبيبا بالمصالح المدنية والعسكرية بالقاعدة الشرقية ثم التحق بمصلحة الاتصالات لجيش التحرير الوطني.

ومع إيقاف القتال وبعد حصول الجزائر على الاستقلال، عاد الدكتور حساني عبد القادر إلى مسقط رأسه ليمارس من جديد مهنته المفضلة في عيادة فتحها بمنزله الكائن في نهج المقطع، وسط مدينة سيدي بلعباس، حيث شغل منصب رئيس بلدية لمدينة سيدي بلعباس من سنة 1967-1971، ثم عضو بالمجلس الشعبي الولائي من سنة 1971 إلى غاية 1975 وبعد ذلك انتخب عضوا بالمجلس الشعبي الوطني من سنة 1982 إلى سنة 1985م حيث انتخب عضوا في لجنة العلاقات الخارجية، و لقد اشتهر بدفاعه البرلماني المتواصل الكبيرة و سمعته في أوساط سكان مكرة.

لقد كان له دورا فعالا في خدمة مدينة سيدي بلعباس وسكانها طيلة فترة توليه المسؤولية العمومية، مما جلب له الاحترام و التقدير من مواطني هذه المدينة. ولعل أهم ما يمكن الإشارة إليه هو سعيه المنقطع النظير والمتواصل من أجل إنجاز المركب الرياضي للمدينة وهو من مفاخر مدينة سيدي بلعباس وعرفت

الرياضة الجماعية (كرة القدم و كرة اليد) في وقته أوجه تطورها وبقي اسمه مرتبطا أكثر بالإنجازات التي حققها في الميدان الرياضي مع فريق كرة القدم للمدينة حيث تولى رئاسته لمدة 27 سنة.

وافته المنية يوم 3 ماي من سنة 1985 في باريس ليدفن في أرض مكرة بمقبرة سيدي بلعباس في 7ماي من نفس السنة بتواضع وخشوع كبيرين، ورفاقه في مثواه الأخير جمهور كبير من أولاد المدينة إلى جانب السلطات المحلية الذين جاءوا من الغرب الجزائري، من ولاة ومنتخبين و بعض من نواب البرلمان الوطني الذين يعرفون شخصيته المتميزة و المثيرة للتقدير والاعتبار خصاله العالية وينكران الذات في سبيل النهوض بالمدينة وخاصة قطاع الشباب الذي كان يمثل في رأيه مستقبل البلاد، وألقى بالمناسبة 'جلول ملايكة' نائب رئيس المجلس الشعبي الوطني آنذاك كلمة تأديبية يذكر فيها خصاله الحميدة وأعماله المميزة، كان دكتور عبد القادر حساني حكيم بمعنى الكلمة، لا يتردد في تدعيم أي مشروع يعود بالفائدة على البلاد والعباد وسمي عليه المستشفى الجامعي تكريما له وتخليدا لأعماله الوطنية، **ينظر**:

- **مقابلة مع شقيق الدكتور السيد حساني مصطفى بمقر سكناه بمدينة سيدي بلعباس يوم 27 فبراير 2016.**
- خالد، بوهند، "**الوضع الثقافي وتكوين النخبة بمنطقة سيدي بلعباس خلال الاحتلال الفرنسي (1900–1954)**"، مذكرة ماجستير، تحت إشراف مجاود محمد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، 2006،، ص 153.
- أحمد، الأزرق، "**النهضة الثقافية الأصيلة في مدينة سيدي بلعباس(1931–1954)**"، المرجع السابق، ص ص (30–31).
- محمد، مجاود، "**الدكتور حساني عبد القادر(1920–1985)**"، الملتقى الوطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1830/1962،الجزء الأول، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ص ص (183–186).
- علي، نهاري، "**من سجل شهداء ومجاهدي الولاية الخامسة**"، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2008، ص 135.
- Bélaid, LACARNE, **«USMBA Story 1933-1971»**, L'Histoire Du Grand Club Bel Abbésier, Imprimerie Toumi- Sidi Bel Abbés.

[53] خالد، بوهند، المرجع السابق، ص 153.

[54] أحمد، الأزرق، "**النهضة الثقافية الأصيلة في مدينة سيدي بلعباس(1931–1954)**"، المرجع السابق، ص ص (30–31).

[55] **عبد القادر عزة:** ولد يوم 05 ديسمبر 1905 بسيدي بلعباس بالحي الشعبي بالقرابة أين ترعرع بها ونشأ طفولته بها، بدأ دراسته الابتدائية والثانوية بمدينة سيدي بلعباس ثم انتقل إلى مدرسة تلمسان وتدرج في الدراسة إلى المدرسة العليا بالثعالبية بالجزائر العاصمة، حيث درس فيها القانون الإسلامي واللغة العربية، وتحصل على شهادة الليسانس وعمره لا يتعدى 24 سنة من جامعة باريس. بدأ حياته الوظيفية كأستاذ للغة العربية بمدينة سيدي بلعباس، حيث امتهن التدريس بثانوية (**Laperrine**)–عزة عبد القادر والذي تحمل اسمه حاليا– وهو أول جزائري سمحت له السلطات الاستعمارية بالتدريس في مدينة سيدي بلعباس، حيث أمضى فيها أكثر من عشرين (20) سنة، تخرج على يده أجيالا من الطلبة وأصبحوا بعد ذلك من النخبة العلمية والسياسية للوطن. أسس 'عزة عبد القادر' النادي الإسلامي بمعية أصدقاءه كجمعية لمساعدة الطلبة المحتاجين، وشارك في بعث الروح الوطنية للشباب مع تنويرهم سياسيا. كما شارك في تأسيس جمعية الفرقان الخيرية 1949–1951. ففي سنة 1948 شارك المجاهد 'عبد القادر عزة' في المسرح وخصوصا انضمامه لجمعية الآمال للفنانين، التي قامت بتصدير الفكر التحرري الوطني عن طريق الإشادة بشعارات الحرية على خشبات أبو الفنون، ونظرا لشخصه المناهض للاستعمار والرافض لوجوده ونشاطه السياسي فقد سجن، وبعد إطلاق سراحه توجه في سنة 1958 إلى المغرب عن طريق فرنسا.بعيد الاستقلال تحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة باريس حول موضوع الشاعر الشعبي "مصطفى بن إبراهيم" عام 1963، وفي نفس السنة عيّن مسؤولا لجبهة التحرير بشمال المغرب، ودرس كأستاذ في المدرسة العليا للصحافة، ومترجم في المدرسة العليا للترجمة، وأستاذ محاضر في جامعة الجزائر العاصمة. وافته المنية عن عمر يناهز اثنين وستون سنة وكان ذلك في 19 أفريل 1967، كرم المجاهد عن طريق توشيح اسمه على ثانوية لابرين التي لقن فيها دروس المعرفة وتخرجت منها زبدة المجتمع العباسي، فصارت اسم الجلاء ثم حملت اسمه بعد وفاته، **ينظر**:

- **وثيقة ببيوغرافية عن المجاهد عزة عبد القادر**، مسلمة من طرف السيد: **سنوسي عبد الكريم مدير** ثانوية عزة عبد القادر، الذي تحمل اسمه.

- Redouane, Ainad Tabet, « **Histoire D'Algérie, Sidi Bel Abbés De La Colonisation A La Guerre De Libération En Zone 5 Wilaya V (1830-1962)** », Avec La Collaboration De TAYEB

NEHARI, Officier De L' A.L.N, ANP, Edition, Alger1999, p 137.

- خالد، بوهند، المرجع السابق، ص 154.

- Abdelkader, Hani, « **Le Professeur Azza Un Intellectuel De Sidi Bel Abbes »,** Histoire De La Région De Sidi Bel Abbes, Durant La Période Coloniale (1830-1962), Tome 2, Université Djilali Liabes, Sidi Bel Abbes, Edition Errachad, pp(22-28).

[56] خالد، بوهند، المرجع السابق، ص 154.

[57] أحمد، الأزرق، "**النهضة الثقافية الأصيلة في مدينة سيدي بلعباس(1931–1954)**"، المرجع السابق، ص 33.

[58] (دون ذكر صاحب المقال)، **معالم في طي النسيان –نادي النجاح بمدينة سيدي بلعباس–**، مجلة أضواء العدد الثالث، 2000، نشرة إعلامية تاريخية فصلية تصدر عن مديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس، مصلحة المحافظة على التراث التاريخي والثقافي، ص ص(13–15).

مساهمة الأوقاف في تمويل التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

The contribution of " Elwakf " in Funding Education In Algeria During the Ottoman Era

د- صبرينة لنوار / جامعة علي لونيسي / البليدة 2

تاريخ الاستلام: 2021 /02/09 **تاريخ القبول:** 2021/06/ 05 **تاريخ النشر:** **2021/06/30**

ملخص:

عرف عن المجتمع الجزائري بتقديسه لتعليم و العناية به فلا تجد مدينة أو قرية ليس فيها مدرسة أو مسجد أو زاوية أو كتاب لتعليم القرآن و القراءة و الكتابة و العلوم الدينية . لكن لم تكن هناك مؤسسة تشرف عليه خلال العهد العثماني ، رغم ذلك ساهمت مؤسسة الأوقاف على العناية به من خلال تخصيص جزء من عائداتها للنفقة على نشاط المساجد من خلال دفع أجور الخطباء و الأئمة ومؤذنين الصبيان في الكتاب والمدرسين ، كما كان لطالب العلم نصيب من هذا الاهتمام حيث خصصت له منحة شهرية لتشجيعه على إكمال الدراسة ، كما ساهمت في بناء المؤسسات التعليمية و صيانتها كالمساجد و الكتاتيب وضمان استمرار نشاطها التعليمي .

الكلمات الدالة: التعليم – المساجد – الزوايا – الكتاب – العهد العثماني – الطلبة – المدرسين – الأوقاف .

Abstract: Algerians took great care of éducation ,so you could not find a city or village without a school , mosqué , zaouia koutab to teach koran reading , writing and religious science . But there was no institution for supervising éducation during the ottoman era In the absence of state support for it , The Awkafe foundation has contributed to take care of it by allocating a portion of its revenues to expenditures on Mosqué activity and the wages of preachers , imams , teachers and students . The Awkaf

fondation in Algiers supervised the payment of wages for teachers in the mosqués and the kutabs even the student had a part of interest, as a monthly grant was allocated to him to encourage him to complète his studies . This fondation had a principle role in bulding and maintaining éducational institutions to ensure the contineation of its éducational activity expecially mosqué and kutabs .

Keywords: Education – Mosque – Zawaya – Kotab – Ottoman era – Students – Teachers .

المؤلف : صبرينة لنوار

البريد الإلكتروني : lenouarsabrina@gmail.com

العرض :

عرف عن المجتمع الجزائري باهتمامه بالتعليم عبر العصور التاريخية ، ماعدا الفترة الحديثة حيث مع قدوم العثمانيين الذين كانت مهامهم عسكرية و تركيزهم على حماية الجزائر من الغزو الأجنبي ، لذلك أهملوا الجانب الثقافي خاصة التعليم في غياب مؤسسة تشرف عليه و رغم ذلك استمر النشاط التعليمي في الجزائر خلال العهد العثماني ، فما هي المؤسسة التي كانت تشرف عليه. و من هذا المنطلق أخذنا عينة من وثائق الأرشيف الوطني المتمثلة في سجلات الأوقاف لمعرفة مدى مساهمة هذه المؤسسة الأوقاف في تمويل و الإنفاق على التعليم . و استندنا في ذلك على المنهج التحليلي من خلال استقراء الوثائق واستنتاج المعطيات التاريخية و كيف ساهمت مؤسسة الأوقاف في الإنفاق على التعليم لضمان استمرار نشاطه بمبادرة شعبية في ظل غياب السلطة الحاكمة .

1. مقدمة:

كانت الأوقاف موجودة في الجزائر وفي بقية البلدان الإسلامية، وهي كما نعلم حبس مال أوأرض ونحو ذلك، تصرف منفعته على الفقراء وخدمة الدين والعلم. وقد لعبت دورًا هاماً

خلال العهد العثماني في مجال التعليم ونشر الثقافة، وهي نوعان: الأوقاف الخاصة أو العائلية، والأوقاف العامة ويحبسها أهل الخير لأغراض خيرية دينية مثل التي تخصص للتعليم والعناية به كالمسجد والمدرسة والزاويا و غيرها. ففي ظل غياب مؤسسة تشرف على التعليم أسهمت مؤسسة الأوقاف على العناية به، و لقد كانت لهذه الأخيرة عائدات معتبرة تأتي من الأملاك العقارية التي تكون تحت اشرافها ، حيث خصصت جزء منها لتمويل التعليم من خلال إنشاء المؤسسات التعليمية من مساجد و زوايا و كتاتيب مع دفع أجور المعلمين و تقديم منحة للطلبة ، لضمان استمرار التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني . فما مدى مساهمة مؤسسة الأوقاف في تمويل التعليم و الإشراف عليه ؟ وفي ظل هذه الدراسة اعتمدنا على المنهج التاريخي من حيث المصادر الأصلية خاصة وثائق الأرشيف الوطني ، و ذلك ب استقرائها والتحليل و الاستنباط ، وأخذنا نموذج مدينة الجزائر من خلال دراسة سجلات البايلك .

2. المؤسسة الوقفية المشرفة على التعليم في مدينة الجزائر:

مؤسسة الأوقاف في الجزائر لها تاريخ عريق، حيث كانت إحدى دعائم المجتمع على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي منذ الفترة الإسلامية، وأغلب الوثائق التي تعود إلى تلك الفترة في أغلبها تعود إلى القرن 15م. وكانت حبست لخدمة التعليم منها الوثيقة التي تسجل أوقاف مسجد ومدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان والتي يرجع تاريخها إلى عام 906هـ/1500م. كما أن أقدم وثائق أوقاف الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة لا تتجاوز عام 947هـ/1540م[1].

ولقد انتشرت هذه الثقافة خاصة في العهد العثماني وسط المجتمع الجزائري سلطة وشعبًا، ومما يلاحظ أن الأوقاف ما لبثت أن تزايدت أواخر العهد العثماني حتى تشكل نسبة كبيرة من الممتلكات الزراعية الحضرية منذ أواخر القرن 18م. والذي يهمنا منها هي الأوقاف العامة لأنه كان

يخصص البعض منها لخدمة التعليم، وكانت هذه الأخيرة كثيرة بمدينة الجزائر وقدر عددها في الأيام الأولى من الاحتلال 2600 ملكية، وعدد غير قليل في المدن الأخرى كقسنطينة ووهران[2].

فلقد ساهمت الأحباس في تحمل ودفع نفقات المدارس، وبما أن التعليم مرتبط بالحركة الدينية، فإن مردود المؤسسات الدينية والأحباس كان يساعد على توظيف الأساتذة والعناية بالمؤسسات الخاصة بالتعليم. وفي هذا المجال كانت أحباس مازونة هامة، كما استفاد التعليم من مردود هذه الأحباس بالمدن الأخرى كمعسكر وخاصة تلك التي حبسها الباي محمد الكبير، كما اشتهرت بذلك كل من مستغانم وتلمسان، وشملت هذه الأحباس ميادين عديدة، منها داخل المدينة وخارجها تمثلت في كل من بساتين، وأراضي وحمامات ومحلات تجارية، إضافة إلى مخازن ومحلات حرفية[3].

1.1 – أوقاف الحرمين الشريفين:

كانت تشكل أغلب الأوقاف الخيرية أو الأهلية وذلك للمكانة السامية والمنزلة الرفيعة التي خص بها سكان الجزائر البقاع المقدسة بالحجاز، وقد كانت هذه الأوقاف من الكثرة إذ كانت تبلغ نسبتها في أواخر العهد العثماني ثلاثة أرباع الأوقاف الموجودة آنذاك. بحيث كان عدد أوقاف الحرمين بمدينة الجزائر وضواحيها عشية الاحتلال الفرنسي يتراوح ما بين 1357 و 1558 ملكية عقارية تبعا للمصادر المختلفة، وحسب إحصاء دوفو 1357 ملكا عقاريا مردوده السنوي 36013,45، يضاف لها كراء (عناء) 201 وقفا آخر يقدر محصوله 7209,25، بحيث يصبح عدد الأملاك المحبسة على الحرمين الشريفين 1558 ومردودها السنوي 43222,70 ف، ومن أوجه صرف عوائد أوقاف الحرمين الشريفين الإنفاق على ثلاثة مساجد حنفية بمدينة الجزائر[4].

2.1 – أوقاف سبل الخيرات:

مؤسسة سبل الخيرات هي عبارة عن هيئة دينية تأسست سنة 1584م، تشرف على ثمانية مساجد بمدينة الجزائر تابعة للمذهب الحنفي[5] وهي: الجامع الجديد، جامع سفير وزاويته،

جامع دار القاضي، جامع كتشاوة، جامع الحاج شعبان خوجة، جامع الشبارلية، مسجد حسين داي، مسجد علي خوجة الواقعين بحصن القصبة. وتعود أهمية أوقاف سبل الخيرات إلى غنى الطائفة التركية، هذا ما جعل عدد أوقافها يناهز 331 وقفا منها 119 ملكية عقارية و 212 عناء توفر مدخولا سنويا يقدر بـ 180.000 فرنك[6].

3.1 – أوقاف الجامع الأعظم وبقية المساجد الحنفية والمالكية الأخرى:

تحتل الدرجة الثانية بعد أوقاف الحرمين من حيث كثرة عددها ووفرة مردودها، وهذا يعود أساسا إلى الدور الذي كان يلعبه الجامع الأعظم في الحياة الثقافية والدينية. ولكثرة المساجد المالكية في الحواضر الجزائرية الكبرى، ففي مدينة الجزائر مثلا كان عدد المساجد المالكية يبلغ 92 مسجدًا، كل مسجد خصصت له أوقافا تتفق عليه، وكان في طليعة هذه الأوقاف الخاصة بالمساجد الحنفية أوقاف المسجد الأعظم التي بلغت من الكثرة والضخامة، بحيث كانت تناهز 550 وقفا[7]. وقد ذكر في إحدى التقارير بشأن أملاك الجامع الأعظم أنها تحتوي على 125 منزلا و 39 حانوت و 3 أفران 19 بستانا و 107 إيراد[8].

جدول العقارات المحبسة على الجامع الأعظم[9]:

الفترة الزمنية	نوعية العقار			
	دار	حانوت	الجناين	الأحواش
1839 – 1541	139	×	×	×
1814 – 1572	×	49	×	×
1838 – 1603	×	×	80	×
1825 – 1575	×	×	×	26

جدول مداخيل كراء العقارات المحبسة على الجامع الأعظم سنة1213 ه/1798م(11) .

العقارات	المداخيل السنوية والشهرية
علوي	21 ريال في السنة
علوي	1 دينار في الشهر 12
علوي	5 دنانير في الشهر 60
علوي	5 دنانير في الشهر 60
علوي	6 دنانير في الشهر 62
علوي	30 ريال في السنة
علوي	20 ريال في السنة
علوي	24 ريال في السنة
علوي	30 ريال في السنة
علوي	22 ريال في السنة
علوي	15 ريال في السنة
علوي	15 ريال في السنة
علوي	12 ريال في السنة
علوي	134 ريال في السنة
علوي	27 ريال في السنة
علوي	27 ريال في السنة
علوي	24 ريال في السنة
علوي	24 ريال في السنة
علوي	25 ريال في السنة
علوي	25 ريال في السنة
علوي	18 ريال في السنة
علوي	32 ريال في السنة

فقد قدرت مداخيل أوقاف الجامع الأعظم من كراء (العناء) العلوي سنة 1213ه/1798م ما يقدر بـ 719 ريال سنويا[10]. ولقد كانت هناك أحباس حبست لتصرف مداخيلها على المدرسين والطلبة والمفاتي والمؤدنين وقرأة القرآن (الحزابين) وبقية الموظفين الآخرين الذين يقومون بجلب الماء، إشعال قناديل الجامع وتنظيمه وتأثيثه. كذلك هناك أحباس خصصت مداخيلها لدفن الطلبة والعلماء، وأحباس أخرى لمؤدبي الصبيان، على أن جزءًا آخر من المداخيل كان يوزع على فقراء الجزائر[11].

كانت عائدات أوقاف الجامع الأعظم تصرف على أعمال الصيانة وسير الخدمات، و إن فائض مردود الأوقاف يعتبر هاما رغم هذه المصاريف والنفقات، بدليل أنه تم إنشاء زاوية ملحقة بالجامع الكبير عام 1039ه (1629 – 1630م). ورغم أن وثائق البايلك الموجودة حاليا لا تتضمن تفاصيل عن أحباس الجامع الكبير، إلاّ أن هذه الأحباس كانت من الكثرة بحيث أنها كانت توفر مدخولا سنويا قدر عام 1837م بـ 12000 فرنك ساهم بـ 125 منزلا و 3 أفران و 39 بستانا 19 مزرعة. هذا بالإضافة إلى عناء 107 أوقاف أخرى[12]. كما كانت تشترى من عائدات أوقاف الجامع الأعظم كتب للمكتبة، لكي يستفيد منها طلاب العلم، فقد جاء في تقييدات ابن المفتي أنه تولى سعيد بن إبراهيم قدورة الفتوى، ويوم توليته حاسبوه على أوقاف الجامع الأعظم كما هي عادة كل من يتولى الفتوى، فاطلعهم على الحساب وعلى ما اشترى من الكتب للجامع، منها شرح العيني (بدر الدين العيني) على صحيح البخاري[13].

جدول الأملاك الموقفة على المساجد (1182 – 1184ه/1728 – 1730م)[14]:

أوقاف المساجد	علوي	دار	حانوت	مخزن	الفنادق	الحمامات	بحيرة
جامع حسين باشا مزمورطو	03	01	06		01	04	
جامع عبدي باشا	10	01	03	05	14 غرفة		02

مسجد السيد علي باشا		10	10	01	04 غرف		02
جامع خضر باشا			16		13 غرفة		

جدول الأملاك الموقوفة (1220هـ/1805م)[15]:

الأوقاف	**العقارات**
شركة أندلس	129
أوقاف جامع علي باشا	141
أوقاف مزمورط	138
أوقاف خضر باشا	144
أوقاف الجامع الأعظم	124
أوقاف الأسرى والطلبة	136

نلاحظ من خلال جدول الأملاك الموقوفة أن التحبيس أو الوقف شمل معظم مساجد مدينة الجزائر ولقد حضي الجامع الأعظم أكبر نصيب لأن أكبر عدد من العقارات حبست عليه ، كما كان للزوايا نصيب من ذلك إضافة إلى طلبة العلم .

4.1 – أوقاف الزوايا:

أملاك المؤسسات الوقفية لم تقتصر فقط على المساجد والأضرحة، يضاف إليها الزوايا التي كانت مدارس للتدريس وفي نفس الوقت مكان لإيواء الطلبة، أسست من طرف المرابطين وحظيت بأوقاف كان لها مداخيل من الأملاك الموقوفة يشرف عليها الوكيل، وأهم هذه الزوايا في مدينة الجزائر: زاوية القاضي، زاوية القشاش، زاوية سيدي الجودي، زاوية جامع السباغين، زاوية جامع

السيدة، زاوية الشرفاء، زاوية مولاي حسان، زاوية سيدي محمد الشريف، زاوية العباسي، زاوية الأندلس، زاوية كتشاوة[16].

كان المحبسون على الزوايا هم المؤسسون لها، كما أن معظم الأوقاف التي سجلت باسمها كانت مرافقة لزمن تأسيسها، فزاوية كجاوة كانت معظم الأملاك الموقوفة عليها من مؤسسها محمد خوجة، كما أن الأوقاف التي نالتها كان معظمها في سنة التأسيس. وزاوية القشاش كانت أول زاوية نالت حظها من الوقف وهذا سنة 1659م، وهي سنة تأسيسها. وفيما يلي جدول يوضح عدد الزوايا في مدينة الجزائر التي نالت حظها من الأوقاف[17]:

جدول تطور عدد الزوايا التي كانت تنال أوقافًا عبر المراحل التاريخية للحكم العثماني

الزوايا	ق 16	ق 17	ق 18	ق 15
زاوية الشرفة		×	×	×
زاوية كجاوة		×	×	
زاوية القشاش	×		×	×
زاوية بوطويل		×	×	×
زاوية الأندلس		×	×	
مسجد زاوية سيدي الأكحل		×		
زاوية مولاي حسن		×		

لا بد أن نشير إلى أن الزوايا في مدينة الجزائر لم تنل حظا كبيرًا من الأوقاف مقارنة بالأضرحة، فمن بين 224 عقد تحبيس، نالت الزوايا 35 عقدا فقط. ويمكن تفسير ذلك كون الزوايا لا تأسس الأوقاف لصالحها وإنما لمؤسسها، أما الأضرحة فهي خاصة بأولياء مشهورين

نسجت حولهم أساطير وأشيع عنهم أن لهم قدرات خارقة للعادة، مثل قدرتهم على شفاء المرضى، وبالتالي كانت جميع فئات مجتمع مدينة الجزائر تقوم بتأسيس الأوقاف لصالح الأضرحة، خاصة منها الأضرحة المشهورة مثل ضريح عبد الرحمن الثعالبي[18]، التي كانت تقدر في السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي بـ 69 وقفا مردودها السنوي 600 فرنك[19].

فقد ورد في عقود المحاكم الشرعية سنة تأسيس الزاوية والأملاك المحبسة عليها، فمثلا زاوية الأندلس تأسست سنة 1033هـ/1624م على يد جماعة من أهل الأندلس، بعد شراء دار وعوضت مكانها زاوية تحتوي على مدرسة لتعليم القرآن ومسجد للصلاة، وقاموا بتحبيسها على جماعة الأندلس وأقاموا لها أحباس وعيّنوا وكيل يشرف على صرف مداخيله: "... أشهد الآن الجماعة المذكورون أنهم حبسوا جميع الدار المذكورة التي جعلت مدرسة الآن المذكورة فيه على جماعة الأندلس بجميع حدودها ومنافعها... ووكلوا المحبسون المذكورون المكرم محمد العبلي المذكور على حوز الحبس المذكور لمن ذلك القيام بشأنه وإصلاح ما يجب إصلاحه، وقبض ما يعود على نفعه على المدرسة المذكورة من مطعم وغيره وتوليه ذلك وصرفه فيما يراد مصرفه..."[20].

وكذلك زاوية كجاوة وهي مؤسسة تعليمية أسسها محمد خوجة سنة 1201هـ/1786م، وقد ذكر في عقد التأسيس الأماكن التي حبست عليها "وما حبس السيد محمد خوجة المذكور أصلح الله حاله وبلغه في الدارين آماله على المدرسة والمسجد المذكورين جميع الدار الكاينة قرب زاوية الأندلس مع جميع الدار القريبة من باب الجديد سند الجبل، مع جميع الدار الكاينة بحومة بساط القايد قاسم سند الجبل مع جميع الدار الكاينة بحومة كوشة علي سند الجبل... تحبس كل منهما مبين في رسمها بشهادة شهيديه مبين فيها البيان التام يخرج من غلة الأماكن المذكورة جميع ما ذكر من المصاريف"[21]، وقد بين في العقد وحدد نصيب كل مستفيد من الحبس من بينهم المستخدمين في الزاوية من المدرس (1 دينار كل شهر) الإمام (1 دينار سلطاني)، خمسة قراء للحزب (1 ريال في كل شهر)، قيم الإصلاح (1 ريال كل شهر)، الطلبة الساكنين في بيوت الزاوية (نصف ريال كل شهر). واشترط المحبس في الأخير أنه بعد تسديد المصاريف المعينة، الفائض

من عائدات الأوقاف يشترى به مكان آخر يوقف على ما ذكر، وما فضل يصرف في الأعمال الخيرية لفائدة عامة المسلمين[22].

من جهتها مثلت الزوايا مؤسسات خيرية وتعليمية يلجأ إليها المعوزين والطلبة، بفضل ما كانت تمتلكه من ثروة مادية تتمثل في مداخيل مالية من عائدات الأوقاف. لكن بعض الزوايا في الريف والمدن الأخرى كانت إلى جانب الأوقاف مداخيل أخرى تعتمد عليها الزوايا في تمويل التعليم، المصادر المالية لهذه المؤسسات التعليمية من الناحية الاقتصادية تعتمد على مصدرين هامين ورئيسين:

المصدر الأول: الإعانات التي يقدمها لها المحسنون من الأثرياء في شكل نقود وبضائع ومواد غذائية (حبوب وزيوت)، وحيوانات وأدوات، وألبسة ومفروشات وغيرها وذلك بصفة دورية[23].

المصدر الثاني: أموال الحبس والأوقاف الإسلامية التي يوقفها عليها الأشخاص والهيئات الخيرية والجماعات وبعض الولاة والأمراء، وتتنوع إلى أراض زراعية وحقول الأشجار المثمرة والغِلاَل كالزيتون والتين والخروب والحيوانات الحلوبة، والمحلات التجارية والحمامات المعدنية بالأرياف وغير المعدنية في المدن، تدر عليها الأموال اللازمة للصرف على احتياجاتها المختلفة، كالتغذية والإنارة والتنظيف والتبييض والتأثيث والصيانة، والإنفاق على طلبة العلم والعلماء والفقراء وإجراء الإصلاحات المطلوبة للمؤسسة[24].

والموارد الاقتصادية في زوايا بلاد زواوة كانت تتمثل في دخل الأوقاف والأحباس التي يوقفها الأتباع عليها أو الصدقات التي يقدمها أهل الخير، وكذلك الزكاة والهدايا العينية التي يقدمها أفراد القبيلة ومشاركة الطلبة، وتبرعات المسافرين الذين ينزلون بها، وما يحمله كل طالب حين يحضر للدراسة، ولا ننسى الصدقات التي يقدمها الزوار الذين يقصدون هذه الزوايا للتبرك بها أو بضريح مؤسسها. إلى جانب هذه الأوقاف هناك وسيلة أخرى يتخذها الطلبة لجمع المواد والأرزاق، تقوم على تكليف جماعة من الطلبة بالخروج إلى طلب العشور بين سكان القرى والأعراش، يقومون بهذه العملية مرتين في السنة، الأولى بعد موسم الحصاد مباشرة لجمع العشور، والمرة الثانية في الخريف بعد جمع محصول التين ليأخذوا عشور التين، والمعروف أن كل قرية تجمع عشورها[25]. ومنه يمكن القول

أن تمويل التعليم ومؤسساته اختلف حسب طبيعة المنطقة الريفية أو الحضرية، لكن القاسم المشترك بينهما هو إرادة المجتمع الجزائري لخدمة التعليم واستمرارية نشاط.

2 – مداخيل الأوقاف:

جدول العقارات الموقفة (1182 – 1184ه/1728 – 1730م)[26]:

الوقف	علوي	دار	حانوت	مخزن	غرفة	بيت	نصف علوي	المجموع
1/3 للحرمين الشريفين 2 شطر للطلبة شطر لفقراء الجزائر		92						92
الأوقاف المشتركة بين فقراء الحرمين والأندلس	09	16	22	01	01			49
شركة الجامع الأعظم والحرمين الشريفين	04	17	01	02	07	04		35
ذكر الغرف والبيوت والمخازن للحرمين الشريفين خاصة	96	170	36	34	10	08	17	371

جدول عائدات الأوقاف (1182 – 1184ه/1728 – 1730م)[27]:

الوقف – المؤسسة	العائدات (ريال)
أوقاف فقراء الجزائر والأسرى والطلبة	297,4
الأوقاف المشتركة بين فقراء الحرمين والأندلس	1211
شركة الجامع الأعظم وفقراء الحرمين	6531,3

مسجد سيدي علي باشا	1050,6

وقدر عدد الأملاك الموقوفة خارج مدينة الجزائر على فقراء الحرمين الشريفين في الفترة ما بين 1186هـ/1772م و 1187هـ/1773م حوالي 340 دار[28]. وثائق المحاسبة المتوفرة في السجلات لن تمكننا من تقدير عائدات الأوقاف من العقارات التي تشغل بطريقة غير مباشرة من طرف مؤسسة الأوقاف عن طريق كرائها. فهناك عدم تجانس في المعطيات التاريخية الواردة في الوثائق، وقلة انتظامها وتعدد أوجه الإنفاق وكثرة المنتفعين من أحباس المؤسسات يعطينا حجمًا تقريبيًا لعائداتها.

وتتفاوت العقارات من حيث قيمتها العقارية حسب كل مؤسسة وقفية وأهميتها وطبيعة نشاطها، فمن خلال جداول العقارات الموقفة تبين لنا أن مؤسسة الحرمين الشريفين والأندلس يتصدران القائمة، تليها أوقاف المساجد تتصدرها العقارات الموقفة على جامع علي باشا، يليها جامع خضر باشا ومزمورط، ويليها العقارات الموقفة على الجامع الأعظم. إلاّ أن هذا الترتيب لا يعكس القيمة الاقتصادية لأوقاف كل مؤسسة بالنظر إلى بعض المنشآت تغلب على أوقافها الرباع. كما أن الإحصائيات تختلف من سنة إلى أخرى في بعض الأحيان يكون هناك تراجع في عدد العقارات والعكس. لكن الشيء الوحيد الذي أجمع عليه المؤرخون الذين درسوا وثائق الأرشيف أن أوقاف المساجد أمنت مصادر دخل قارة للمؤسسات التعليمية من مساجد وزوايا وكتاتيب. وتميزت هذه العقارات بالكثرة والتنوع من دار، حانوت، مخزن، غرف في الفنادق، علوي الحمامات، البحيرة، الدويرة.

فقد وردت مداخيل أوقاف الجامع الأعظم من كراء الأوقاف (العلوي) سنة 1213هـ/1798م ما يقدر بـ 719 ريال سنويا، رغم كل المحاولات التي تقوم بها الدراسات التاريخية لإحصاء عائدات المؤسسات الوقفية من خلال وثائق المحاسبة الواردة في السجلات، إلاّ أنها

لم تصل إلى إحصائيات دقيقة لأسباب سبق ذكرها. لكن تمكن من خلال دراسة أوجه الإنفاق وكثرة المنتفعين من أحباس المؤسسات، واستنتاج مدى مساهمتها في تمويل التعليم.

3- مصاريف الأوقاف على التعليم :

3-1 أجور المعلمين ومنحة الطلبة

استفادت أصناف اجتماعية عديدة من المؤسسات الوقفية ماديًا، ومن أبرز المستفيدين مدرسي المساجد والمؤدبين ومعلمي المدارس، حيث أن هذه الفئة تم تصنيفها في قائمة الموظفين في المساجد ويتقاضون مرتبات وإعانات حسب درجاتهم. فالمؤدب أو المعلم في الكتاب والمسيد كان يتقاضى أجرة شهرية 2 ريال، والمدرسون في المساجد يتحصلون على رواتب قارة مقابل تقديم الدروس قدرة بخمسة ريال شهريا، هذا بالإضافة إلى الصدقة والإعانات النقدية والعينية التي كان يتحصل عليها والتي كانت تزداد قيمتها في المناسبات الدينية.

فبفضل مردود الأوقاف والمداخيل التي يوفرها تمكن حكام الأتراك بالجزائر من إيجاد وسيلة ملائمة لتسيير بعض المصالح التعليمية والخدمات الثقافية التي لم تر الدولة ضرورة لرعايتها، ولم تكن الخزينة العامة تهتم بالإنفاق عليها مثل منح الطلاب وأجور المدرسين وجرايات القائمين على شؤون العبادة بالمدارس والزوايا والمساجد والأضرحة مثل الخطيب، الإمام، الحزاب وقيم المكتب والمؤذن والمنشد والشعال[29].

1 – أجور المعلمين:

لم يكن المعلمون موظفين رسميين تعينهم السلطات المسؤولة، كما لم يكن لهم هيئة تمثلهم ولا أجرة ثابتة تمنح لهم. ويمكن تصنيفهم من حيث الأجرة إلى نوعين، معلمون موظفون برواتب معلومة وهم المدرسون في المساجد ومؤدبو الصبيان في المكاتب الملحقة بالمساجد، ونوع ثاني من المعلمين يأخذون الأجرة من الدارسين.

1.1 – معلمين يأخذون أجرة من الدارسين:

أغلب الأجور كانت تأتي من الأهالي لا من الوقف، وبناء على بعض التقديرات فقد كان المؤدب، يأخذ حوالي ثلاثين فرنكًا شهريًا على كل طفل موزعة كما يلي:

– أربعة عشر أجرة.

– خمسة في شكل هدايا في الأعياد.

– إحدى عشر عطايا خلال مراحل تعلم الطفل، مثل مناسبة حفظ القرآن[30].

المعلمين في الكتاب لا يتلقون أجرة شهرية ولا سنوية، بعد أن يحفظ التلميذ أجزاء من القرآن، يدفع له الأولياء إثنان أو ثلاث دوبلات، حسب إمكانياتهم المادية. وبعد أن ينتهي التلميذ من حفظ القرآن في مدة ثلاث سنوات، الذين يدرسون عند الأتراك يكرمون المعلم من خلال مأدبة عشاء، ويقدمون له هدايا (أفرشة، أقمشة من حرير)، وإلا مبلغ مالي بين خمسة عشر وعشرين دوبلا حسب مقدور العائلات لشراء الملابس، والبعض الآخر يقدم لهم الملابس، والذين يدرسون العربية يسطحب التلميذ وهو على الحصان ويلف به شوارع المدينة، ويتم إيصاله إلى منزله[31].

لا يمكننا معرفة تكاليف التعليم لكل أسرة لها أطفال في التعليم الابتدائي، لأن الأمر يختلف حسب أحوال الأسرة، فقرًا وغنًى، في الريف أو المدينة. والتكاليف كلها لم تكن في شكل نقود أسبوعية أو شهرية للمؤدب، فقد كان آباء التلاميذ يرسلون أشياء أخرى كالثياب والزيت والحلويات والقمح واللحم والزيتون ونحوها، وهذا كله يتوقف على وضع العائلة ومكانها في الريف أو المدينة[32].

لم تكن مهنة التعليم من المهن المرغوب فيها أو المريحة خلال العهد العثماني، فكانت لا تجلب إلى صاحبها إلاّ الفقر، رغم أنّها تجلب إليه عطف الناس وإحسانهم واحترامهم المعنوي. وكان الناس ينظرون إلى المعلم وخصوصًا معلم الأولاد أو المؤدب نظرة شفقة وعطف أكثر من نظرة احترام وتبجيل، ذلك أنه كان يعيش عيشة الكفاف في أغلب الأحيان، وكان مورد غير قار ولا آمن، رغم

كل ما يدفعه له آباء التلاميذ من أجر ومن هدايا في مختلف المناسبات. وكان بعض المؤدبين شيوخا طاعنين في السن أو عميانًا، ولاسيما معلمو الفتيات في البيوت. وكان يساعدهم في مهمتهم بعض المتدربين الذين يسمون في بعض النواحي "مسلكين"، ولذلك كان بعضهم لا يعتمد كليا على التعليم كمورد للرزق(33)، وحتى المؤدبين الذين كانوا لهم رواتب قارة كانوا يعانون من نفس الظروف، هذا ما أدى بهم إلى ممارسة أعمال أخرى إلى جانب تأديب الصبية.

2.1 – معلمين موظفين برواتب معلومة:

كانت هذه الفئة من المعلمين، تخص المدرسين في المساجد والمدارس في المدن، فالمدرسون يحصلون على رواتب قارة وشهرية مقابل تقديم الدروس وكذلك معلمي الكتاب أو المسجد هذا إضافة إلى إعانات نقدية وعينية متفاوتة بعنوان الصدقة والإحسان تزداد في المناسبات الدينية، لكن تجدر الإشارة هنا أن الأجرة لا تقدمها الدولة أو الهيئة الرسمية، وإنما تُعطى من عائدات أموال الأوقاف. فبفضل مردود الأوقاف والمداخيل التي يوفرها تمكّن الحكام الأتراك بالجزائر من إيجاد وسيلة ملائمة لتسيير بعض المصالح التعليمية والخدمات الثقافية التي لم تر الدولة ضرورة لرعايتها، ولم تكن الخزينة العامة تهتم بالإنفاق عليها مثل منح الطلاب، وأجور المدرسين القائمين على شؤون العبادة بالمدارس والزوايا والمساجد والأضرحة مثل: الخطيب، الإمام، الحزاب، وقيم المكتب والمؤذن والمنشد والشعال، فباستثناء الجهات النائية والمناطق الجبلية التي كانت القبائل فيها تتكفل بالإنفاق على التعليم(34).

1.2.1 – مؤدب الصبيان:

كانت المساجد التي كانت ملحقة بها مدارس ابتدائية أو الكتاب، أو كما كان يعرف كذلك في مدينة الجزائر بالمسيد، هذا النوع كانت تشرف على تمويله ودفع أجرة المؤدبين المساجد من أموال الأوقاف الخاصة بمسجدها، فكان مؤدب الصبيان يصنف ضمن الموظفين التابعين للمسجد، ويحصل على راتب شهري مثله مثل المدرس، ولقد انتشرت هذه السياسة خاصة في حواضر ومدن الجزائر، ولإعطاء صورة سوف نأخذ نموذج حول مدينة الجزائر من خلال وثائق الأرشيف الوطني.

مداخيل الجامع الأعظم من الأوقاف خصصت ليُصرف جزء من مداخيلها على مؤدبي الصبيان. فقد ورد في السجلات عدة أمثلة أخذنا نماذج منها، فمثلا السيد محمد مؤدب الصبيان في مسجد الجامع الأعظم كان يتقاضى أجرة شهرية لمدة سنة كاملة (1208هـ/1793م) قيمتها 10 ريال شهريا[35]. وكذلك هناك مثال ثاني السيد مختار مؤدب الصبيان في الجامع الأعظم كان يتقاضى راتب شهري قدر بـ 1 ريال لمدة أربعة سنوات، من 1211هـ/1796م إلى 1214هـ/1799م[36]. فمنصب مؤدب الصبيان هو منصب قار، يثبت فيه لعدة سنوات يتلقى فيها المعلم أجرة ثابتة، وهذه الخاصية لا تخص المسجد الأعظم وحده، فمثلا في مسجد سي الجردي كان مؤدب الصبيان يتلقى أجرة قيمتها 3 ريال لمدة ثلاث سنوات من 1207هـ/1792م إلى 1209هـ/1794م. فقد جاء في الوثيقة: "الحمد لله قبض السيد محمد مؤدب الصبيان بمسيد سي الجردي في ماله من شهر الله شعبان سنة 1207هـ/1792م"[37]. كما كان يتقاضى مؤدب الصبيان أجرة 2 ريال في جامع عبدي باشا والجامع الجديد[38].

ولقد تبين لنا من خلال الوثائق، الأجرة الزهيدة التي كان يتقاضاها مؤدب الصبيان، مقارنة بالمدرس والخطيب، رغم أنها شهرية إلاّ أنّها لا تلبي حاجيات المعلمين في الكتاب. هذا ما أدّى بهم إلى ممارسة أعمال أخرى إلى جانب تأديب الصبيان داخل المسجد منها المؤذن الكناس والفراش والحزاب (قراءة حزب)، فقد ورد في السجلات "السيد محمد بن عبد الرحمن مؤدب الصبيان ومؤذن السدة، كناس جامع كجاوة" و "السيد مصطفى مؤدب الصبيان، فراش" سنة 1230هـ/1814م[39].

2.2.1 – المدرسين في المساجد:

مدرس التعليم الثانوي والعالي في المدن كان من المحظوظين، لأنه استطاع أن يصل إلى هذا المستوى من التعليم، فهو موظف عند الدولة بحكم تعيينه من الباشا أو الباي، لذلك فإن عليه ما على جميع الموظفين الآخرين من رقابة وقيود ومن واجبات دينية واجتماعية وسياسية أحيانًا[40]. لكن الذي أجمعت عليه المصادر وأثبتته الوثائق أن الوظائف في المساجد كانت ثابتة، وكان من بينها المدرس الذي يلقي الدروس الدينية من فقه وحديث في المساجد، وكان هذا الأخير يتقاضى أجرة شهرية، خصصت له من مداخيل الأوقاف الخاصة بكل مسجد أو زاوية.

فكان لجوامع مدينة وهران وملحقاتها موظفيها القائمين على صيانتها والقيام بالنشاط العلمي فيها، وقد قسم الباي محمد الكبير العمل في المساجد على مجموعة من الموظفين، ورتب لهم مستحقات مالية وهي على النحو التالي:

- إمام المسجد 40 ريال.
- خطيب المسجد 40 ريال.
- مؤذنو المسجد الأربعة 20 ريال.
- قراءة القرآن صباحًا ومساءًا وهم أربعة 10 ريال.
- مدرس صحيح البخاري 40 ريال.
- المدرسون للفقه والحديث والتفسير واللغة العربية كل واحد منهم 10 ريال.
- مصحح ألواح الطلبة 40 ريال.
- وكيل المكتبة 15 ريال.
- راوي حديث اللغو يوم الجمعة 10 ريال.
- منظف بيوت الطهارة 40 ريال.

وكانت هذه الرواتب تأتي من عائدات الأوقاف وأملاك الحبوس للنفقة على نشاط المساجد[41]. والملاحظ أن الباي محمد الكبير في معسكر أول حاكم خصص مبالغ شهرية من ميزانية الدولة[42]. وكذلك صالح باي في قسنطينة بعد تأسيسه مدرسة سيدي لخضر بقسنطينة

خصص من الميزانية أجرة للأساتذة[43]. وقد ثبت من السجل الذي أمر به لضبط مصاريف الجامع الكبير بقسنطينة أن أستاذ المدرسة الملحقة بالجامع كان يتقاضى ثمانية وأربعين ريالاً شهريًا[44].

أما مساجد مدينة الجزائر فكانت هي الأخرى عبارة عن معاهد تلقى فيها الدروس، وكان بها أساتذة يشرفون على تقديم الدراسات العليا في مختلف العلوم الفقهية، كما كان منصب الأستاذ صنف مع موظفي المساجد تحت لقب المدرس، وفي بعض الأحيان يذكر الدرس الذي يقدمه، كما أن الفقيه المالكي والحنفي هم كذلك كانوا يقدمون دروس في مساجد مدينة الجزائر. وكان للمدرس راتب شهري خصص له من عائدات أوقاف المساجد، والوثائق في مركز الأرشيف تثبت ذلك، فقمنا بوضع جداول لرواتب المدرسين في مساجد مدينة الجزائر.

جاء في سجلات البايلك نص وثيقة: "الحمد لله بيان ما دفعنا رواتب الجامع متع الأمير السيد عبدي باشا سنة 1142ه/1729م"[45]

جدول راتب المدرسين في مسجد عبدي باشا (1142ه/1729م)[46]:

الوظيفة	الأجرة الشهرية (ريال) *
الخطيب	15
الإمام	08
المدرس	05
حزاب	02
حزاب مؤدب الصبيان	02
مؤدب الصبيان	02

وهناك وثيقة أخرى جاء فيها: "بيان ما خرج على راتب متاع مسجد الباشا مزمورط 1152هـ/1739م"[47].

جدول راتب مسجد مزمورط سنة (1152هـ/1739م):

الوظيفة	الأجرة الشهرية (ريال)
الخطيب	15
الإمام	08
المدرس	07
راتب المسيد	1 – 4

وجاء في أحد السجلات وثائق حول مصروف جامع باب عزون خلال الفترة الممتدة من 1159هـ/1746م إلى 1162هـ/1748م تمكنا من خلالها استخلاص جدول حول راتب المدرسين في المسجد[48]

جدول راتب مسجد مزمورط سنة (1152هـ/1739م):

الوظيفة	الراتب (ريا ل)
الخطيب	15
الإمام	08
المدرس	07
المسيد	1 – 4

نلاحظ من خلال جداول أجور الموظفين في مساجد مدينة الجزائر أن المدرس و مؤدب الصبيان تم تصنيفهم مع الموظفين في المساجد ، و يستفدون من أجرة شهرية ثابتة تخصص لهم من عائدات

الأوقاف . و تختلف قيمتها حسب الرتبة العلمية حيث يتقاضى خطيب المسجد أعلى أجرة ثم يليه الإمام و المدرس ، و تبقى أجرة مؤدب الصبيان أدنى أجرة . و قد تبين لنا من خلال سجلات البايلك أن الأجرة ثابتة لعدة سنوات و لا تتغير قيمتها إلا في حالات نادرة كما هو مبين في الوثيقة التالية .

وهناك وثيقة أخرى من السجلات جاء فيها: "راتب الموظفين في جامع عبدي باشا من سنة 1210هـ/1795م إلى 1212هـ/1797م جاء فيها ما يلي:

- الخطيب مصطفى أفاندي 15 ريال.
- الإمام محمد خوجة مع المكتب 22 ريال.
- سي محمد سقينجي مدرس وحزاب 08 ريال.
- سي محمد الشريف مؤدب الصبيان 01 ريال[49].

يتبين من الوثيقة أن المدرس في نفس الوقت يقرأ الحزب وأن الإمام في نفس الوقت يدرس في الكتاب، لذلك الأجرة مرتفعة على المعتاد، لأنه يمارس وظيفتين في نفس الوقت، وهذا التقليد وجدناه في عدة مساجد حيث يسمح للموظف ممارسة عدة مهام داخل المسجد فمثلا في مصاريف جامع كجاوة ورد في وثيقة "الخطيب محمد أفندي حق خطب وحق درس وحق كتب 35 ريال"[50]، وهذا دليل على قلة الراتب.

أما المسجد الأعظم، فقد خصص أوقافه راتب للموظفين والسجلات تثبت ذلك فقد ورد في فيها (1184هـ/1770م):

- الخطيب خمسة عشر ريال وعشرون درهم.

- المدرس المالكي سبع ريالات وخمسة أثمان.

- لراوي الحديث للمدرس سبعة أرباع[51].

بالإضافة إلى الأجرة كان المدرسون يتلقون مبالغ مالية في شكل هدايا أو عطايا في مناسبات معينة، منها شهر رمضان والعيدان (عيد الفطر وعيد الأضحى). وبالإضافة إلى ما ذكرناه هناك السكن وبعض الامتيازات الأخرى .

يتبين لنا من خلال عرض رواتب المعلمين في الجزائر خلال العهد العثماني، أن هذه الفئة لم تلق الدعم من طرف الحكام الأتراك، فلولا الوقف ورغبة المجتمع وتقديسه للتعليم لعرف هذا الأخير الانحطاط. ولذلك مهنة التعليم لم تكن مرغوبة وسط المجتمع لأنها غير مربحة، حتى ذكر في المصادر أن البعض منهم غير مهنته مثل حمودة المقايسي الذي غير مهنته من التدريس إلى صناعة المقايس. ومنهم من مارس التجارة مثل أبي عبد الله محمد العطار كان عارفًا بالمعقول والمنقول (العلوم العقلية والنقلية)، وكان من المدرسين في مدينة قسنطينة المتقنين، وكان ذا مال يتاجر بماله خرج للتجارة بتونس[52]. ومحمد النقاوسي الذي كان سمسارًا للكتب بقسنطينة[53]. وكان بعض المدرسين والأساتذة يتولون وظائف أخرى كوكالة الوقف والإمامة والخطابة والقضاء ونحوها. وكان معظم المدرسين يحصلون على الحلوى يوميا خلال شهر رمضان، والملابس أثناء عيد الأضحى، وتتراوح رواتبهم السنوية من الأوقاف بين مائة ومائتي فرنك[54].

3-2 منحة الطلبة:

كان الطلبة في المساجد والزوايا يستفيدون من مساعدات مالية، عبارة عن منحة شهرية تقدم إليهم من عائدات الأوقاف، وكان هذا التقليد معمول به في معظم مساجد وزوايا الجزائر خلال العهد العثماني، وهذا مرتبط مع المؤسسة الوقفية ومداخيلها، لأن الوقف كان كالشجرة يحتاج

إلى التعهد المستمر لكي يزداد دخله. لذلك كانت بعض المؤسسات الدينية والعلمية تعاني نتيجة ضآلة دخلها وإهمال الوكلاء، بل إن بعض المؤسسات تلفت من عدم العناية بأوقافها، أو عدم الحصول على أوقاف جديدة، لكن بعض المؤسسات كانت تتمتع بأوقاف ضخمة مثل الجامع الكبير بالعاصمة[55]، الذي كانت مداخيله كبيرة، بدليل أنه تم إنشاء زاوية ملحقة بالجامع من فائض مردوده لإيواء الطلبة كما سبق ذكره[56].

مدينة قسنطينة كان عدد أماكن العبادة والتعليم بها ينيف عن 100 منها 35 مسجدا و169 زاوية و 7 مدارس رئيسة يدرس بها 600 تلميذ، منهم 150 من الأرياف وكلهم يتقاضون منحة سنوية من وكيل الأوقاف تقدر بـ 36 فرنك للطالب، مع إعانة نصف سنوية تتألف من كمية من الزيت والشموع والبخور والسجاجيد[57]. كما كان يستفيد الطلبة في معسكر من نفقات ومساعدات تقدم لهم في مواسم الأعياد[58]، في حين بعض الزوايا في الريف كان الطلبة يشرفون بنفسهم على جمع المداخيل المالية من خلال جمع العشور في الموسم الزراعي، كما سبق ذكره. فقد كان طلبة العلم في الجزائر خلال العهد العثماني يستفيدون من منحة ومساعدات، وهذا ما تؤكده الوثائق.

فقد جاء في السجلات "رواتب ومهيبة وخرجية"، "خرج رواتب للطلبة" "مهيبة العيد الكبير"، فكان الطلبة تشرف على دراستهم مؤسسة الأوقاف من خلال تقديم منح وهيبات في المناسبات الدينية. ولإعطاء صورة حول هذه المنح أخذنا نموذج من السجلات وهي مؤسسة سبل الخيرات، التي كانت تخصص منحة للطلبة في مسجد السيدة[59]، يتحصل عليها الوكيل على المسجد أو الإمام ويوزعها على الطلبة، حيث جاء في سجل قيد حول بيان أناس المساجد ورد فيه تخصيص جزء من عائدات الأوقاف الجامع الأعظم لإعانة الطلبة "قبض 161 ريال وجامع الأعظم لأجل طلبة بجامع أعظم" "16 قبض وكيل جامع الأعظم على طلبة تمام شعبان"[60].

جدول راتب الطلبة لجامع السيدة، مؤسسة سبل الخيرات[61]

السنة	أعلى منحة (دراهم صغار)	أدنى منحة (دراهم صغار)
1135هـ/1722م	397	320
1136هـ/1723م	404	310
1137هـ/1724م	405	305
1138هـ/1725م	364	300
1139هـ/1726م	355	307
1140هـ/1727م	316	375
1141هـ/1728م	325	316
1142هـ/1729م	326	334

جدول أوقاف فقراء الجزائر والأسارى والطلبة (1128 – 1129هـ/ 1813 – 1812م)[62]:

الأوقاف	العقارات
شركة أندلس	129
أوقاف جامع علي باشا	141
أوقاف مزمورط	138
أوقاف خضر باشا	144
أوقاف الجامع الأعظم	124
أوقاف الأسرى والطلبة	136

فحسب السجلات المنح التي يأخذها الطلبة شهرية، حيث ورد في أحد الوثائق "الحمد لله تقييد زمام شهور ما يأخذه الطلبة والمؤدبين وحزاب المساجد أواسط محرم 1231هـ/1815م قيمة 20 ريال". و كانت عبارة عن راتب شهري لكن قيمته لم تكن ثابتة، وهذه الزيادة والنقصان

تكون حسب مداخيل المؤسسة الوقفية، وحسب تغير عدد الطلبة المتمدرسين في المساجد، فقد صنف الطلبة في السجلات مع أناس المساجد التي تشرف على مساعدتهم الأوقاف، كما كانت هناك أوقاف خاصة بالأسرى والطلبة تقيد مداخيلها ومصاريفها في سجلات "الدفتر الثامن والخمسين بعد المائة مشتمل على حفظ كراء الأملاك المذكورة، ويتضمن أيضًا أوقاف بعض المساجد مع الأوقاف الموقوفة على الأسارى وعلى أوقاف الطلبة... وهم موقفين على الحرمين الشريفين 1229هـ/1813م[63].

4. خاتمة:

الوقف في الحقيقة كان بالنسبة للدولة بمثابة وزارة الثقافة والتعليم والدين والشؤون الاجتماعية اليوم، رغم أنه لم يكن هناك وزارة بهذا العنوان ولا بهذا المحتوى الشامل[64]. فباستثناء الجهات النائية والمناطق الجبلية التي كانت القبائل فيها تتكفل بالإنفاق على أماكن العبادة والتعليم بها، فإن مردود الأوقاف كان يشكل المصدر الوحيد لرعاية الخدمات الثقافية والدينية بأغلب البوادي والحواضر الجزائرية التي كانت تزخر بالمساجد والمدارس . فقد كانت الأوقاف مؤسسة اقتصادية استفادت أصناف اجتماعية عديدة من المؤسسات التعليمية ماديا، كما أشرفت على استمرار نشاطه.

كان اشراف مؤسسة الأوقاف على التعليم من خلال التكفل بدفع أجور الأساتذة ، و الإشراف على الطلبة بتقديم مساعدات مالية لهم بمثابة منحة . و تكون هذه العملية تحت اشراف ناظر الأوقاف حيث يخصص جزء من عائدات المؤسسة لتمويل التعليم و يدون ذلك في سجلات منظمة بطريقة ادارية محكمة ، كل حسب رتبته و تسجل قيمة الأجرة مع ذكر اسم المستفيد سنة و شهر الاستلام . هذا العمل الإداري جعل من المؤرخين يصفون مؤسسة الأوقاف بمثابة وزارة التعليم تشرف على تمويله من خلال دفع أجور الموظفين و المساهمة في بناء المؤسسات التعليمية من فائض عائداتها و صيانتها المتمثلة في المساجد و الزوايا و الكتاتيب . لكن في الأصل المبادرة كانت

شعبية من أفراد المجتمع الذي كان يحبس أملاكه على المساجد و طلبة العلم ، لذلك رغم غياب اشراف السلطة على التعليم ساهم هذا الأخير في ضمان استمرار نشاطه تحت اشراف مؤسسة الأوقاف و هذا نابع من تقديس المجتمع الجزائري للعلم و المعرفة .

5.هوامش:[1](*)

[1] – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 ، ص152.

[2] – خديجة بقطاش، "أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي"، مجلة الثقافة، السنة الحادية عشر، العدد 62، جمادي الأولى والثانية 1401/مارس، أفريل 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص77.

[3] – الواليش فتيحة، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 م ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 1993 -1994 ، ص165.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق ، ص ص157 - 158.

[5] – خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص77.

[6] – ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص159.

[7] – نفسه، ص158.

[8] – عبد الجليل التميمي، " من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر " ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة السابعة ، العدد 19-20 ، أكتوبر 1980 ، تونس ، ص160.

[9] – نفسه، ص171.

[10] – سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س 40 ، مركز الأرشيف الوطني ، بئر خادم ، الجزائر .

[11] – عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص166.

[12] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية ، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 2013 ، ص ص187- 188.

(*) التهميش الأول، ويليه التهميش الثاني،... الخ (التهميش يكون في آخر المقال: Notes de fin)

[13] – حسين بن رجب شاوش بن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها ، جمعها فارس كعوان ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2009، ص97.

[14] – سجلات بيت المال والبايلك: ع4، س10.

[15] – سجلات بيت المال والبايلك: ع10، س51.

[16] – Aumerat, La propriété urbaine à Alger, in R. A. n°42,... op.cit., p. 191.

[17] – ياسين بودريعة، أوقاف الأضرحة و الزوايا بمدينة الجزائر و ضواحيها خلال العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، 2009-2010 ، جامعة الجزائر 2 ، ص116.

[18] – نفسه ، ص111.

[19] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، مرجع سابق، ص159.

[20] – سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 82، وثيقة 2.

[21] – سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 129، وثيقة 11.

[22] – سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 129، وثيقة 11.

[23] – يحيى بوعزيز، " أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر و العشرين "، مجلة الثقافة ، السنة الحادية عشر ، العدد 63 ، رجب – شعبان 1401 ه / مايو – يونيو 1981 م ، ص21.

[24] – نفسه، ص21.

[25] – محمد سي يوسف، "نظام التعليم في بلاد زواوة، بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية المغربية، السنة السابعة عشر، عدد 57-58، جويلية 1990، تونس ، ص207.

[26] – سجلات بيت المال والبايلك: ع4، س10.

[27] – سجلات بيت المال والبايلك: ع4، س10.

[28] – نفسه.

[29] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص162.

[30] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) ، ج1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، طبعة 1 ، 1998 م ، ص30.

[31] – Diego de Haëdo, Topographie et histoire général d'Alger, édition Bouchene, 1998., p. 114.

[32] – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص31.

[33] – نفسه ، ص317.

[34] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص162.

[35] – سجلات بيت المال والبايلك: ع31، س287.

[36] – سجلات بيت المال والبايلك: ع31، س288.

[37] – سجلات بيت المال والبايلك: ع31، س287.

[38] – سجلات بيت المال والبايلك: ع29، س231.

[39] – سجلات البايلك: ع34، س331.

[40] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص318.

[41] – عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية و الاجتماعية بمدينة و هران خلال العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة وهران ، 2013، ص157.

[42] – أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق و تقديم المهدي بوعبدلي ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، 2013، ص141.

[43] – A. Cherbonneau, Inscription Arabe de la medersa de Sidi-Akdar a Constantine ,in R A ,n34, 1858, p. 469.

[44] – أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص328.

[45] – سجلات البايلك: ع29، س231.

* – الريال اسم أطلق في الأصل على القرش الإشبيلي المتكون من 8 ريالات ، و كان هذا القرش عملة التداول في المبادلات التجارية في جزء كبير من العالم منذ القرن 16 م إلى 19 م هذه القطعة الفضية صارت العملة الرئيسية للجزائر مدة عشرات السنين ، حيث عرفت الفترة بين 1580 – 1612 – 1620 تحولات و اضطربات في العملة هيأت الظروف لسيطرة الريال الإسباني على المعاملات النقدية في الجزائر . أنظر : المنور مروش ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني – العملة الأسعار و المداخيل ، ج 1 ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2009 ، ص ص 39 – 41-

[46] – سجلات البايلك: ع29، س231. مسجد عبديباشا من مساجد مدينة الجزائر الحنفية أسس سنة 1726 ، أنظر Tall Shuval ,La ville d'Alger ver la fin du 18 siècle CNRS édition ,Paris , 1998, p 194

[47] – سجلات البايلك: ع29، س241، س243، س244، س245. مسجد مزمورطو من مساجد مدينة الجزائر الحنفية أسس سنة 1685 . أنظر Tall Shuval , op.,cit , p 194 .

[48] – سجلات البايلك: ع29، س241، س243، س244، س245.

49 – سجلات البايلك: ع31، س288.

50 – سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س40.

51 – سجلات بيت المال والبايلك: ع14، س85.

52 – عبدالكريم الفكون، منشور الهداية فيمن عرف في كشف حل من ادعى العلم و الولاية ، تقديم و تحقيق ابو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ط 1 ، 1987 ، ص43.

53 – نفسه، ص55.

54 – أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص329.

55 – نفسه، ص232.

56 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص187.

57 – نفسه ، ص162.

58 – عبد القادر بلغيث، المرجع السابق ، ص226.

59 – سجلات البايلك: ع33، س328.

60 – سجلات البايلك: ع19، س100.

61 – سجلات البايلك: ع34، س329.مؤسسة سبل الخيرات كانت هيئة أو ادارة لها النظر على مساجد المذهب الحنفي و الأملاك المحبسة عليها ، أنشئت في أواسط القرن 17 م و بقيت إلى حوالي 1841 ، أنظر عبد القادر نور الدين : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر – من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، دار الحضارة الجزائر ، 2006 ، ص 161 . ومسجد السيدة من المساجد الحنفية التابعة له أسس سنة 1565 . أنظر . Tall Shuval , op.,cit, p 194

*– يذكر هايدو أن العملة الجارية في الجزائر حتى اقامته بالمدينة نهاية السبعينات و بداية الثمانينات من القرن 16 م كانت نقود ذهبية و فضية و نحاسية و الدرهم قطعة فضية مربعة تساوي ريالا اسبانيا . و الدرهم عملة فعلية أقدم قطعة منه في العهد العثماني هي قطعة مضروبة في الجزائر باسم السلطان سليم الأول و تحمل تاريخ 918ه / 1512م. أنظر : المنور مروش ، المرجع السابق ، ص ص 36 – 39 .

62 – سجلات البايلك: ع159، س23.

63 – سجلات البايلك: ع19، س92.

64 – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص234.

6. قائمة المراجع:

- المؤلفات:

.

1- ياسين بودريعة ، أوقاف الأضرحة و الزوايا بمدينة الجزائر و ضواحيها خلال العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، 2009-2010 ، جامعة الجزائر 2.

2- عبد القادر بلغيث ، الحياة السياسية و الاجتماعية بمدينة و هران خلال العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة وهران ، 2013 .

3- عبد الجليل التميمي ، " من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر " ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة السابعة ، العدد 19-20 ، أكتوبر 1980 ، تونس.

4- نور الدين عبد القادر : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر – من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، دار الحضارة الجزائر ، 2006 .

5- ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 .

6- ناصر الدين سعيدوني ، دراسات أندلسية ، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 2013.

7- أحمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق و تقديم المهدي بوعبدلي ، المعرفة.

8- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) ، ج1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1998 م .

9- عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية فيمن عرف في كشف حل من ادعى العلم و الولاية ، تقديم و تحقيق ابو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ن ط 1 ، 1987 .

10-حسين بن المفتي بن رجب شاوش ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها ، جمعها فارس كعوان ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2009.

11-فتيحة الواليش ، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 م ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 1993 -1994.

12-مروش المنور ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني – العملة الأسعار و المداخيل ، ج 1 ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2009 .

- وثائق الأرشيف الوطني :

1- سجلات البايلك :

السجل	العلبة
40	8
10	4
51	10
287	31
288	31
231	29
241	29
243	29
244	29
245	29
85	14
328	33
100	19
92	19
329	34
23	159

2- سجلات المحاكم الشرعية :

- العلبة 82 ، الوثيقة 2 .
- العلبة 129 ، الوثيقة 11 .

قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

1- Aumerat, La propriété urbaine à Alger, in R. A. n°42 .
2- A . Cherbonneau , Inscription Arabe de la medersa de Sidi-Akdar a Constantine ,in R A ,n34, 1858.
3- Diego De Haëdo , Topographie et histoire général d'Alger, édition Bouchene, 1998 .
4- Shuval Tall ,La ville d'Alger ver la fin du 18 siècle CNRS édition ,Paris , 1998 .
5-

- المقالات:

1- خديجة بقطاش ، "أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي"، مجلة الثقافة، السنة الحادية عشر، العدد 62، جمادي الأولى والثانية 1401/مارس، أفريل 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
2- يحي بوعزيز ، " أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر و العشرين "، مجلة الثقافة ، السنة الحادية عشر ، العدد 63 ، رجب – شعبان 1401 هـ / مايو – يونيو 1981 م.
3- محمد سي يوسف ، "نظام التعليم في بلاد زواوة، بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية المغربية، السنة السابعة عشر، عدد 57-58، جويلية 1990، تونس .

فرنسا ومشروع "الصحراء" مابين1920و1957: رسم الحدود والأثر

France and the "Sahara Project" between 1920 and 1957: delineating borders and impact

دة/ يسمينة سعودي[10]،

[1]قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية جامعة الجزائر2 ابو القاسم سعد الله ،

saoudiyasmina248@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/01/15 **تاريخ القبول:** 2021/06/ 14 **تاريخ النشر:** **2021/06/30**

ملخص:

برزت أهمية الصحراء في الأجندة الاستعمارية الفرنسية، بعدا كتشاف الثروات الباطنية، وفي هذا الإطار جاءت المشاريع الفرنسية، من أجل إنشاء أطر التثمين الصحراء الفرنسية اقتصاديا، بإجراء إصلاح عميق من أجل إعادة تقسيم وتنظيم الصحراء ببروز مصطلح الفصل أي فصل الجنوب الجزائري عن شمالها، من أجل تنمية «الصحراءالفرنسية»، من خلال استغلال ثرواتها في إطار وحدة إدارية سياسية، فطرحت مسألة تنظيم الحدود مشكلة في غاية الصعوبة والتعقيد، لتيني فكرة المسار الاقتصادي والاثني للأهالي كمعيار للتقسيم الإداري لأراضي الصحراء.

الكلمات الدالة: الصحراء ،. الجزائر.، الحدود.، التقسيم.، الفصل.،التنظيم ،. السياسة.، فرنسا.

Abstract:

The importance of the Sahara emerged in the French colonial agenda, after the discovery of the underground riches, and in this context the French projects came to establish frameworks for the economic valuation of the French Sahara, by undertaking a deep

---

المؤلف المرسل: دة/ يسمينة سعوديالبريد الإلكتروني: saoudiyasmina248@gmail.com

reform in order to re-divide andorganize the Sahara with the emergence of the term
Separation, which means separating the Algerian south from its north, from in order to develop the”French Sahara”, by exploiting its wealth within the framework of administrative and political unit, the issue of border regulation posed an extremely difficult and complex problem, to enact the idea of the economic and ethnic path for the people as a criterion for the administrative division of the desert lands.
Keywords: Sahara; Algeria; Borders; division; Separation; regulation; politics; France.

1. مقدمة:

تغيرت النظرة الفرنسية الاستعمارية للفضاء الصحراوي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، والتي فرضتها تغيير في العلاقات الدولية، سواء بين فرنسا والقوى الكبرى الجديدة،أو بين فرنسا وعلاقاتها بمستعمراتها.

إن أهمية الصحراء الجزائرية ستطفو الى السطح بعد اكتشاف الثروات الباطنية في الخمسينات من القرن العشرين،ولهذا جاءت المشاريع الفرنسية، من أجل إنشاء أطراللاستثمار الاقتصاديالصحراء، لذلك كان يجب إجراء إصلاح عميق من أجل إعادة تقسيم وتنظيمها ببروز مصطلح الفصلla sécessionوهو فصل الجنوب الجزائري عن شمالها، وقد طرح كفكرة ومشروع منذ سنة 1951، وطبق كسياسة عملية منذ بداية سنة 1957،فكيف كان هذا التنظيم الإداريالعسكريللصحراء والتي أُريد أن تكون فرنسية؟ وكيف تم تثبيتهعلى المستوى الداخلي؟وما هي المشاكل المترتبة عن ذلك التقسيم؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وجب علينا القيام بقراءة متأنية، لمعرفة رؤية الفرنسيين المقدمة لمشروع الصحراء، وبالمقابل نقف عند الباحثين الجزائريين الذين يرون في مشروع فرنسا

الا طمع في خيرات بلادنا، وهذا ما يمنحنا فرصة الاحاطة بالموضوع من كل زواياه معتمدا على المنهج التاريخي التحليلي.

2.التنظيم الإداري الفرنسي للصحراء:

بدأ اهتمام فرنسا بصحراء الجزائر بعد وضع مخطط لتنظيمها صاغه القس شارل دو فوكو(Charles de Foucauld[1]) سنة 1912 قصد حماية المجال الإقليمي الفرنسي من الاعتداءات الخارجية على الحدود الشرقية والغربية بإنشاء فرق عسكرية متنقلة ومستقلة عرفت باسم المهاري، وفي نفس الوقت لإخضاع وفرض السيطرة على العنصر الطرقي في الصحراء عن طريق تقسيم وتجزئة إدارية عسكرية للإقليم.

إن سعي سلطة الاحتلال من أجلتنمية «الصحراء»، من خلال استغلال ثرواتها الباطنية في إطار وحدة إدارية سياسية، طرحت مسألة قانونية تنظيمية معقدة،تعود إلى بداية القرن العشرين، وبرزت جلّيا منذبداية الخمسينات عندما قررت الانتقال السريع إلى استغلال قواعد التنمية المكتشفة في الصحراء (النفط، والغاز، والمعادن)،

في ظرف نصف قرن تقريبا تم إكتشاف واحتلال بعض الأجزاء من الصحراء الإفريقية الوسطمن طرف الفرنسيين، الذي انطلق من ثلاثة قواعدعسكرية، فكانت بداية احتلال الصحراء الافريقيةمن الجزائر لما احتلت جنوبها بين 1858 و1902، ثم السينغال وعن طريقها تم احتلال موريتانيا، والسودان والنيجر وتمبوكتو بين 1858 إلى غاية 1934، الأمر الذي فسّر أن تكونعاصمتها سان لويس، وثالثا كانت من أراضي التشاد ما بين 1909 و1913 وحددت عاصمتها دكار[2].

عملت سلطة الاحتلال انطلاقا من تلك الثلاثة، على تثبيت نفوذها في هذه المناطق بتطبيق منظومة قانونية تنظيمية لأراضي الصحراء، فكيف كان هذا التنظيم؟

يجب التذكير بأن صدور قانون أراضي الجنوب بتاريخ 24 ديسمبر 1902لم يكن القصد منه فصل هذا الإقليم عن شمال الجزائر أو إنشاء كيان مستقل عنه، بل كان بهدف

تقليص نفقات توسع الاحتلال في هذه الأراضي، لذلك تم تدعيمها بميزانية مستقلة[3]، وعليه قسمت أراضي الجنوب إلى أربعة أقاليم بموجب القانون الصادر بتاريخ 1904/08/04 الذي لم يتم تطبيقه إلا في 1920/08/05، وهي عين الصفراء التي شملت الهضاب العليا الغربية، واحة الساورة وعين الصفراء وواحة التوات، وعاصمتها كولومب بشار، أما غرداية فقد شملت وادي ميزاب، وكانت عاصمتها الاغواط، توغرت كدائرة شملت وادي سوف، ووادي أغرغر، ووادي ريغ، وكانت عاصمتها توغرت، وأخيرا الواحات فقد تم مد ترابها إلى السودان الغربي (مالي والنيجر اليوم)، ومنطقة الهقار وتانزروفت، وجعلت ورقلة عاصمة لها[4].

عرفت أقاليم الجنوب في ظل هذا القانون صنفين من الإدارة، ففي الصنف الأول تمت تجزئة الإقليم إلى دوائر، وملاحق ومراكز، بينما في الصنف الثاني، فتم تقسيمه إلى بلديات مختلطة وأهلية، حيث يوحي الصنفان بوجود إدارتين مختلفتين عن بعضهما، واحدة مدنية والأخرى عسكرية، إلا أن الادارتين تشكل إدارة واحدة عسكرية، تخضع في تسييرها إلى نظام الشؤون الأهلية، والضابط يجمع بين قيادة الدائرة، أو الملحق، أو المركز، إلى جانب رئاسته للبلدية المختلطة أو الأهلية[5]، وقد تباينت هيكلة هذين التقسيمين المتداخلين مع مرور الوقت حيث ارتبطا باعتبارين، المصالح الاستراتيجية للمناطق بالنسبة للسلطات العسكرية من ناحية، وتطوير المستوطنات الأوربية المرتبطة بالموارد الإقليمية المتعلقة بالفلاحة والموارد الباطنية المختلفة في المنطقةمن ناحية أخرى[6].

إن أهم ما ميّز هذا القانون كونه سطر الحدود الشمالية لأراضي الجنوب التي لم تكن دقيقة ولم يراع فيها الحدود الجغرافية الطبيعية للصحراء بحيث أدرجت أراضي شاسعة من الهضاب العليا باعتبارها تزخر بموارد مالية في ظل افتقار أراضي الجنوب، وذلك قصد ضمان تمويل الميزانية الخاصة بهذه الأخيرة [7]، ومن جهة أخرى فقد خضع كل إقليم إلى تقسيم أخر يتضمن بلديات مختلطة وأخرى أهلية[8].

ظلت منطقة الجنوب تابعة مباشرة للحكومة العامة بالجزائر[9]، تسهر الفرق العسكرية الصحراوية المهاري على ضمان أمنها، وفي نفس الوقت كانت ملحقة بوزارة الداخلية بالجزائر

عن طريق مديرية شؤون الجزائر[10]، ورغم ذلك استمر العمل بهذا القانون إلى غاية صدور الإصلاحات السياسية بموجب دستور 20 سبتمبر 1947[11]

1.2 . الاثنية في تجزئة أراضي الجنوب:

تضمن التنظيم الاستثنائي المميّز لأراضي الجنوب بعدا اثنيا كانت له أهداف وأبعاد خفية كشفت عن النظرة الاستعمارية للفضاء الصحراوي، ولتوضيح هذه المسألة فإن مختلف الاثنيات التي شكلت المجموعة السكانية في الصحراء الفرنسية، هي مجموعة السكان ذات البشرة السمراء منهم المستقرون وفيهم الرحل، ومجموعة البربر ذات البشرة البيضاء[12] وهم الطوارق الرحل المنحدرين من قبائل زناتة وصنهاجة الذين يشكلون المجموعة الارستقراطية، ومجموعة العرب منهم الرحل ومنهم المستقرون ويتشكلون من العشابةوالشعانبة، ومجموعة المور[13]. فاستثمرت السلطة الفرنسية ذلك باستغلال خصوصيات سكان الصحراء من أجل إثارة التفرقة والنزاعات فيمابينهم بخلق معارضة شاملة بين العرب والبربر، وبين الرحالة والمستقرين، وبين ذوي البشرة البيضاء وذوي البشرة السمراء، وبين الطوارق والعرب، وبين الشرق والغرب، بهدف تحطيم السلطة السياسية للأرستقراطية الترقية عن طريق قطع العلاقة بين طبقة النبلاء الحاكمة والرعية، للتخلص من وظيفة السيّد في القبيلة الترقية، وعزل الرعية الترقية بالهقار سياسيا، لتسهيل السيطرة عليها وإدماجها في المنطق الاستعماري من جهة، وثقافيا لتسهيل إدماجهم وفرنستهم عن طريق منع تعليمهم للغة العربية والفرنسية، وخلق كيان سياسي إداري خاص بالطوارق يلائم الفضاء الصحراوي الموحد والمتجانس من الناحية البيئية والجغرافية لاستغلاله في تنفيذ المخططات الاستعمارية المستقبلية[14].

تجدر الإشارة أن هذا المخطط قد صاغه القس شارل دو فوكو Charles de FOUCAULD، وقام بتجسيده رفقة زميله القائد لابيرين[15]LAPPERINEسنة 1912، ولنجاعته استمر العمل به وامتد إلى الفضاء الصحراوي–الساحلي ذي الأغلبية الطرقية الذي يعتبر المحور الدائري لإفريقية، وسيتم استغلاله في ظروف أخرى من طرف المناصرين لمشروع فرنسا الصحراوي الذين لم يتمكن من تحقيقه، لكنهم اهتدوا إلى صيغة

أخرى مكّنتهم من تحويله إلى مشروع اتفاق الذي سيجسد المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية[16].

أما البعد الثاني في المخطط فيتعلق بتوقيع سلطة الاحتلال على جملة من الاتفاقيات الدولية من أجل حماية وتأمين مناطق نفوذها من أي اختراق خاصة من طرف السنوسية من الشرق، ومن الجارة المغرب في الغرب، ومن طرف الدول الاستعمارية المنافسة والمحيطة بالمنطقة[17].

2.2 الصحراء في القانون الأساسي للجزائر 1947:

صدر هذا القانون بتاريخ 20 سبتمبر 1947لإلغاء قانون أراضي الجنوب بمقتضى المادة الخمسين (50) منه، التي جاءت على النحو التالي:**" يلغى النظام الخاص بأقاليم الجنوب، وتصبح هذه الأقاليم عمالات**[18]**، وبعد مراجعة المجلس الجزائري يتم استصدار قانون يحدد الشروط التي بموجبها تجمع هذه الأقاليم كليا أو جزئيا في عمالات مستقلة أو دمجها في عمالات أخرى موجودة، أو في أخرى سيتم إحداثها. يلغى مرسوم 30 ديسمبر 1903، وتدمج ميزانية هذه الأقاليم في الميزانية الجزائرية"**مقترحا إعادة تنظيمها عن طريق دمجها في العمالات الشمالية للجزائر ضمن عمالة واحدة، وإدماج ميزانية هذه الأراضي في الميزانية العامة للجزائر، ولكن في واقع الأمر لم تجرأ أية حكومة لاحقة على تنفيذ هذا القانون واستمر هذا التنظيم الإداري لأراضي الجنوب إلى غاية سنة 1957 تاريخ صدور قانون إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية[19]، الذي كرّس قرار فصل أراضي الجنوب الجزائري عن شمالها وإعلانها كيان مستقل عن الجزائر وإلحاقها مباشرة بباريس، كما هيئ لها الإطار المؤسساتي لإدارته [20]..

ونتج من هذا القانون تقسيم صحراء الجزائر إلى عمالتين [21]، تضمنت عمالة الواحات عدة مراكز إدارية وهي سوف، وادي ريغ، ميزاب، الأغواط، ورقلة، شعانبة الغربية،

تديكيلت، الهقار والآجر، حيث كان أهالي عمالة الواحات مريدين للطريقة التيجانية، الشاذلية، القادرية، أما تديكلت والآجر فقد كان الأهالي موريدين للطريقة السنوسية، أما عمالة الساورة، فقد كانت مقسمة إداريا إلى عدة مراكز وهي وادي بشار، توات، القورارة، الرقيبات، أولاد سيدي الشيخ، المنيعة، والساورة، حيث كان سكانها خاضعون لتأثير الطريقة الزيانية، الطيبية، الشيخية والكرزازية، إضافة إلى تأثير جبهة التحرير الوطني، والدعاية المغربية من أجل ضم الإقليم إليه(22).

اتجه امتداد العمالتان جغرافيا نحو أقصى إفريقية جنوب الصحراء، حيث كان سكانها على اتصال مباشر ومتواصل مع سكان جنوب تونس، جنوب المغرب، وفزان في ليبيا، والنيجر، ومالي، وكان هؤلاء يشكلون مجموعات إثنية من عرب، وبربر، وتوبوس، والطوارق، فالعرب والبربر كانت لهم علاقات مع المغرب، والجزائر، وتونس، والمغرب، أما الرقيبات فكانت لهم علاقات مع مور المغرب الميريديونال بالصحراء الاسبانية ومع موريتانيا، أما طوارق الجزائر فكانت لهم علاقات واتصال مع طوارق مالي والنيجر،

3.ترسيم حدود الصحراء والأثر المترتبة عنها:

كانت الصحراء المحتلة مرتبطة بخمسة حدود دولية، مع المغرب، الأقاليم الإفريقية الإسبانية، وتونس، وليبيا والسودان(23)، وسيتم توضيحها فيما يلي:

كانت الحدود بين الجزائر والمغرب ثابتة في جهة واحدة فقط، انطلاقا من البحر المتوسط إلى فيقيق، بموجب معاهدة طنجة الموقعة بتاريخ 10 سبتمبر 1844، طبقا للمادة 5 منها والمتممة بمعاهدة لالا مغنية الموقعة في 18 مارس 1845والمحددة بوضوح للحدود بين وادي كيس إلى الثنية الساسي في المادة 03 منها، ومن فيقيق إلى وادي درعة، فقد جاءت الحدود في هذا المسار غامضة طبقا للمادة 6 من نفس المعاهدة، غير أنه في 20 أفريل و7 ماي 1902 تم التوقيع على اتفاقيات جمركية تطبيقا لنص المادة 4 من البروتوكول

الموقع في 1901، وفي سنة 1934 وطبقا لمقرر رئاسة مجلس الاتحاد الفرنسي، ألحقت تندوف بأراضي الجنوب الجزائري[24].

– ارتبطت حدود الصحراء الفرنسية مع مناطق النفوذ الاسباني في الصحراء، من ثلاثة جهات، ريو دو أورو أو وادي الذهب[25]Rio de Oro أو ميناء فيلاسيسنيراVilla Cisnera، ومنطقة الساقية الحمراء[26]، وكاب بوجادور[27]Cap Bojador، وشمال المغرب في منطقة كاب جوبي[28]Cap Juby،حيث تم تثبيت الحدود في شمال المغرب الاسبانيبموجب الاتفاقية الفرنسية الاسبانية الموقعة في 27 نوفمبر 1912، وباتجاه الجنوب تم تثبيت الحدود مع الصحراء الاسبانية بواسطة الاتفاق الفرنسي الاسباني الموقع في 3 أكتوبر 1904، وأخيرا، فإن الحدود بين موريتانيا وريو دو أورو تم تحديديها انطلاقا من كاب بلانCap Blanc إلى فور ترينكيFort Trinquet عن طريق أدرار طبقا لنص المعاهدة المؤرخة في 27 جوان1900[29].

– بالنسبة للحدود الصحراوية بين تونس وأقاليم الجنوب، فقد تم وضعها بواسطة نصين، وهما، اتفاق 1901الذي وضع المسار نحو بير رومانBir Roumaine، والبروتوكول المتعلق بالنظام العام تمت إضافته كملحق بالاتفاقية الفرنسية التونسية الموقعة في 3 جوان 1955، والمتممة بالاتفاق السابق لـ: بير رومان إلى حصن سانت Fort Saint[30].

– وضعت الحدود بين الصحراء الفرنسية وليبيا إثر الاتفاق المتعلق بوضع الحدود بين التشاد وليبيا، وعلى إثره تم عقد الاتفاق الفرنسي–البريطاني بتاريخ 14 جوان 1898، والاتفاق الفرنسي– التركي بتاريخ 10 ماي 1910[31]، واتفاق تيموTimmo والسودان المصري بالإعلان المؤرخ في 21 مارس 1899 وإضافته للمعاهدة الفرنسية– الانجليزية، المؤرخة في 14 جوان 1899 التي اعترفت بها ايطاليا وقبلت بأحكامها. هذه الحدود الجزائرية–الليبية، فصلت افريقية الفرنسية عن المملكة الليبية الجديدة، الأمر الذي طرح

مشاكل وأثار قلق في المستقبل، كما أكدت الاتفاقية الفرنسية-البريطانية، الموقعة بتاريخ 8 سبتمبر 1919 الحدود التي وقّع عليها سنة 1899[32].

– وضعت الحدود بين النيجر وأقاليم الجنوب الجزائري وليبيا بموجب الاتفاقية الفرنسية البريطانية الموقعة سنة 1919، والاتفاق الفرنسي الايطالي الموقع في نفس السنــة[33].

– وحدود الصحراء الفرنسية مع السودان أيضا وضعت عن طريق الإعلان الإضافي الفرنسي البريطاني الموقع بتاريخ 21 مارس 1899[34].

– بالنسبة للحدودبين الجزائر وافريقية الغربية الفرنسية فلا وجود لها، إلاّ الاتفاقية التي وقعت بالنيامي بتاريخ 20 جوان 1909 بين العقيد لابيرين، قائد إقليم الواحات الصحراوية، والعقيد فينيل venil، قائد العسكري لإقليم السينغال والنيجر الأعلى (الاتفاقية تمت بقرار 16 أوت 1911 الموقع من طرف رئيس مجلس الوزراء) حيث حدد خط مسار بين البلدين انطلاقا من واديتينزوتين[35].

كانت حدود الصحراء الفرنسية إلى غاية سنة 1956 واضحة مع الأقاليم الاسبانية والتونسية، بينما لم تكن كذلك مع السودان، وليبيا والمغرب[36]، الأمر الذي تمخض عنه مشاكل حالت دون وضع حدودا مضبوطة للصحراء.

نتج عن الإطار الحدودي « لمشروع فرنسا الصحراوي» مشكلة في غاية الصعوبة والتعقيد، لأن العسكريين والجيولوجيين تبنوا فكرة المسار الاقتصادي والمعيشي والاثني لأهالي الصحراء كمعيار للتقسيم والتنظيم الإداري والعسكري لأراضي الصحراء، وهذا الأسلوب فرضته ظروف الغزو والاحتلال الذي انطلق من ثلاثة قواعد عسكرية، كما سبق ذكره، وفرضه أيضا التنافس مع الدول ذات النفوذ في المناطق الحدودية[37].

أما على المستوى الداخلي، فقد أصبحت الحدود الشمالية للصحراء المحتلة فرنسيا منفصلة عن الجزائر وتابعة لدوائر: ترارزة، البراكنة، تيجيكجة، نيما، غوندام، تمبوكتو، غاو، تاهوا، غدامس، وبيلما، بوركو، انيدي، وتبستي، وتظهر مع الحدود الفرنسية السودانية،

وموريتانيا، باستثناء (دوائر كايدي وسليبابي) التي هي قسم من "دائرة الصحراء الفرنسية"، بالإضافة إلى أراضي السودان (غوف، أدرار، إيفوغاس)، والنيجر (عرق وتينيري)، والتشاد (التبستي)، فجغرافيا كانت الحدود متطابقة مع الجغرافية الطبيعية، وهي واضحة ومدرجة في القانون، لكن سلطة الاحتلال أرادت تقسيما مغايرا للطبيعة، تقسيما يحقق أهدافها الاستعمارية(38).

وبناء على هذا المخطط المنظم للصحراء ، تمكنت سلطة الاحتلال من الاستيلاء على رقعة جغرافية شاسعة تساوي مساحتها نصف أوربا عن طريق منظومة تشريعية، غير أن هذه الرقعة لم تكن منسجمة تماما مع الوحدة الإدارية، كونها خلقت تعقيدات قانونية شكلت محور المناقشات وشغلت البرلمانيون في الجمعية الجزائرية والاتحاد الفرنسي منذ الخمسينات من القرن العشرين إلى غاية سنة 1957، ففيما تكمن هذه العراقيل ؟

منذ سنة 1902 إلى غاية 1957، كانت الأراضي الصحراوية التي ضمت أراضي الجنوب الجزائري، أراضي إفريقية الغربية الفرنسية وإفريقية الاستوائية الفرنسية، خاضعة في تسييرها إلى حكام عامين ومجزئة بين الجزائر، دكار وبرازافيل، ومقسمة إداريا واستراتيجيا، لكن سياسيا كانت مجهولة، وعلى هذا الأساس، كانت " مشروع الصحراء الفرنسية" تابعة إلى ثلاثة وزارات، وهي وزارة المستعمرات وتضم النيجر، مالي، موريتانيا والتشاد، أما وزارة الداخلية تضم الجزائر، وإلى جانب ذلك تقع الأراضي الصحراوية لسلطة ثلاثة (03) حكومات عامة، ووزارة الشؤون الخارجية تقوم بتسيير المغرب وتونس باعتبارهما محميات(39).

مارست هذه القيادة سلطتها على هذا الفضاء انطلاقا من حدود موريتانيا، السودان، بامبا، غاو بالنيجر، ودائرة أغاديس، بيلما وزوار بالتبستي، وكانت خاضعة لقيادة عابرة للصحراء، انتهت مع انتهاء الظروف الاستثنائية التي كانت سببا في إنشائها(40).

كان تسيير أراضي الجنوب الجزائري متباين، من جهة تابعة إلى وزارة المستعمرات حيث شملت التشاد، النيجر، السودان، وموريتانيا، ومن جهة أخرى كانت تابعة لهيئة شؤون الأنديجينا المسؤولة عن التنظيم العسكري، وهذا التنظيم خلق وحدة جغرافية غير منسجمة مع

الوحدة الإدارية التي ضمت ثلاثة صحاري، وهي صحراء الجزائر، وصحراء إفريقية الغربية الفرنسية التي ضمت الأراضي الصحراوية لموريتانيا، والسودان والنيجر، وصحراء افريقية الاستوائية الفرنسية التي شملت الأراضي الصحراوية للتشاد، وممّا زاد الوضعية أكثر تعقيدا، وجود التشريعات المتعلقة بالمناجم، والضرائب، والجمارك، في كل منطقة من هذه المناطق مع تداخل مصالح الشركات المتنافسة بها(41).

ونظرا لتشتت الأقاليم الصحراوية وتباين الأطراف المكلفة بضمان أمنها العسكري، وازدواجية في تنظيمها الإداري والعسكري، صعبت مسألة توحيدها ووضعها تحت سلطة إدارية وسياسية موحدة(42)، وهكذا ظل هذا التنظيم ساري المفعول في هذه الأراضي إلى غاية سنة 1957 تاريخ صدور قانون إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية(43).

لقد شكلت فكرة جمع أراضي الصحراء الفرنسية ووضعها تحت مسؤولية سلطة موحدة رهان استراتيجي منذ مطلع الخمسينات من القرن العشرين(44).وخاصة لما عرقلت بشأنها المفاوضات الجزائرية الفرنسية فيما يخص تقرير المصير وجعلت مبدأ فصل صحراء الجزائر بشمالها شرطا للتفاوض والمناورة الأمر الذي دفع بقيادة جبهة التحرير الوطني إلى إعادة هيكلة الولاية التاريخية السادسة وفتح جبهات على الحدود الصحراوية الجزائرية–الليبية، وعلى الحدود الجزائرية–المالية من أجل ضرب المنشآت البترولية الفرنسية، أما فيما يخص النشاط الدبلوماسي فلم تفوت الحكومة المؤقتة أية فرصة للمشاركة في المحافل الدولية من أجل كشف وفضح الاستراتيجية الفرنسية في الصحراء الجزائرية

4. خاتمة:

بنيت السياسة الفرنسية في الصحراء على أساس الفصلوالمناورات من أجل تحقيق مشروع الفصلبهدف الاحتفاظ بالصحراء، بحيث تقرر عقد مؤتمر دولي بفرنسا حول الصحراء، ودعيت الدول الإفريقية إلى حضوره، الأمر الذي شكّل خطرا حقيقيا على نضال الشعب الجزائري وقيادته، فقامت الحكومة المؤقتة بانتهاج سياسة مضادة من أجل إحباط المناورة الفرنسية.

خلقت هذه سياسة وضعا صعبا بالنسبة للحكومة المؤقتة التي عملت بدورها على بلورة سياسة معاكسة من اجل إحباط مناورات ومؤامرات ديغول الهادفة إلى فصل صحراء الجزائر عن شمالها، غير أن النشاط الدبلوماسي الحثيث وتصعيد العمل العسكري لجيش التحرير كان له تأثير ايجابي في مواقف بعض القادة الأفارقة خاصة منهم موديبو كيتا في مالي وموريتانيا، وبفضل الموقف المغربي تشكّل الحاجز الحقيقي أمام فرنسا بمنعها من تأميم الصحراء ذات الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة لفرنسا وأروبا.

5. قائمة المراجع:

[1]– القس شارل دو فوكو: ولد في 15 سبتمبر 1858 بمدينة ستراسبورغ بفرنسا، وفي سنة 1878 التحق بمدرسة سوميرSaumur للخيالة، ومن ثم أرسل إلى الجزائر سنة 1880 ضمن فرقة عسكرية. استقال من الخدمة العسكرية، ليتفرغ لخدمة المسيحية في الجزائر. استقر في الصحراء الجزائرية منذ 09 جوان 1901 الى غاية سنة 1916 تاريخ مقتله بتامنغست بأمر من الحركة السنوسية. ترك عدة مؤلفات، من أهمها: كتاب "لغة تيفيناغ"، وقاموس فرنسي–ترقي، نشر في مجلدين، وغيرها. **أنظر**: عميراوي أحميدة وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844–1916)، دار الهدى للنشر، الجزائر، 2009، صص 111– 114.

[2]-Daniel STRASSER, Réalités et Promesses Sahariennes (Aspects Juridiques et Economiques de la Mise en Valeur

mer, -Industrielles du Sahara Français), Encyclopédie d’Outre 1956, pp 14-15.،Paris

(3) –محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون (1960-1961)، تر: علي الخش، مر: محمد الفاضل، ط2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص ص 224- 299.

(4)–عبد المجيد شيخي، «الإدارة الفرنسية في الصحراء حتى الاستقلال»، *الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر*، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر العاصمة، 1998، ص 220.

(5)-René VALET, Le Sahara algérien, étude de l’organisation administrative, financières et juridique des territoires du sud, Alger, imp, la typo-litho, 1927, p 33 et 81-91.

(6) - Yaël KOUZMINE ET ALI, « Etapes de la Structuration Convoitises Economiques, Projets Politiques et Aménagements des Territoires », article, In : *Annales de Géographie*, n° 670, 2009, p 669.

(7)-René VALET,Op.cit ; pp 12-14.

(8)- Bruno VERLET, Le Sahara, presses universitaires de France, paris, revue n°766, 1959, p 56.

(9)– محمد بجاوي، المرجع السابق، ص ص 301- 314.

(10)-André BOURGEOT,**«**Sahara: Espace Géostratégique et Enjeux Politiques (Niger)», In *Revue Naqd*, La nouvelle donne géostratégique, Revue d’Etudes et de Critique Sociale, Algérie, n°31, éditée par la société d’édition et d’animation scientifique et culturelle SARL, Algérie, 2013, p 171-172.

[11]– محمد بجاوي، المرجع السابق،ص 314.

[12] – للإشارة، فإن الكاتب ذكر المجموعات السكانية على أساس لون البشرة مستعملا مصطلح البيض والسود، وهذا الوصف في تقديري يوحي بنظرة عنصرية استعمارية هدفها التفرقة بين سكان الصحراء على أساس لون بشرتهم، لذلك فقد تحفظت من استعمالها.

[13]-Max MARCHAND, Le Sahara, Sa géographie et son histoire, ses perspectives industrielles, son organisation administrative, éditions L.Fouque, Oran 1957, pp45-46.

[14] -André BOURGEOT, Op cit ; p p 161- 170.

[15]–القائد لا بيرين فرانسوا آنري: جنرال فرنسي، ورفيق القس شارل دو فوكو، شاركتحت قيادة جوفر Joffre في حملات في الجنوب الوهراني والسودان. قادالإقليمالعسكري للواحات، وانشأ الفرق الصحراوية الأولى بين 1902–1910. تم استدعائه إلى شمال إفريقية من طرف القائد ليوطي بعد الحرب العالمية الأولى، فقاد الأقاليم الصحراوية بين 1917–1919. توفي في حادث سقوط طائرة بين الجزائر وافريقية السوداء. **أنظر**:

Le petit Robert : ***Dictionnaire Universel des noms propres,*** 3eme édition, Paris, 1977, p 1042.

[16]-André BOURGEOT, Op. cit; p 170.

[17]-Ibid, p 170.

[18]–وقد ظهرت العمالةسنة 1848 بعد صدور قرار 4 مارس 1848، الذي ينص بتقسيم التراب الجزائري الى ثلاث عمالات(Department) ، وهيالإجراءات الإدارية المعمول بها في فرنسا، كما نص ايضا على دمج الجزائر في البلاد الأم، وجعلها جزءا لا يتجزأ من التراب الفرنسي، بعدما أخضع مرسوم 22 جويلية 1834الجزائر سياسيا وإداريا وعسكريا

لوزارة الحربية بباريس، وفي 15 أفريل 1845، صدر مرسوم ملكي ينص على تقسيم الجزائر إداريا إلى ثلاث مقاطعات (Arrondissement) تتألف مما يلي:**أقاليم مدنية Territoires civils**: وهي تلك الأقاليم التي تقيم فيها الجالية الأوروبية، وتشمل المدن والقرى الساحلية وتخضع للإدارة المدنية، و**أقاليم عربية Territoires Arabes**: وهي الأقاليم التي لم يدخلها الأوروبيون بعد، وتخضع للإدارة العسكرية، و**أقاليم مختلطة Territoires mixtes**: وهي الأقاليم التي يقل فيها العنصر الأوروبي، فيخضع الأوروبيون للحكم المدني والأهالي للحكم العسكري. أنظر:

COLLOTClaude : Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale (1830 -1862), Paris, Edition du G.N.R.S. Alger, O.P.U, 1987, p p 7-9.

(19)– محمد بن دارة، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1952–1962)** ، رسالة الماجستير، تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، إشراف د/جمال قنان، كلية العلوم الإنسانية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر2، جوان 1998-1999، ص 17. غير منشورة.

(20)– محمد قنطاري،«**استراتيجية السياسة الفرنسية في محاولة فصل الصحراء الجزائرية**»، ***الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر***، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر العاصمة، 1998، ص 159.

(21)ليلتيتة ، "فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال: الواقع، الرهانات والمآل"، قراءة في تقرير فرنسي جويلية 1960، ***مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية***، المجلد 01، العدد 02، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، (14 أوت 2015)، ص 193.

(22)نفسه، ص ص 194- 196.

[23]-STRASSER Daniel, Réalités et Promesses Sahariennes (Aspects Juridiques et Economiques de la Mise en Valeur Industrielles du Sahara Français), Encyclopédie d'Outre-mer, Paris، 1956,p 28.

[24]-Ibid, pp 28-29.

[25]– وادي الذهبو الذي يتدفق في شمال المغرب وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط في ميناء مليلية الاسباني..

[26]–هو أحد إقليمي الصحراء الغربية، (وادي الذهب و الساقية الحمراء) ، وتقريبا تمثل ثلث مساحتها، اسمها يأتي من الممر المائي الذي يمر في مدينة العيون.

[27]– رأس بوجادور عبارة عن رأس على الساحل الشمالي للصحراء الغربية.

[28]– **رأس جوبي** هو رأس يقع في الشمال الغربي من ساحل المحيط الأطلسي من أفريقيا، جنوب المغرب، قبالة جزر الكناري، ويعرف ايضا باسم مدينة طرفاية.

[29]-Ibid, p 30.

[30]-Daniel STRASSER, op. cit; p 30.

[31]-Léon LEHURAUX, **Documents politiques, économiques et sociaux, considérations sur le Sahara,*Encyclopédie Mensuelle d'Outre-mer***, Document n°6, Mars 1952, éditions de l'Union Français, Paris, p 03.

[32]-Ibid; p 31.

[33]– بناء على التوصية لجمعية الأمم المتحدة، المؤرخة في 15 سبتمبر 1950«أوصت الجمعية العامة أن حدود ليبيا مع الأراضي الفرنسية، طالما لم يتم تحديدها بواسطة ترتيبات دولية، تم تحديدها عند حصول ليبيا على استقلالها عنطريق المفاوضات بين الحكومة الليبية والحكومة الفرنسية..».**أنظر**: Daniel STRASSER, Op. cit; p31

30 Daniel STRASSER, Op. cit; p -)34(.
Ibid, p 32.-)35(
(36)-Daniel STRASSER, Op. cit; p 32.
(37)- Ibid, p 197.
(38) –Ibid, p 180.
(39)-Daniel STRASSER, Op. cit; p 180.
(40)-Pierre CORNET, **Sahara, terre de demain, Paris, Nouvelles Editions Latines**, 1986, p 222.

(41)-J.M. DE LATTRE, «**Clé de Voute de l'Ensemble de l'Eurafricain Français** », in: ***Politique Etrangère***, n°4-1957-22e année, pp 345-389.

(42)-André BOURGEOT، Op. cit; p 173.
(43)-Ibid, p 173.
(44)-J.M. DE LATTRE, Op. cit; p 360.

علاقة الأمير شكيب أرسلان بالمنطقة الخليفية في شمال المغرب الأقصى

The relationship of Emir Chakib Arslan with the Khilafiya region in the far north of Morocco

محمد مكي(*)

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة[1]، mohmekki1982@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/04/18 **تاريخ القبول**:2021/06/14 **تاريخ النشر**: **2021/06/30**

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الدور المهم والفعال الذي لعبه الأمير شكيب أرسلان في مناهضة الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي خلال فترة الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين خاصة في منطقة الخليفية بشمال المغرب التي كانت آنذاك تحت الحماية الإسبانية حيث لعبت الزيارة التي قام بها إلى مدينتي طنجة وتطوان في أوت(1930) دور في توجيه الحركة الاحتجاجية ضد الظهير البربري وربط العلاقة بين رجالات الحركة الوطنية المغربية والأمير باعتباره أنه سوف يكون فيما بعد ملهم ومرشد للوطنيين المغاربة في المنطقة الخليفية خاصة بعد قيام الجمهورية الاسبانية سنة (1931)

الكلمات الدالة: الأمير شكيب أرسلان، المغرب العربي ،القومية العربية، المنطقة الخليفية ،الحركة الوطنية المغربية، الظهير البربري.

Abstract:

This study aims to clarify the important and effective role that Prince Chakib Arslan played in combating French colonialism in the Maghreb during the 1930s and 1940s, especially in the Khleifia region in northern Morocco, which was then under Spanish protection, where the visit he paid to Tangiers and Tetouan in Ott (1930) played a role in directing the protest movement against the barbarian dahir and linking the relationship between the men of the Moroccan national movement

(*) **المؤلف المرسل: محمد مكي: البريد الإلكتروني**mohmekki1982@gmail.com

and the Emir, considering that he would later be an inspiration and guide for Moroccan patriots in the caliphate, especially after the establishment of the Spanish Republic in (1931)

Keywords: Prince Chakib Arslan, Arab Maghreb, Arab nationalism, Caliphate region, Moroccan national movement, barbarian dahir.

1. مقدمة:

شكل البعد العربي والتضامن الاسلامي أحد الركائز الأساسية في نضال الأمير شكيب أرسلان ضدالاستعمار الأوروبي في المنطقة العربية بما فيها المغرب العربي الذي كان آنذاك أكثر المتضررين من الظاهرة الاستعمارية ،من هذا المنطلق سوف يأخذ الأخيرعلى عاتقه نصرة القضية المغاربية وخاصة قضية المغرب الأقصى التي أخذت دورا مهما في نضاله في بداية الثلاثينات من القرن العشرين إذ ستمثل ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي(1925) وإصدار فرنسا للظهير البربري(1930) أحد الأحداث الهامة والمركزية التي سوف تشده وتوجهه أكثر نحو المسألة المغربية التي كانت تتداخل فيها سياسة دولتين استعماريتين قسمتا البلد إلى منطقتين: شمالية (خليفية) استفردت بها إسبانيا وجنوبية(سلطانية) كانت من نصيب فرنسا ،في هذا الوضع المتميز بالتكالب الأوروبي على المغرب الأقصى سيرتبط شكيب أرسلان برجال الحركة الوطنية وأعلامها في المنطقة الخليفية خاصة بعد زيارته لها سنة(1930) والتي بدأ منها توجيه نضالهم ضد فرنسا في منطقة الجنوب وإسبانيا في الشمال خاصة بعد قيام الجمهورية الثانية ، لذا فإشكالية البحث سوف تتمحور حول "مظاهر اهتمامالأمير شكيب أرسلان بقضايا ومسائل المنطقة الخليفية "والتي سوف تتفرع منها تساؤلات فرعية تساعد في فك الاشكالية منها: أسباب اهتمام أرسلانبالقضية المغربية في الشمال؟ كيف تعرف الأخير إلى رجال الحركة الوطنية هناك؟ ماهي أبرز العلاقات التي ربطته بهم؟ وكيف كان موقفه من الحماية الإسبانية وسياستها في منطقة الريف؟ وكيف كان موقف الأخيرة من نشاطه ودعمه لمطالب زعماء ومناضلي المنطقة الخليفية؟

2.مظاهر الاهتمام الأرسلاني بقضايا المنطقة الخليفية[1]

1.2 . وقوفه إلى جانب ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي:

كانت أول قضية ربطت الأمير شكيب أرسلان[2]بالقضية المغاربية عموما وبلاد المغرب الأقصى خصوصا ثورة عبد الكريم الخطابي [3]بجبال الريف منذ بدايتها (1921) وإلى غاية نهايتها (1926) حيث أشاد بها [4]،واعتبر ما قام به الخطابي من قتال للجيش الاسباني الذي كان قوامه (20) ألف جندي وقتله ل (20) ألف منه عملا بطوليا ومفخرة كبيرة تتطلب الاشادة بها لأن عمل الخطابي حسبه لم يقم به الترك وكمال أتاتورك ولم يقم به أحد من عظماء العصر، فالأمة الاسلامية التي بلغ عدد أفرادها ثلاثمائة وخمسين مليونا كلهم لم يعملوا ما عمله عبد الكريم الخطابي بنصف مليون مغربي لا غير والناطقون بالضاد البالغ عددهم سبعون مليونا لم يبلغوا شأن عربي صغير ساكن بالريف أقل البلدان ريفا حسبه، لذلك وجه أرسلان نداءً في جريدة الشورى قائلا"...أيها العرب أينما كان عبد الكريم فهو منكم وإليكم فهذا الرجل ظهر وأحي دارس ذكركم وبرهن على أنكم لم تموتوا سواء كان معه عربا أو بربرا فالجميع عرب ومستعربون أفلا تكافئون هذا الرجل على احيائه لاسم العرب بعد أن سقط وتأخذكم الرأفة بأولئك الأطفال الجائعين والضعفاء الذين تمطر طيارات الفرنسيس والإسبانيول قراهم وابل الديناميت أفلا تنصروا إخوانكم في الريف ولو ببلغة العيش وجرعة الدواء ولفافة القطن..."[5]كما طلب من صديقه رشيد رضا أن يكتب المقالات في الصحف للإشادة بعبد الكريم الخطابي والتنويه بمآثره لأن الصحف العربية مقصرة في حقه [6]ودعا المغاربة إلى دعمه والتبرع بالمال لشد أزره حتى يتمكن من الاستمرار في مقاومة الاسبان بمنطقة الريف،وفي المقابل استنكر مواقف بعض أفراد القبائل الذين ساندوا الفرنسيين والاسبان ضد ثورة عبد الكريم الخطابي [7].

في 28/جوان/1925 كان الأمير شكيب أرسلان في مدينة مرسين التركية فكتب مقالا عن فضائع فرنسا على سكان الريف في حربها ضد عبد الكريم الخطابي من استخدامها للغازات السامة نشرته مجلة كوكب الشرق وطلب في الوقت نفسه من محمد علي الطاهر أن ينقل ما نشر في كوكب الشرق وأن يبرق هو وصحفيي مصر الاحتجاج على هذا العمل إلى جمعية عصبة الأمم أثناء انعقاد دورتها في سبتمبر وطلب منه أن يتذاكر في هذا العمل مع رشيد رضا وأمين الرافعي ،حافظ بك إسماعيل صدقي [8].

وفي أوائل جويلية/1925 يكتب أرسلان إلى عضو بارز في عصبة الأمم قائلا"...إذا كانت هذه الجمعية المرصدة لحقن الدماء في العالم لا تتدخل لحقن الدماء التي تسيل نهرا في الريف فما محلها إذن من الاستعمار ؟ فلتجرب الجمعية على الأقل السعي في الصلح بين فرنسا وإسبانيا وبين عبد الكريم ...لعل هذا السعي يثمر... أما عدم التجربة من الأصل فعلامة سيئة ..." [(9)] .

فأجابه هذا الشخص في (12/جويلية/1925) ما نصه"...لم أغفل عن أن أقرأ آخر كتابك بشأن عبد الكريم الخطابي على الكولونيل روكن فالمسألة وغلت كثيرا ولا يمكن عمل شيء في الوقت الحاضر ومن المستحيل التفكير في الصلح ، إذ لأجل الصلح يجب رضا الفريقين – يقصد فرنسا وإسبانيا- فما دام كل فريق لا يتكلم في الصلح بل لا يفكر فيه فلا سبيل إلى عمل شيء ...هل تحضر إلى جنيف عند اجتماع الجمعية هذه السنة..."[(10)] .

وفي (14/أكتوبر/1925) يرسل شكيب أرسلان برقية مطولة إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وإلى رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ يشرح فيها المآسي الاستعمارية التي أصيب بها سكان الريف ويطالب الولايات المتحدة باتخاذ ما يلزمها اتجاه هذه المآسي ويطلب منها إرسال بعثات صحية تخفف من ويلات الحرب وتخلص الشيوخ والنساء والأطفال والأبرياء المعرضين للموت بآلات الحرب الجهنمية [(11)] .

2.2 زيارته إلى المنطقة الخليفية في أوت 1930:

ترجع أسباب زيارة الأمير شكيب أرسلان إلى منطقة الشمال المغربي إلى اصدار فرنسا للظهير البربري (16/ماي/1930) الذي أطلعه عنه الطلبة المغاربة في باريس حيث غادر مدينة لوزان السويسرية(18/جوان/1930) متجها إلى فرنسا التي التقى فيها بالطالبين أحمد بلافريج وحسن الوزاني وتحدث معهم حول زيارته [(12)]للمغرب الأقصى التي لم يفصح عنها في مراسلاته بسبب الرقابة الشديدة التي كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تسلطها عليه ومخافة منعه من دخول التراب الفرنسي[(13)]وبعد ذلك اتجه إلى إسبانيا فحل ببرشلونة وزار عدة مدن منها(سرقسطة، قرطبة إشبيلية، غرناطة) ومن إسبانيا قصد زيارة المغرب الأقصى وبالأخص مدينتي طنجة [(14)]وتطوان [(15)]حيث صرح في رسالته للمؤرخ المغربي ابن زيدان قائلا"...سأذهب بعد يومين إلى قرطبة وإشبيلية وغرناطة وقد أجيز إلى طنجة وربما سأذهب إلى تطوان وأعود من هنالك إلى الأندلس..." [(16)]ولم تكن هذه الزيارة خافية عن السلطات الاسبانية فلقد كانت تحركات شكيب مراقبة من طرف البوليس

أينماحل،فقد جاء في برقية من مديرية المغرب والمستعمرات بمدريد بتاريخ(07/أوت/1930) إلى المقيم العام الاسباني بتطوان تعلمه فيها بزيارة شكيب أرسلان إلى الديار الأندلسية ونيته الدخول إلى المغرب وتخبره أنه لا مانع عند الحكومة الاسبانية من زيارة المغرب [17]وفي (10/أوت) حل أرسلان بمدينة طنجة ونزل بفندق دوفرانس واتصل به أول الأمر بعض المغاربة وفي اليوم التالي حضر لزيارته الحاج عبد السلام بنونة[18] مرحبا به وعارضا عليه الزيارة إلى مدينة تطوان ،وأثناء مكوث الأمير بطنجة مدة أربعة أيام قام بزيارة القنصل المراقب المحلي الاسباني (أسيديرو ذي لاس كاخيكاس) وتذاكر معه في أمر الزيارة وأجابه الأخير بأن لا مانع من استدعاء عبد السلام بنونة له لزيارة تطوان [19]التي حل بها في(14/أوت/1930) نازلا ببيت عبد السلام بنونة إذ صادف في زيارته الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة المولد النبوي الشريف فزار مع بنونة المدينة مظهرا إعجابه بالاحتفالات وموصيا بضرورة الحفاظ عليها[20]ولما سمع أهالي المغرب بقدومه جاء لزيارته وفد من منطقة النفوذ الفرنسي مكون من (أحمد بلافريج، محمد الزبدي، محمد بن العباس) ووفد من مدينة فاس ضم (الحاج عمر عبد الجليل، محمد الغالي الفاسي، بوبكر الملاوي) بالإضافة إلى أعيان تطوان [21]وأثناء الاقامة بتطوان ألفت لجنة وطنية لتكريمه يوم(13/أوت) ضمت العديد من الشخصيات المهمة منهم(التهامي الوزاني رئيسا، محمد الخالق الطوريس،محمد المصمودي، محمد الوزاني، عبد السلام الطنجي، الحاج محمد بنونة كاتبا) التي وضعت برنامج الحفلة التي ستقام على شرف عطوفة الأمير وقامت بتوزيع استدعاءات لحضور حفلة الاستقبال التي ستنظم يوم 17أوت [22]حيث أقيمت الحفلة العمومية الكبرى بتطوان التي حضرها أزيد من 200 شخص استهلها بنونة بكلمة ترحيبية بالأمير [23]وبعده ألقى عبد الخالق الطوريس خطبة بديعة رحب فيها بالأمير وشكره على الزيارة باسم مدينة تطوان وأخواتها من مدن المغرب وأشاد به من الناحية الأدبية والتاريخية ومما جاء في خطبته"...أشكركم لا بلساني فقط بل بلسان أهالي تطوان خصوصا والمغاربة عموما على تفضلكم على زيارة هذه البلاد التي يجب أن تتأكدوا أنها وطنكم الثاني وأن تعلموا أن أسعد أيام أبنائها هي الأيام التي ترون مقامكم بين أظهرهم تشاطرونهم حياتهم الخاصة..." [24]وبعد هذه الخطب قام الأمير شكيب أرسلان خطيبا فحيا الحضور وشكرهم على تكريمهم إياه وأبدى إعجابه بالأمة المغربية الفتية وأثنى على الشباب المغربي وأوصى الحاضرين بالنهضة الاقتصادية وبالعمل من أجل نيل حقوقهم وأوضح أن الحكومة–يقصد الفرنسية– مهما قدمت للشعب من خدمات فهي

غير مشكورة إذ ذلك واجب عليها أما الحكومة الاسبانية فهي حسبه غير مشكورة بالأحرى إنما ترد السلف لأنها مدينة للعرب بما قدموه إليها في الماضي [25]وأثناء هذا الحفل كانت كل الخطب التي ألقيت معتدلة في لهجتها أما كلام الأمير فكان وديا اتجاه إسبانيا ولم يذكر فرنسا بسوء ولم يتعرض لسياستها بمنطقة الجنوب على عكس ما ذهبت إليه بعض الكتابات الفرنسية من أن الأخير في هذه المناسبة ألقى في هذا الحفل محاضرات عن تاريخ الأندلس العربية وانتقد بشدة السياسة الفرنسية في المغرب الأقصى[26]أما الأمير فقد رد على هذا البهتان قائلا"...لم أتكلم بكلمة واحدة تسوء فرنسا وكان هناك عدد من رجال الصحافة الاسبان وكلهم شهدوا بذلك، وهذا لم يمنع الصحافة الفرنسية أن تنشر في اليوم الموالي بهتانا بأنني في تطوان خطبت الجمهور محرضا المسلمين على الحرب المقدسة وأني طعنت أمامهم فرنسا طعنا مقذعا..." [27].

وفي 18/أوت/1930 غادر أرسلان مدينة تطوان متجها إلى طنجة صحبة أحمد الداود والحاج عبد السلام بنونة وعند وصولهم أعلمته إدارتها عن طريق المندوب السلطاني السيد (محمد التازي) من خلال أمر وزاري يحمل توقيعه على وجوب سفره حالا من المدينة الدولية ، فأجابه أرسلان بأنه قرر السفر دون هذا التصريح [28]فغادرها في اليوم الموالي متوجها إلى إسبانيا ومنها إلى مدينة جنيف [29]

نتائج الزيارة:

- جمع أرسلان بصورة أوثق بينه وبين مواطن العمل السياسي السري في كل من تطوان والرباط وفاس التي كان يلهم منها وينسق الحملات الموجهة ضد فرنسا خاصة بعد إعلان الظهير البربري حيث حصل تضامن بين شمال المغرب وجنوبه وتقلد أرسلان مهمة مرشد الحركة الوطنية المغربية التي كانت من قبل سلفية المذهب أكثر منها سياسية فأصبحت بعد الزيارة حركة سياسية إصلاحية ذات توجه سلفي [30].
- أصبحت مدينة تطوان بعد زيارة شكيب أرسلان لها المحور الرئيسي للحركة الوطنية المغربية خاصة فيما يتعلق بالعمل الخارجي الذي كان يشرف عليه عبد السلام بنونة من الداخل والأمير من الخارج [31]إذ مثلت الأخيرة مركز محوري للنشاط المناهض للاستعمار في المغرب ولعبت دورا حاسما كعاصمة للمحمية الاسبانية ليس بسبب موقعها الجغرافي فحسب ولكن بسبب موقعها داخل شبكة الدعاية المغربية إذ أصبحت مركز توزيع جميع

أنواع المراسلات من :الكتب والصحف والمجلات المرسلة من القاهرة ولندن ولوزان وفاس ومراكش وأصبح بيت بنونة مركز اجتماعات لإدارة الدعاية(32).

- تأسيس الجمعية السرية المعروفة بالزاوية بمدينة فاس وفروعها المعروفة بالطائفة يوم 23/أوت/1930.
- تأسيس أول جمعية مغربية للدفاع عن القضية المغربية في الخارج بالقاهرة وذلك باقتراح من عبد الخالق الطوريس والتي أطلق عليها اسم "**جمعية الدفاع عن القضية المغربية**" يوم 23/نوفمبر/1930 والتي ستلعب دور مهم في إطار مواجهة الظهير البربري(33) .
- إنشاء الأمير بالتعاون مع عبد السلام بنونة الفرع المغربي للجنة السورية الفلسطينية التي أصبحت تعرف منذ ذلك الوقت "اللجنة السورية الفلسطينية المغاربية"، كما أنشأ في مدريد "الجمعية الاسلامية الاسبانية" يوم 01/جوان/1932 (34).

2.3 .توجيهه للحركة الوطنية في الشمال أثناء قيام الجمهورية الاسبانية الثانية:

تم الاعلان عن قيام الجمهورية الثانية بمدريد في(14/جويلية/1931) بعد تنظيم انتخابات بلدية في (أفريل1931) أدت إلى اسقاط دكتاتورية بريمو دي ريفيرا (Primo de Rivera) في اسبانيا وهذا ما سمح بعد ذلك إلى فتح مجال من الحريات للإسبان وحتى للشعوب التي كانت داخل المستعمرات الاسبانية ومن ضمنها الحركة الوطنية المغربية في الشمال التي عانت كثيرا من الملكية السابقة ،حيث وعدت السلطات الجديدة في إسبانيا منطقة الريف بإطلاق الحريات العامة وإجراء إصلاحات شاملة(35)ولما كان هذا الظرف مواتي ومريح للمغاربة في منطقة الشمال استغل علال الفاسي الفرصة واتصل بعبد السلام بنونة حاثه على اغتنام فرصة وصول الجمهوريين إلى السلطة في إسبانيا تحت قيادة زمورا(Zamoura) الذي كان نفسه من المعارضة (36) .

في هذه الأوضاع رأى أرسلان أنه من الأجدر بقاء الإسبان في منطقة الريف وإعطاء سكانها استقلالا ذاتيا وبرلمانا ووزارة تشرف على الشؤون الداخلية أما وزارة الشؤون الخارجية فتشرف عليها إسبانيا ،هذا الاستقلال الذاتي في الشمال حسب رأيه سوف يشجع سكان الرباط وفاس ومراكش على مطالبة الفرنسيين بتحقيق نفس وضعية سكان الشمال ويجعل فرنسا ترضخ على شاكلة إسبانيا لذلك طلب من كتلة الشمال في المغرب اغتنام الفرصة للمطالبة بالحقوق وفتح عيونهم على الأوضاع

الجديدة في إسبانيا مطالبا إياهم بمهادنة السياسة الجديدة للجمهوريين ،حيث ذكر في رسالته لعبد السلام بنونة بأن يرسلوا تلغراف التهنئة للحكومة الجديدة تعبيرا وفرحا على الانقلاب الذي أدى إلى اسقاط دكتاتورية بريمو دي ريفييرا وأن يعبروا عن أملهم في زياد العلاقة مع الحكومة الجديدة واعطائهم المزيد من الحقوق والحريات الخاصة الدينية منها[37] .

وعملا بتوصيات أرسلان استجاب لذلك عبد السلام بنونة وقام بتكوين لجنة من أعيان مغاربة الشمال لكي تذهب إلى مدريد من أجل ملاقاة رئيس الحكومة (زمورا) ،كما استغل الفرصة لتحرير رسالة باسم المغاربة أمضيت من طرف (800) شخصية ينتقد فيها السياسة الاسبانية في المغرب في عهد ألفونسو السابع ويبرز فيها سعادة المغاربة بإعلان الجمهورية الثانية وأملهم في تقديم اصلاحات سياسية واقتصادية لمنطقة الشمال[38]وعملا بنصائح أرسلان قامت جماعة تطوان بتوجيه رسالة تهنئة للحكومة الاسبانية الجديدة وصياغة مطالب اصلاحية قدمت لسلطات مدريد تحت اسم "وثيقة مطالب الأمة المغربية"[39]التي شارك في تحريها أحمد بلافريج بعد أن اتفق مع أرسلان وطلبة المغرب بباريس على إرسال وفد ليحمل هذه المطالب ،فحضر الأخير إلى تطوان في (01/ماي/1931) وأدخل تعديلات على النسخة الأولية لعريضة المطالب بناءً على توصيات الأمير والتي تضمنت عدة مطالب منها [40]:

- أن تكون العضوية في المجالس البلدية بالانتخاب وليس بالتعيين.
- وضع مجلس محلي يمثل المنطقة تمثيلا داخليا مهمته المصادقة على الميزانية.
- الاعتراف بحرية النشر والتعبير والاجتماع.
- أن يكون التعليم عاما مبنيا على أساس اللغة العربية والدين الاسلامي.
- أن تؤسس جامعة علمية بتطوان وضرورة تأسيس مصرف لمساعدة الفلاحين المغاربة[41].

وقبل سفر الوفد نبه أرسلان أعضائه على ضرورة مطالبة السلطات الاسبانية رفع المستوى التعليمي لأن التعليم يساعد على نشر الوعي ويعرف بالأخطار الاستعمارية التي تهددهم خاصة الاستعمار الفرنسي وطالبهم بأن يسعوا لدى السلطات لأجل الحصول على الموافقة من أجل انتخاب حاكم محلي(مغربي) في الريف دون التعيين ،كما أولى أرسلان أهمية كبرى للآثار الإسلامية في إسبانيا خاصة مسجد قرطبة إذ طلب من المغاربة أن يتعاونوا مع الأحزاب الاشتراكية في إسبانيا من أجل أخذ مبنى مسجد قرطبة من أيدي الكنيسة الكاثوليكية ،ونصح عبد السلام بنونة أن

يعمل على تحريك الحزب العربي والحزب الاشتراكي لأجل إعادة فتح المسجد لأن هذا في مصلحة إسبانيا لكسب احترام الشعب المسلم في الريف المغربي ولتوثيق الروابط بين العرب المغاربة وبين المسلمين والاسبان(42)وفي المقابل رأى أنه يتعين على زعماء الحركة الوطنية المغربية في تفاوضهم حول هذه القضية تقديم وعود للإسبان فيما يخص تعزيز مصالحهم الاقتصادية في المنطقة الشمالية للريف حيث كان يعيش ما يقرب من مليون مسلم فإذا كانت الحكومة الاسبانية حسبه بالفعل جادة وحريصة على ربط قلوب المغاربة بإسبانيا فعلى الاسبان أن يظهروا احتراما للمقدسات الاسلامية ويشعروا المسلمين بهذا الرباط (43)حيث سافر الوفد المغربي(أعيان تطوان) 44إلى مدريد في 08/جوان/1931 قصد تقديم التماس للحكومة الاسبانية حول مجموعة المطالب واستقبل من طرف رئيس الجمهورية الاسبانية زمورة الذي استلم العريضة المرفقة بختم الخليفة السلطاني في تطوان(45)،وخوفا من دسائس الحكومة الفرنسية ضد الوفد المغربي اتصل شكيب أرسلان بالاشتراكيين الفرنسيين وحثهم على التدخل لدى أصدقائهم الإسبان لإقناعهم بنجاعة إدخال تعديلات على سياستهم اتجاه مغاربة الشمال(46).

هذه المطالب المقدمة أجابت عنها الحكومة الإسبانية أنها عاجزة عن تقديم النفقات المالية لرفع مستوى التعليم في الريف المغربي، وأرجعت مطلب تعيين حاكم منطقة الريف إلى صلاحيات الخليفة السلطاني في تطوان ، أما قضية مسجد قرطبة فقد تجاهلته تماما(47) وفي المقابل قامت بتلبية بعض المطالب كإصدار ظهير(23/سبتمبر/1931)المتعلق بحرية الاجتماع وتأسيس الجمعيات واستبدال المقيم الاسباني خوسي سانجوريو(Jose Sanjurio) بآخر اكثرا تسامحا منه ،والأهم من ذلك إجراء انتخابات حرة للمجالس البلدية المنشأة حديثا والتي جرت في أنحاء مدن المنطقة يوم 24/سبتمبر/1931 وفازت فيها لوائح الهيئة الوطنية بأغلبية ساحقة (48).

وقد أكد أرسلان لاحقا أنه لو تحققت مطالب الوفد لكان فيها فائدة عظيمة لباقي المناطق التي تخضع لفرنسا في المغرب وتونس والجزائر ولتشجع سكان هذه البلدان على المطالبة بإجراء الإصلاحات شأنهم في ذلك شأن الريف المغربي إذ لا يمكن حسبه أن يكون قسم من المغرب متمتع بالحرية والقسم الآخر محروما منها (49)كما طلب من المغاربة عدم التشدد في المطالبة بالاستقلال التام حتى يطمئن الإسبان ولايؤدي هذا الاستقلال إلى سيطرة فرنسا على منطقة الريف، وحتى لا يتعرض زعماء الحركة في الشمال لبطش السلطات الإسبانية(50).

ومن أجل ربط الحركة الوطنية في الشمال بالمشرق العربي ألح أرسلان على إرسال وفد مغربي إلى العراق لأجل تهنئة الملك فيصل الأول بمناسبة استقلال العراق وانضمامه لعصبة الأمم سنة 1933 وفي المقابل طلب من الملك فيصل التدخل لدى الحكومة الإسبانية من أجل تحقيق الاستقلال الذاتي لمنطقة الريف(51).

ومن الأدوار السياسية التي قام بها أرسلان لأجل الريف المغربي دوره في تأسيس "حزب الاصلاح الوطني" حيث طلب عبد السلام بنونة من الأمير شكيب أرسلان امداده بآرائه فأوصاهم بحفظ سر المشروع وجمع ما أمكن من المال واقترح تأسيس صندوق لهذا الحزب من أجل جمع المال من عامة الناس وتعويدهم على تخصيص خمسة بالمئة من مداخيلهم لأجل القضية الوطنية ،وللأخذ أكثر بنصيحة أرسلان سافر عبد الخالق الطوريس بنفسه إلى جنيف ليقف مباشرة على رأي شكيب أرسلان ويتباحث معه حول الوسائل الكفيلة بإنجاح المشروع ،هذا الجهد كلل بالنجاح حيث تم الإعلان الرسمي عن تأسيس حزب الاصلاح الوطني بعد قيام الحرب الأهلية الإسبانية(1939/1936)(52)،كما جرت أواخر الثلاثينات اتصالات بين الأمير شكيب أرسلان ورئيس الوزراء الإسباني فرانسيسكو لارجو كابليرو في جنيف حيث اقترح عليه شكيب التفاوض مباشرة مع المغاربية فسافر عمر عبد الجليل ومحمد الوزاني إلى برشلونة وعرضا على الرئيس الإسباني آزانا مساعدته ضد فرانكو مقابل الاعتراف باستقلال المنطقة الشمالية لكن الأخير رفض مطالب المغاربة واعتبرها غير مقبولة (53).

3.3 .نشاطه في الجمعية الإسبانية الاسلامية بمدريد:

في إطار الحريات التي أقرتها الجمهورية الاسبانية الثانية في مدريد تم تأسيس الجمعية الإسبانية الاسلامية" التي اتخذت من مدريد مقرها لها والتي جاء بيانها التأسيسي"...أنها جمعية مجردة من كل ميل سياسي أو ديني تعمل جاهدة على ترقية أواصر العلاقات الثقافية بين الإسبان والمسلمين ومساعدة جميع المسلمين الذين يعانون من الظلم في العالم .."(54) كما كانت تهدف إلى إعادة التفكير في إحياء الشعور التاريخي الكبير بين الإسبان والعرب والمسلمين وجعل مدريد مركزا ثقافيا وناديا إسلاميا وتمكين العلاقات الروحية والأدبية والعرقية التي تربط بين الإسبان والشعب العربي المسلم في المغربولم يكن الهدف منها إقامة علاقات بين المغاربة والإسبان فقط بل تشمل العلاقة أيضا شعوب البلدان العربية والاسلامية (55).

ضمت جوزي فرانشي(Jose Franchy)رئيسا وشكيب أرسلان نائبا للرئيس ومن الإسبان ضمت إميليو فلاندو(EmilioFllando) مارشو ماريا(Marchol Marial) إنريك رافول (Enriques Rafols)ومن المغاربة :محمد الفاسي نائبا للسكرتير، الحاج عبد السلام بنونة، أحمد بلافريج، محمد حسن الوزاني، محمد الداود، عبد الخالق الطوريس أعضاءً في الجمعية [56]توسعت هذه الجمعية فأصبح لها فروع في إسبانيا والمغرب وفرع في القاهرة ترأسه عبد الرحمان فهمي ونائبه إبراهيم راتب وعبد الغني رضا، رشيد رضا، عبد الواحد عزام ،أما مكتب الجمعية الإسبانية الاسلامية في تونس فتكون من (محمد قيقة، محمد عسلان، الطاهر صفر، بوبكر لعروسي) وذلك بفضل جهود شخصية إسبانية مقيمة في تونس يدعى فرانسيسكو بوليش(FranciscoBoliche)أما باقي دول المشرق العربي فقد كلف عبد العزيز الثعالبي بمهمة التنسيق مع زعمائها من أجل فتح فروع للجمعية هناك[57].

كان أرسلان في بادئ الأمر من المؤيدين لترسيخ اتصال المغاربة مع الاسبان بطرق مختلفة ومن بين هذه الطرق كانت الجمعية الإسبانية الاسلامية التي أسست كمحاولة للتقارب الفكري والاقتصادي بين الشعوب الاسبانية والشعوب العربية وقد لعب دورا أساسيا في تنظيمها حين طلب مؤسسوها الإسبان منه في مدريد قبل خمسة أشهر من إنشائها ترشيح بعض الأسماء من المغاربة لعضويتها فاقترح عليهم عبد السلام بنونة وأخيه العربي بنونة، عبد الخالق الطوريس، محمد المصمودي وذلك سعيا منه لأجل إسماع صوت الريف المراكشي ومطالبه لدى الحكومة الإسبانية [58] .

وعن موقفه من الانضمام إلى الجمعية عبر أرسلان عن ذلك لصديقه عبد العزيز الثعالبي قائلا"...إني قبلت ومشيت في المشروع وما كنت في حياتي نذلا ولا سافلا ولا تهمني مطاعن جرائد فرنسا فهذه الجمعية فيها رهط من إخواننا وأولادنا من فاس وتطوان والرباط ولنا أمل أن يدخل فيها غيرهم وفيها جمع من النواب والمفكرين والسياسيين الإسبان، فالجمعية الاسلامية الإسبانية مفيدة وتدافع عن إخواننا مسلمي الريف بالفعل وتقضي لبناتهم، هذا فضلا عن تجديد الروح العربية في نفس إسبانيا..."[59] .

وقد شملت نشاطات الجمعية الإسبانية الاسلامية نطاقات خارج إسبانيا والمغرب ففي12/نوفمبر/1933 سافر مونتانيو عضوالجمعيةالإسلاميةإلىالشرقالأدنىبناءًعلىطلبوزارةالتجارةالإسبانيةمنأجلإقامةعلاقاتاقتصاديةمعالعالمالإ

سلامي بعد أن قدم له أرسلان خلال لقاء جمع بينهما في مدينة جنيف ثلاثين خطاب توصية لمختلف الأصدقاء في مصر وفلسطين وسوريا والعراق، حيث التقى الأخير في القاهرة ببعض المثقفين المصريين وشارك في إنشاء فرع للجمعية الإسبانية الاسلامية[60]وعن طريق عادل أرسلان(شقيق الأمير شكيب) تمكن من الاتصال بالعديد من وجهاء العراق في بغداد واللذين وعدوه بإقامة علاقات اقتصادية مع إسبانيا شريطة أن تعامل الحكومة الإسبانية المسلمين في تطوان ومنطقة الريف بقدر من التسامح المطلوب[61] وفي المقابل أسس أنريك دي رافولس عضو الجمعية الإسبانية الاسلامية مشروع شراكة مع الحكومة المصرية وطلب الدعم من أرسلان لأجل مساعدته مع بعض وجهاء مصر، هذه المساعدة قدمها الأخير من منطلق أن المشروعات الإسبانية قد تعود بنتائج إيجابية للقضية المغربية على المدى الطويل[62] وذلك من خلال إعطاء الحكومة الإسبانية إشارة إلى أن لدى العرب والمسلمين القدرة على خدمة مصالحهم الاقتصادية والسياسية في الشرق وخصوصا إذا تم ربط الجمعية الاسلامية بالمنافع المادية لهم مما قد يخفف سوء معاملة الإسبان للمغاربة الذين هم تحت الحماية[63] .

وعلى الرغم من وجود قلة من الإسبان المخلصين يشاركون في أنشطتها لنواياهم الحسنة ورغبتهم في إنشاء علاقات قوية لبلادهم مع العالم العربي والاسلامي إلا أن الجمعية لم تكن منظمة منتظمة وليست لها اجتماعات أو أنشطة حقيقية ،فأعضاؤها كانوا أضعف من أن يؤثروا أو يغيروا في السياسة الاسبانية العامة في المغرب أو خارجه ،أما الحكومة الاسبانية فكانت ترى أن ارتباط الجمعية بالقضية المغربية كان ضعيفا ، فلما رأى أرسلان انعدام أي أثر سياسي على الحكومة الإسبانية وتوجهاتها في المغرب بدأ يفكر فعليا في الاستقالة التي كثيرا ما كان يحثه (رافلس) في التريث عن تقديمها ، لكن في النهاية قدم أرسلان استقالته إلى رئيس الجمعية الإسبانية (خوسي فرانشي دي روكا)[64].

وحقيقة الأمر أن الجمعية الإسبانية الاسلامية كانت لها أهداف معلنة وأخرى خفية تدخل في باب المصالح المتضاربة لمختلف الفاعلين الذين تألفت منهم الجمعية ،فالسلطات الإسبانية كانت تسعى إلى إحداث قطيعة مع دكتاتورية(بريمو دي ريفيرا) واكتساب سمعة طيبة في أوساط النخبة المغربية في الشمال دون أن تقوم بأية اصلاحات فعلية ،فقبلت بإنشاء الجمعية رغم تخوفها من بعض أعضائها كعبد الخالق الطوريس وعبد السلام بنونة، والأمير شكيب أرسلان، أما رجال الساسة

والأعمال الإسبان فكان الهدف من الانخراط في عضويتها اكتساح أسواق المشرق العربي الذي كان يستعد لمقاطعة السلع الفرنسية والبريطانية احتجاجا على السياسة الاستعمارية التي كانت تنتهجها هاتين الدولتين ،أما أعضاء الحركة الوطنية المغربية بالشمال أمثال الطوريس وبنونة وبلافريج والداود فكانت أهدافهم مختلفة تماما حيث كانوا يسعون لاستعمال الجمعية من أجل الحصول على المزيد من الاصلاحات واستمالة بعض السياسيين الجمهوريين الإسبان(65).

3. علاقة أرسلان برجال الحركة الوطنية المغربية في المنطقة الخليفية:

في منفى الأمير بجنيف خلال الثلاثينات من القرن الماضي حرص على نشر أفكاره بين المسلمين المقيمين في أوروبا من أجل زرع نواة سياسية يناهض بها الاستعمار في البلاد الاسلامية ومن بين هؤلاء، الطلبة المغاربة في باريس الذي بدأ أرسلان في تكثيف الاتصالات معهم لأنهوجد في التوجه الديني للصحوة الثقافية المغربية ما يتوافق مع آرائه الفكرية والاجتماعية والسياسية، وإيمانه القوي والعميق بقدرتهم كجيل وطني جديد يفهم طبيعة الغرب الأوروبي ،لأنهم عاشوا فيه ودرسوا في جامعاته من جهة، مع احتفاظهم بشخصيتهم الاسلامية العربيةمن جهة أخرى،فقد كان مقتنعا بالدور الذي سيلعبه هؤلاء في قيادة حملة صحافية قوية مناهضة للاستعمار في الصحف والمحافل السياسية الفرنسية والدولية، وعن طريق تلك الدائرة الطلابية الضيقة بدأت أفكار شكيب أرسلان تجذب كثيرا من المغاربة فيما يخص فكرة القومية العربية وأفكار الاتحاد والجامعة الاسلامية (66) خاصة مع كل من أحمد بلافريج ومحمد حسن الوزاني اللذين كانا من الأعضاء الفاعلين في جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي كانت تطالب باستقلال دول شمال إفريقيا(67)ونظرا للدور المهم الذي كان يلعبه الطلبة المغاربة في المهجر قام شكيب أرسلان وصديقه عبد السلام بنونة بجمع مساعدات مالية وتقديمها كمنح دراسية حتى يستطيع هؤلاء الطلبة من تحمل التكاليف الباهظة للحياة في أوروبا(68)ثم تطورت العلاقة إلى زيارة أرسلان لمنطقة الشمال بالمغرب الأقصى ونزوله ضيفا على أهالي مدينة تطوان وطنجة في أوت1930 ثم مدافعا ومناهضا عن إخوانهم في الجنوب ضد سياسة الظهير البربري ومرشدا سياسيا وملهما فكريا ومستشيرا وناصحا أبويا للوطنيين المغاربة في فترة الثلاثينيات وبداية الأربعينيات ما أدى إلى إيقاظ الشعور الوطني والقومي وتوجيههم وتنبيههم إلى الأخطار المحدقة بهم (69)أما على مستوى تتبع بداية العلاقة بين أرسلان ورجالات المغرب فلم يعد خافيا على دارسي الحركة الوطنية المغربية في بداية الثلاثينيات وعلاقتها بالمشرق العربي والتيار

السلفي والأمير شكيب أرسلان في أن السائح العراقي يونس بحري هو أول من أرشد هذا الأخير وربطه في علاقته بالمغاربة[70] فقد زار الأخير المغرب الأقصى في أواخر 1929وبداية سنة1930 وعند رجوعه من زيارته أبلغ أرسلان في جنيف عن حماس المغاربة من لأجل زيارة الأخير لهم

4. موقف شكيب أرسلان من الحماية الإسبانية في شمال المغرب:

أثناء وقوف الأمير أرسلان ضد الظهير البربري سنة 1930 لم يبد أي نقد أو اعتراض عن السياسة الإسبانية في المنطقة الخليفية فعلى العكس لم تعترض الإقامة العامة الإسبانية على زيارته لمدينة طنجة وتطوان التي كانت تحت نفوذها وعلى التقائه بزعماء الحركة الوطنية المغربية في الشماللما طلب الفرنسيون من إسبانيا منع الأمير من دخول تطوانلكن يبدو أن الإسبان تجاهلوا تلك الطلبات ومارسوا سياسة حيادية تجاه عداء فرنسا للأمير أرسلان بل إن القنصل الإسباني في تطوان أقام حفل استقبال على شرف الأمير حضره عشرة مغاربة إضافة إلى العديد من الشخصيات الإسبانية وفي المقابل نصح الإسبان الأمير بعدم القيام بأي نشاط أو تصريح معاد لفرنسا طوال مدة إقامته في تطوان[71]فموقف شكيب أرسلان من الحماية الإسبانية نجد له تبريرا في قوله"...أن إسبانيا أخذت جانبا من المغرب وهو القسم المصاحب لأرضها لما أيقنت أن فرنسا ستبسط حمايتها على المغرب لا محالة وأن خلو يدها من المغرب تماما مضر بالتوازن بينها وبين فرنسا بل خطر على إسبانيا نفسها لو اشتبكت حرب بينهما ، والريف مع ذلك لا يخدم مصلحة إسبانيا الاقتصادية بشيء بل يخسرها كل سنة مبالغ من المال بلا عوض لذلك كان الاشتراكيون الإسبان ضد بقاء إسبانيا في الريف المراكشي..."[72] إذ كان يرى بأن الإسبان كانوا يملكون بعضا من قيم وأخلاق العرب على عكس المستوى المتحدر الذي وصله الفرنسيون[73]فقد كان يقول أنه لو كان يعرف بأن المغرب في وضعية تسمح له بالتحرر من السيطرة الاوروبية وطرد فرنسا من فاس ومراكش والرباط ومكناس لكان دعا أيضًا إلى طرد الإسبان من الريفوكل الأوروبيين من طنجة، إلا أنه كان على ثقة تامة بأنه ما إن تخرج إسبانيا من الريف فإن الفرنسيين سيحتلونه وسيرتكبون فظاعات تملأ أمثلتها تاريخ استعمارهم وعلى هذا الأساس دعا الأمير أرسلان صراحة إلى بقاء الإسبان في الريف وإلى إقامة أفضل العلاقات بينهم وبين المسلمين ،وصرحبأن مطالبته بعدم خروجهم من الريف هو لحفظ التوازن، كما أوصى الوطنيين المغاربة في الشمال إلى عدم مهاجمة إسبانيا كي لا يضطروا إلى مواجهة عدوين في نفس الوقت[74].

هذا الموقف نابع من مبدأ الحياد الذي اتخذته إسبانيا عند إعلان فرنسا عن الظهير البربري وابدائها لمرونة في موقفها من الحركة الوطنية بشمال المغرب ،فقد وقفت على الحياد وقررت عدم اتباع نفس السياسة الفرنسية حيال الأهالي إلا أن ذلك كان راجع لأسباب تتعلق بتجربتها الدامية والمكلفة في الريف وهي تجربة كلفتها الكثير وبالتالي لم تكن إسبانيا بقادرة أو مستعدة لتكرارها أو خلق أجواء توتر واضطراب جديد في المنطقة يسيئ إلى وضعها العامنظرا للظروف السياسية التي كانت تمر بها في فترة الثلاثينيات[75]كما أنها لم تكن تتماشي مع العداء الذي كانت فرنسا تكنه للأمير شكيب أرسلان ومطالب الوطنيين العرب والمسلمين، ومع ردهم العنيف ضد الحملة الصحفية الفرنسية التي استهدفت أرسلان وحلفائه في تطوان ، فإن الإسبان كانوا يتابعون عن كثب نشاطات وتحركات أرسلان حتى لا يتركوا له المجال لإثارة غضب فرنسا ،أما الفرنسيون فكانوا يرسلون التقارير والتحذيرات إلى الإسبان حول نشاطاته واتصالاته مع القادة المغاربة في الشمال والجنوب ، الأمر الذي أدى بالإسبان إلى زيادة المراقبة على المراسلات التي كانت بين عبد السلام بنونة والأمير شكيب أرسلان، يظهر ذلك من قراءة الرسائل المتبادلة بينهما و التي تدل على درايتهما بأمر المراقبة وأنهما كانا يعملان على تضليلها [76]ومع ذلك فان بعض الرسائل كانت تقع في أيدي المفوض السامي الفرنسي في الرباط، ففي رسالة بتاريخ 12 حزيران 1931 يقوم الأمير بإعلام بنونة بأنه دُعي إلى إسبانيا من طرف الأندلسيين وأنه رفض الدعوة لأن فرنسا تتهمه بأنه يقف وراء كل الحملة ضد الظهير البربري ووراء حركة المطالب الوطنية في الشمالويطلب الأمير في رسالته من بنونة عدم الكتابة في رسائله عن أية أمور قد يستخدمها الفرنسيون أو الإسبان كدليل عن صلته بالحركة الوطنية المغربية ،في حين قامت الصحف الفرنسية بين عامي 1930 و1931 بشن حملة عنيفة ومتواصلة ضد نشاط أرسلان وبنونة الذي اتهمته بأنه عميل للأمير استنادًا إلى الرسائل المتبادلة بينهما[77]ولم تكن المقالات الفرنسية تهدف إلى الاساءة أو التشهير بالأمير فقط وإنما كانت وظيفتها الأساسية تحذير إسبانيا وانتقاد تهاونها وقلة ذكائها وعدم تبصّرها إزاء مؤامرات ومناورات الأمير خصوصًا بعد مجيء الجمهورية الثانية في إسبانيا سنة 1931وسماحها للوطنيين بالتظاهر دون قمع أو اعتقال وهو أمر لم يرق للفرنسيين الذين كانوا يواجهون حركات الاحتجاج بالعنف في الجنوب .

5. خاتمة:

كان للتواصل والاهتمام الأرسلاني بالمنطقة الخليفية في شمال المغرب في الفترة ما بين 1930- 1940 دور على عدة مستويات إذ بفضل العلاقة التي ربطت أعيانها وأعلامها مع الأمير شكيب أرسلان أعطى الأخير لقضيتهم بعدا عربيا وإسلاميا وحتى دوليا إذ بفضل علاقته ومكانة في المشرق العربي أصبح للقضية المغربية حضور واهتمام وتضامن من طرف الشعوب والهيئات والمنظمات خاصة قضية الظهير البربري والبعد الكبير الذي أخذه آنذاك أما فيما يخص مطالب كتلة الشمال وعلاقتها بسلطات الحماية الإسبانية فإن الأخير قد لعب دور محوري في إرشادهم وتوجيههم باعتبار أن الأمير أرسلان كان عارفا بالقضايا الدولية والسياسات الأوروبية التي كانت تتداخل فيها المصالح مع الأحقاد، إذ بفضله ستكون منطقة الريف المغربي منطلقا للدفاع عن المغرب الذي كان يعاني من السياسة الفرنسية .

6. قائمة المراجع:

العربية:

- ابن الحكيم محمد العزوز ، وثائق سرية حول زيارة شكيب أرسلان إلى المغرب، مطابع الشويخ تطوان (المغرب)، ط1، 1980.
- أحمد عمايرة، شكيب أرسلان 1869-1946 دراسة في فكره السياسي، رسالة دكتوراه (غير منشورة) في التاريخ ،كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2000-1999.
- أرسلان شكيب ، الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي، تحرير وإشراف سوسن النجار، الدار التقدمية، لبنان، دط، د ت.
- أرسلان شكيب ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط دار الإحياء العربي ، مصر،د ط، د ت.
- أرسلان شكيب ، رسائل علمية وأدبية، تحرير وإشراف سوسن النجار، الدار التقدمية لبنان، ط1 2012.
- أرسلان شكيب ، عروة الاتحاد بين أهل الجهاد، تحرير وإشراف سوسن النجار، الدار التقدمية لبنان، ط 1، 2009.

- بروفنصال ليفي،"شكيب أرسلان(1869-1946)"،تعريب علي تابليت، المجلة التاريخية المغربيةالعدد (89-90)،ماي 1998،تونس 346.
- بنونة الطيب ، نضالنا القومي :في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، دار الأمل طنجة، د ط، 1980.
- الشرباصي أحمد ، أمير البيان شكيب أرسلان، ج2، دار الكتاب العربي، مصر، ط1 .1963
- الشرباصي أحمد ، شكيب أرسلان داعية العروبة والاسلام، دار الجبل، بيروت، ط3 .2001
- الطاهر محمد علي، ذكرى الأمير شكيب أرسلان، مطبعة عيسى الحلبي البابلي(القاهرة) مصر، د ط،1948.
- العلوي محمد أمين ، مراسلات شكيب أرسلان مع المؤرخ ابن زيدان: دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط، ط1 .1994
- قدورة زاهية ، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط .1975
- كرطيطمحمد، شكيب أرسلان والحركة الوطنية المغربية، الإجازة في مسلك التاريخ والحضارة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس الرباط.2005.
- محمد مكي، قضايا التحرر بالمغرب العربي في اهتمامات الأمير شكيب أرسلان 1930-1946 رسالة ماجستير(غير منشورة) ،كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر2، .2017-2018
- جريدة الشورى، العدد37، 38، 44،السنة الأولى.
- جريدة الشورى، العدد390، السنة السادسة.
- جريدة الشورى، العدد329، السنة السابعة.
- جريدة الفتح، 16/ماي/1929، العدد148.
- معلمة المغرب، ج17، مجموعة مؤلفين، مطابع سلا، الرباط، ط1، 2003.

- معلمة المغرب، ج7، مجموعة مؤلفين، مطابع سلا، الرباط، ط1، 1995.

الأجنبية:

- Ageron Charles Rebert، politiques coloniales ou Maghreb، éd, publications universitaire، Paris, 1972،
- Ben Jelloun Abd el Madjid، Les développements du mouvement nationaliste marocain dans la zone nord، Revue histoire maghrébine،N° 45، Juin 1987،
- Bessis Juliette، Chekib Arslan et les mouvements nationalistes au Maghreb, In RevueHistorique, N°(526), avril-juin 1978،
- Mourad Zarrouk, L'Association Hispano-Islamique: réformisme républicain, Aventure intellectuelle ou intérêts économiques، Hesperis-Tamuda، N°39.2، 2011,
- Ryad Umar،New épisodes in Moroccannationalism Under colonialrole: reconsidération of ShakībArslān's centrality in light ofunpublished materials،Journal of North AfricanStudies،16-01-2011
- Stenner David، Centing the periphery northern Morocco a hub of transnational colonial anti-activism 1930_1943، Journal of Global History،N° 11، (2016)، Cambridge University Presse،

7. هوامش:

[1] يطلق تسمية المنطقة الخليفية نسبة إلى تعيين السلطان المغربي خليفة له (الأمير مولاي بن المهدي إسماعيل) في مدينة تطوان في الشمال يمثله لدى سلطات الحماية الإسبانية ،وقد امتدت المنطقة الخليفية من شمال البحر المتوسط إلى مضيق جبل طارق، وشملت منطقتي الريف وجبالة ومدن: الناظور، الحسيمة، تطوان، العرائش، الشاون.

[2]الأمير شكيب أرسلان: ولد في25/ديسمبر/1869 بقرية الشويفات بجبل لبنان من أسرة درزية ذات أصول يمنية عربية استوطنت بلاد الشام في القرن السابع ميلادي، درس في بيت الحكمة ثم المدرسة السلطانية من 1879إلى1889 التي التقى فيها مع الأستاذ محمد عبده، سافر إلى مصر ولندن ما بين 1890/1892 وهناك اتصل بالمصلح الكبير جمال الدين الأفغاني، تولى منصب القائمقامية في قضاء الشوف، شارك في الحرب الليبية سنة 1911،مع بداية الحرب العالمية الأولى وقف إلى جانب الدولة العثمانية في مواجهة النزعة الانفصالية للوطنيين العرب، بعد نهاية الحرب استقر في جنيف السويسرية وترأس اللجنة السورية الفلسطينية ،في سنة 1930 أسس مجلة الأمة العربية التي تناول فيها القضايا المغاربية، قام بزيارة في نفس السنة إلى شمال المغرب ونزل في مدينة تطوان ،نظم المؤتمر الاسلامي الأوروبي سنة 1935،ومع بداية الحرب العالمية الثانية بدأ يقل نشاطه نتيجة انحيازه إلى ألمانيا بعد نهاية الحرب واستقلال لبنان عاد إلى وطنه سنة 1946 والتي توفي بها يوم 09/ديسمبر1946،للتوسع أكثر أنظر:

محمد مكي: قضايا التحرر بالمغرب العربي في اهتمامات شكيب أرسلان (1930–1946)، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ المعاصر ،قسم التاريخ،كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر2،(2017–2018) ،ص14–63.

(3)عبد الكريم الخطابي(1882–1963):منأبرز زعماء المقاومة الشعبية المغربية وبطل ثورة الريف ضد الاسبان والفرنسيين التي امتدت من (1921–1926)تمكن خلالها من إلحاق هزيمة بالجيش الاسباني في معركة أنوال الشهيرة وأعلن عن قيام جمهورية الريف في المناطق التي حررها ،وخشية من امتداد الثورة إلى المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسي في الجنوب تدخلت فرنسا بكل ثقلها إلى جانب إسبانيا الذي استسلم في ماي 1926 ونفي خارج المغرب، أنظر: زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1975 ص550–556.

(4)ذكرت الباحثة الفرنسية جولييت بسيس (Juliette Bessis) بأن الأمير قبل (1930) كان عثمانيا ومشرقيا من حيث التوجه الفكري لذلك لم يُبد اهتمامًا بالمغرب العربي قبل ذلك باستثناء وجوده في ليبيا قبل عام 1914حين كان يخدم الإمبراطورية العثمانية، ولم يعر حسبها أي اهتمام خاص بالشؤون المغاربية ولم تجد له أي موقف معلن من حرب الريف، أنظر:

Juliette Bessis, Chekib Arslan et les mouvements nationalistes au Maghreb, In RevueHistorique, N°(526), avril-juin 1978, p475.

(5)جريدة الشورى، عبد الكريمكم أيها العرب لكاتب عربي ينم عليه قلمه، 02/جوان/1925، العدد37،السنة الأولى، ص01.والمقال لشكيب أرسلان وقعه تحت اسم كاتب عربي ،وما يدلل على ذلك أن نفس العبارات والجمل الواردة نجدها في رسالته إلى رشيد رضا التي ذكر فيها أنه سوف يكتب مقالة يشيد فيها بعبد الكريم، أنظر: أحمد الشرباصي، أمير البيان شكيب أرسلان، ج2، دار الكتاب العربي، مصر، ط1، 1963، ص645 كما نجد في العدد الموالي من جريدة الشورى (العدد38) مقالا تحت عنوان: العسكري المغربي يفيد فرنسا قاتلا مقتولا لسعادة الكاتب العربي الكبير صاحب التوقيع) الذي وقع تحت اختصار حرف(ش) حيث اعترف شكيب أرسلان في المقال المنشور بالشورى في العدد(44) تحت عنوان (أزفت ساعة الاتحاد أيها العرب)بأنه كاتب ذلك المقال وفيه نجده يشيد بأعمال عبد الكريم الخطابي ويقارن بينها وبين منجزات أعمال كمال أتاتورك.

(6)الشرباصي، أمير البيان... ،ج2، ص645.

(7)جريدة الفتح، 16/ماي/1929، العدد148، ص6.

(8)شكيب أرسلان، رسائل علمية وأدبية، تحرير وإشراف سوسن النجار، الدار التقدمية، لبنان، ط1، 2012 ص48–49.

(9)أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والاسلام، دار الجبل، بيروت، ط3، 2001، ص128.

(10)جريدة الشورى، بشأن الريف جواب من أعضاء جمعية الأمم إلى الأمير الأرسلاني، 16/جويلية/1925 العدد38، السنة الأولى، ص4.

(11)الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والاسلام، ص128-129.

(12)كان غرض شكيب من هذه الرحلة كما قال "...وذلك أنه لما كان الغرض الأصلي من الرحلة افتراء آثار العرب كيف حلوا وأين ارتحلوا من هذه الديار الغربية، فكان لابد لنا أولا من زيارة فرنسا التي كان فيها للعرب جولة بل كانت لهم في جنوبها دولة..."أنظر:

شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الإحياء العربي ، مصرد ط، د ت، ص90.

(13)محمد العزوز بن الحكيم، وثائق سرية حول زيارة شكيب أرسلان إلى المغرب، مطابع الشويخ، تطوان (المغرب) ط1، 1980،ص20-21.

(14)طنجة: مدينة تقع في أقصى الشمال الغربي من المغرب تشرف على مدخل مضيق جبل طارق ، كانت في القرن 17م مقر القنصليات والجاليات الأوروبية ، وفي القرن 19م أصبحت عاصمة دبلوماسية بتعيين السلطان نائبا عنه يمثله لدى الهيئات القنصلية، زارها الإمبراطور الألماني وليام الثاني سنة 1905، في سنة 1923 وبسبب التنافس الاستعماري عليها أقر لها وضع دولي خاص تشترك فيه لجنة دولية متكونة من (مندوب سلطان المغرب وممثل عن فرنسا وبريطانيا وإسبانيا) أعيد تفعيل هذا النظام بعد الحرب العالمية الثانية بإضافة الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، في أكتوبر 1956 أرجعت المدينة لسلطة المغرب الأقصى، أنظر: معلمة المغرب، ج17، مجموعة مؤلفين مطابع سلا، الرباط، ط1، 2003، ص 5770-5773.

(15)تطوان: مدينة شهيرة في شمال المغرب أسسها السلطان يوسف بن يعقوب التميمي سنة 1286 ، احتلت من طرف الاسبان بين(1860-1862) وفي 19/فيفري/1913 دخلتها الجيوش الإسبانية وأصبحت مقرا للإقامة الاسبانية ،وفي 27/أفريل من نفس السنة حل بها الأمير مولاي بن المهدي إسماعيل(1913-1923) كأول خليفة للسلطان بشمال المغرب ثم خلفه في المنصب ولده الأمير مولاي الحسن بن المهدي(1925-1956) أنظر: معلمة المغرب، ج7، مجموعة مؤلفين، مطابع سلا، الرباط، ط1، 1995، ص2204.

(16)محمد أمين العلوي، مراسلات شكيب أرسلان مع المؤرخ ابن زيدان: دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط، ط1، 1994، ص289. بنشر المراسلات بين المؤرخ ابن زيدان مع شكيب أرسلان يتضح أن ابن زيدان هو أول من علم بزيارة الأخير للمغرب الأقصى ويكون قد أعلم رجالات المغرب بذلك عكس ما ذهبت إليه الدراسات السابقة التي اعتبرت رسالة توفيق المدني إلى محمد الداود أول وثيقة يخبر فيها أرسلان المغاربة عن نيته بزيارة طنجة وتطوان.

(17)Abd el Madjid ben Jelloun،Les développements du mouvement nationaliste marocain dans la zone nord، Revue histoire maghrébine،N° 45، Juin 1987، P35.

[18]عبد السلام بنونة : من مواليد مدينة تطوان (1888) في أسرة من كبار موظفي الدولة في عهد السلطان الحسن الأول ومولاي عبد العزيز، حفظ القرآن على عادة أبناء عصره، وتعلم اللغة الإسبانية، شغل عدة مناصب في الحكومة الخليفية منها محتسب بداية من 1916 وفي سنة 1922 أسندت إليه وزارة المالية كما عين عضوا في المجلس البلدي بتطوان، كانت له مجهودات كبيرة في المجال العلمي والثقافي حيث أسس المجمع العلمي بتطوان (1916) وأصدر مجلة الإصلاح ،كما كان عضوا في أكاديمية العلوم التاريخية بمدريد، أسس مدرسة وطنية حرة بتطوان واهتم بإرسال البعثات للدراسة بالخارج خاصة للمشرق العربي، أنظر: الطيب بنونة، نضالنا القومي:في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، دار الأمل طنجة، د ط، 1980، ص42-51.

[19]كان الأمير قد غادر مدينة طنجة متوجها إلى تطوان قبل أن تصدر الادارة الدولية أمرها بطرده وذلك بطلب من فرنسا ،كما أعادت طلب طرد الأخير من مدينة تطوان ،لكن الإقامة العامة الإسبانية لم تكن تشاطر فرنسا عدائها للأمير أرسلان فلم يكن لدى السلطات الاسبانية مانع من أن يزور عطوفته إسبانيا والمنطقة التي كانت تحت حمايتها .

[20]ابن الحكيم، المرجع السابق، ص 32.

[21]ben jelloun.op cit.p37.

[22]بنونة، المرجع السابق، ص23.

[23]ابن الحكيم، المرجع السابق، ص41.

[24]حول نص خطبة عبد الخالق الطوريس ،أنظر :بنونة، المرجع السابق، ص29-31.

[25]شكيب أرسلان، عروة الاتحاد بين أهل الجهاد، تحرير وإشراف سوسن النجار، الدار التقدمية، لبنان، ط 1 2009، ص154.

[26]Charles Rebert Ageron،politiques coloniales ou Maghreb،éd،publications universitaire،Paris،1972،p 140.

[27] أرسلان، عروة الاتحاد في أهل الجهاد، ص154.

[28]جريدة الشورى، آخر الأخبار عن رحلة الأمير شكيب إلى الأندلس، 10/سبتمبر/1930، العدد390، السنة السادسة، ص03.

[29]ben Jelloun،op cit،p73.

[30]ليفيبروفنصال،"شكيب أرسلان(1869-1946)"،تعريب علي تابليت، المجلة التاريخية المغربية ،العدد (89-90)،ماي 1998،تونس ص346.

[31]ابن الحكيم، المرجع السابق، ص75.

(32)David Stenner، Centing the periphery northern Morocco a hub of transnational colonial anti-activism 1930_1943، Journal of Global History،N° 11، (2016)، Cambridge University Presse ،p20.

(33)محمد كرطيط، شكيب أرسلان والحركة الوطنية المغربية، الإجازة في مسلك التاريخ والحضارة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2005،ص11.

(34)بروفنصال، المرجع السابق، ص346.

(35)Zarrouk Mourad ،L'Association Hispano-Islamique: réformisme républicain, Aventure intellectuelle ou intérêts économiques،Hesperis-Tamuda، N°39.2، 2011, p132.

(36)ibid.p132.

(37)ben Jelloun،op cit،pp280-281.

(38)Zarrouk، op cit،p134.

(39)جاءت هذه الوثيقة بعنوان" مطالب الأمة المغربية" في صفحة واحدة تحت ختم المندوب السلطاني في تطوان وإمضاء (800) شخصية من أعيان المنطقة ،حول محتوى العريضة أنظر: ابن الحكيم، المرجع السابق، ص153.

(40)شكيب أرسلان، الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي، تحرير وإشراف سوسن النجار، الدار التقدمية، لبنان، دط، د ت، ص23.

(41)شكيب أرسلان،مطالب الريفيين من إسبانيا، جريدة الشورى، 24/جوان/1931، العدد329، السنة السابعة، ص01.

(42)بنونة، المرجع السابق، ص253.

(43)رياض، المرجع السابق، ص44.

(44)ذكر الطيب بنونة أن الوفد تكون من السادة(محمد بوهلال) رئيسا، (أحمد غيلان، وعبد السلام حجاج، أحمد اللبادي)أعضاءً وقد سبق الوفد إلى مدريد عبد السلام بنونة ليهيئ الجو المناسب ويساعد الوفد بواسطة أصدقاء الحركة الوطنية في إسبانيا، أنظر: بنونة، المرجع السابق، ص232.أما شكيب أرسلان فذكر أن نخبة من أعيان منطقة تطوان (القصر، العرائش، أصيلا، القبائل الريفية)أخذوا ألوفا من التوقيعات على البرنامج وتألفت لجنة ضمت خمسة رجالات من المنطقة منهم عبد السلام بنونة الذي سبق زملائه إلى مدريد لتسهيل المهمة ثم سافر بقية الوفد بعده إلى العاصمة مدريد، أنظر: أرسلان، مطالب الريفيين ...، الشورى، العدد329، ص1.

(45)Stenner.op cit.p11..

(46)رياض، المرجع السابق، ص85.

(47)أحمد عمايرة، شكيب أرسلان 1869-1946 دراسة في فكره السياسي، رسالة دكتوراه (غير منشورة) في التاريخ ،كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1999-2000،ص166.

(48)ابن العزوز، المرجع السابق، ص69.

(49)شكيب أسلان، جواب للكتلة الوطنية بمصر، جريدة الفتح، العدد434، ص9.

(50)بنونة ، المرجع السابق، ص242.

(51)نفسه، ص318.

(52)نفسه، ص318.

(53)عمايرة، المرجع السابق، ص170.

(54)حول النص الكامل للبيان التأسيسي للجمعية أنظر : بنونة، المرجع السابق، ص307-308.

(55)Zarrouk.op cit.p135.

(56)ibid.p138.

(57)ibid.p137.

(58)ibid.p138.

(59)أرسلان، الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي، ص24.

(60)Umar Ryad،New épisodes in Moroccannationalism under colonialrole: reconsidération of ShakībArslān's centrality in light ofunpublished materials،Journal of North AfricanStudies،16-01-2011.p130.

(61)بنونة، المرجع السابق، ص311.

(62)Ryad،op cit.p130

(63)رياض، المرجع السابق، ص156.

(64)أرسلان، الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي، ص43.

(65)Zarrouk.op cit.p145.

(66)Stenner.op cit.p11

(67)كرطيط، المرجع السابق، ص20.

(68)بنونة، المرجع السابق، ص203.

(69)علي الطاهر،ذكرى الأمير شكيب أرسلان، مطبعة عيسى الحلبي البابلي(القاهرة)، مصر، د ط،1948ص35.

(70)رياض، المرجع السابق، ص180.

(71)ابن الحكيم، المرجع السابق، ص18.

(72)أحمد عمايرة، المرجع السابق، ص168.

(73)بنونة، المرجع السابق، ص181.

(74) نفسه، ص 182.

[75]ابن الحكيم، المرجع السابق، ص19.

[76]بنونة، المرجع السابق، ص285-295.

[77]نفسه، ص260-267.

ذاكرة تدبير ندرة الماء وترشيده ببلاد المغرب الأقصى بين العرف والضوابط الشرعية

The memory of managing the scarcity of water and rationalizing it in the Morocco between custom and islamic controls

ادريس بلعابد(*)

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق ـ المملكة المغربية

benali98@hotmail.com

تاريخ الاستلام: **2021/02/14** **تاريخ القبول**:**2021/05/29** **تاريخ النشر**: **2021/06/30**

ملخص:

اعتبر الماء عبر مختلف الحقب التاريخية، عنصرا متحكما في إنتاج الرخاء والأزمات معا ببلاد المغرب الأقصى. فقد كانت أمور الحياة لدى العامة تتأثر بندرته، وتتقلب أحوالها تبعا للمناخ والفصول. والمكانة المتميزة للماء جعلت من تدبيره إحدى الأولويات لدى فئة العامة، كما كان سببا في بروز نزاعات بين أطراف مختلفة. فبمجرد تأخر الأمطار وتسجيل ندرة في الماء تبدأ بوادر الأزمة منطلقة من ارتفاع الأسعار وصولا إلى المجاعات المتسببة بدورها في نتائج ديموغرافية واجتماعية.

وأنتجت النزاعات حول الماء في تاريخ المغرب الأقصى أعرافا وأنظمة استغلال، مكنت من اقتراح حلول للصراعات الفردية والجماعية حول الموارد المائية، والحفاظ على الماء وترشيد استعماله نال نصيبه من الفتاوى، فقد شكلت نوازل المياه موضوعا أساسيا داخل كتب النوازل، وأشارت للمشاكل التي كانت تثار بسبب قسمة الماء، وتحديدا خلال حقبة الجفاف.

الكلمات الدالة: ندرةالماء، تدبير، لمغربالأقصى، العامة، العرف، الفتاوى، الادخار، الترشيد.

Abstract:

(*) **المؤلف المرسل: ادريس بلعابد: benali98@hotmail.com**

Water, through various historical periods, is considered a controlling element in the production of prosperity and crises together in the Morocco. Public life was affected by its incorporation, and its conditions fluctuated depending on the climate and seasons. The privileged status of water has made its management a priority for the public and has caused conflicts between different parties. Once the rains are delayed and there is a scarcity of water, the signs of the crisis begin to rise from rising prices to famines, which in turn cause demographic and social consequences.

Conflicts over water in the history of Morocco have produced customs and exploitation systems, which have enabled the proposal of solutions to individual and collective conflicts over water resources, and the conservation and rationalization of water use, which has received its share of fatwas. Water fountains have been a key theme within the books of the fountains, and referred to the problems that were raised by the division of water, specifically during the drought era.

Keywords: Water scarcity; management; Morocco; the public; Custom; Fatwas; Savings; Rationalization

____

مقدمة:

يعتبر المناخ من العوامل الحاسمة المؤثرة في تاريخ بلادالمغرب الأقصى خلال مختلف الحقب. وقد كانت أمور الحياة كلها تقريبا، وحتى السياسية منها، تنقلب رأسا على عقب تبعا للمناخ والفصول. وبالاستناد إلى الإفادات التاريخية، فالماء كان هو المتحكم الأكبر في إنتاج الرخاء والأزمات معا. ووجود وضع مناخي عادي ومناسب كان مؤشرا لبداية فترة عيش واستهلاك جيدة، خصوصا أن الكثير من الأطعمة المستهلكة ببلاد المغرب هي ذات مصدر نباتي، وفي مقدمتها الحبوب. وفي الوقت نفسه كان المناخ مصدرا لصعوبات وأزمات، إذ بتأخر المطر كان اليأس يعم المدن والبوادي، وترتفع الأسعار.

والمكانة المتميزة للماء،جعلت من تدبيره إحدى الأولويات كما كان موضوعا لنزاعات بين أطراف مختلفة. إذ بتأخر الأمطار وتسجيل ندرة في الماء تبدأ بوادر الأزمة منطلقة من ارتفاع الأسعار وصولا إلى المجاعات، أو ما عرف بأزمنة الحاجاتالمتسببة بدورها في نتائج ديموغرافية. كما ظهرت نزاعات فردية وجماعية حول مصادر المياه استدعت حلولا وأساليب تدبير كان للعرف وفقه النوازل نصيب في اقتراحها. وأسهم فقه النوازل في توفير ضوابط شرعية لتدبيرموارد المياه، فمن خلال أجوبة الفقهاء تشكل تراث مهم تَضَمَّن اجتهادات وأجوبة، وكشفت النوازل التي كانت ترفعها العامة، عن العادات والأعراف السائدة بالمغرب والتي كانت بمثابة قوانين مجتمعية وأنظمة لتدبير واستغلا للثروة المائية.

ونتطرق في هذه الدراسة البحثية لنماذج من أساليب تدبير الثروة المائية في ذاكرة بلاد المغرب الأقصوالحلول المعتمدة لمواجهة النزاعات حول مصادر المياه. وتمت دراسة هذه التدابير عبر محورين يتضمنان مقاربة تاريخية لعملية تدبير ندرة الماء، ودور العرف والضوابط الشرعية الممثلة في فقه النوازل في حل النزاعات حول مصادر المياه.

1.تدبير ندرة الماء

1.1 . التدبير المادي:

إن تعاقب سنوات الجفاف في تاريخ المغرب فرض على العامة عادات كانت في أصلها أساليب وطرق لمواجهة هذه الأزمات. بل الاعتياد أكسب الناس الاستعداد والتحسب لأزمات الجفاف والمجاعات. وكان الادخار والتخزين أحد الأساليب المستعملة في ذلك. وهو ما كشف عن خصوصية الذهنية[1] المغربية في التعامل مع الأزمات والاستعداد لها. والرحالة الفرنسي جان موكي والذي زار المغرب مع بداية القرن السابع عشر الميلادي، أشار أن جملة ما رآه بالمغرب هو وجود هذا النوع من أساليب التدبير أي ادخار الأقوات والماء، وكل ذلك يشكل امتثالا للأعراف والعادات.

وتشير إفادات تاريخية كثيرة لأساليب أخرى لتدبير ندرة المياه ممثلة في القنوات، وهي في الغالب تدشيناتمخزنية في عدة مدن كفاس ومراكش ومكناس نعتهاالرحالة الأوربيون بالهائلة، وذلك لمستواها التقني و التنظيمي، فعلى سبيل المثال أشارت وثيقة مؤرخة للقرن 18م وتحديدا سنة 1715م إلى الهندسة المتميزة لتوزيع مياه فاس[1]، فقد جمعت مياه النهر في السد ووزعت في قنوات موصلة وكان الهدف من ذلك هو سقي البساتين وتزويد البيوت والمساجد والمدارس والسقايات بالماء، باعتماد تقنية مبتكرة سهرت عليها حرفة منظمة عرفت باسم "القوادسية" متخصصة في وضع القنوات وإصلاحها وكنسها[2].

وتباين تنظيم المخازن والمطامير بالمغرب من مجال جغرافي لآخر، فالمناطق الجبلية كانت أكثر اهتماما بهذا الأسلوب(التخزين) وكان العامل المناخي هو المتحكم في ذلك. وأظهرت وسائل الادخار المعتمدة الاهتمام الذي كان يعطى للعملية في شقيها الرسمي والخاص، فالأهراء والمخازن كانت في العادة ملكا جماعيا يتم الحرص على بنائها في أماكن آمنة، إذيشير الوزان أنها كانت تبنى بالقرب من القصور، وتخضع لتنظيم محكم [3]. غير أن بعض المناطق كانت المطامير نادرة الوجود، والسبب لا لجهل سكانها كيفية الاستفادة منها بل نتيجة بنيتها التضاريسية نتيجة وجود تربة تمتص الماء وتسهل نفاده نحو الأعماق[4].

وكانت بعض المجالات الجغرافية نموذجا لنمط التفكير القائم على استحضار صفات التكافل خصوصا خلال فترات الشدائد والأزمات، وجسد سلوكها هذه الصفات، فقبائل الأطلس الكبير والصغير كانت تعمد إلى بناء مخازن جماعية تحتضن مدخرتها من الأقوات[5]. وكانت هذه المخازن تسمى بتيغرمت لدى قبائل آيت عطا وآيت مرغاد وآيت سغروشن، والتي عمدت بدورها إلى ابتكار مخازن جماعية مكونة من خمس أو ست غرف لخزن أقواتها[6]. وكذلك الشأن بالنسبة للماء، فالحاجة إليه خلال زمن القحط، فرض ابتكار تقنيات لتخزينه، وعلى سبيل المثال خلال القرن السابع عشر كان العرب بمنطقة دكالة يقيمون مطامير عريضة وعميقة لتجميع المياه [7]، وترجم هذا الأسلوب الصعوبات التي واجهت القبائل خلال حقب الجفاف.

بخلاف المجالات السابقة الذكر، اعتبرت الصحراء مجالا منفردا بظروفه الطبيعية والديموغرافية، إذ لم يكن في الغالب مجالا للاستقرار، حتى إنه، كما قال بروديل، "ليس للإنسان فيه مكان إلا بوصفه مسافرا أو متنقلا، كأنه في ذلك ضيف عابر لا يقيم إلا على نحو مؤقت"(8). وإذا كان تاريخ الصحراء ارتبط أكثر بالتنقل، فالإشارات الواردة بالمصنفات التاريخية تلمح إلى وجود استقرار بشري قرب مصادر الماء، ومن خلاله تشير إلى ظروف الاستقرار والعيش بهذا المجال.

وبالقدر الذي تناولت فيه المظان التاريخية، وخاصة منها كتب الرحلات والمصنفات الجغرافية، الدور التجاري للصحراء، فإنها أوردت إفادات تهم ظروف عيش سكانها واستقرارهم، والذي كان يتم بالطريقة نفسها ودون أية قاعدة ولا منطق(9). وكان الماء هو الهاجس المتحكم في الاستقرار ونمط العيش بالصحراء. والخوف من الجفاف وقلة الماء تحكمت دوما في عقلية وسلوك سكانها، فكلما أصبحوا مهددين بالعطش أو الجوع، كانوا يلتجئون إلى من يعتقدون صلاحهم من أهل التصوف وأصحاب الزوايا(10).

إن هذه الأوضاع كان لها تأثير في نمط عيش سكان الصحراء، فكان من عاداتهم الصبر على الجوع(11)، والاكتفاء بما تنتجه أرضهم، فحتى المـاء كانوا يستغنون عنه أحيانا، "ومـا دام عندهم اللبن فلا حاجـــة لهم بالمـاء ولاسيما في فصل الربيع، حيث لا يغسل بعضهم أيديهم ولا وجوههم إطلاقا، وسبب ذلك أنهم لا يقصدون أثناء تلك المدة مواقع الماء لأن لديهم اللبن أولا (12)." فالماء عادة لا يوجد إلا على مسافة كل مائة أو مائتي ميل، بالإضافة إلى كونه مالحا ومرا، ويوجد في آبار عميقة، وكان الكثير من الناس يموت بسبب ذلك عطشا(13). هذه الإكراهات الطبيعية فرضت إذن على سكان الصحراء نمطا استهلاكيا محددا، تجلت قاعدته الأساسية في ترشيد استهلاك الماء.

2.1التدبير الديني

فضلا عن التدابير المادية، لجأ المغاربة بسبب توالي الأزمات المناخيةخلال مختلف الحقب التاريخية إلى تدابير دينية تجسدت في القيام ببعض الشعائر والطقوس كصلاة الاستسقاء والصوم والدعاء. كما– كان للزوايا دور في هذا الشأن.

1.2.1 صلاة الاستسقاء

أولى الشعائر الدينية التي حضرت بقوة خلال فترات نقص الماء وندرته تمثلت في صلاة الاستسقاء وبعض طقوس الاستمطار التي كانت بمثابة الحل الذي لجأ إليه المغاربة مرارا خلال فترات القحط والجفاف ولعل ما يبرر ذلك وجود سند وتأصيل شرعي لهذا النوع من شعائر الاستنجاد. فكما تشير المصادر التاريخية في إفاداتها فعلاقة المغاربة بالماء كانت تأخذ طابعي الرغبة والخوف لذلك كان الدعاء عادة ما يجسد هذه الثنائية، إذ تضمن مناجاة الله عز وجل بإنزال المطر ولكن المتسم بصفة النفعية، وهذا يبرر أن العلاقة مع المطر كانت محكومة بإكراهي الجفاف والسيول. وإذا كان المسلمون رأوا في هذه الصلاة الوسيلة لتجاوز زمن الشدة والمسغبة، فاليهود اعتمدوا الصوم والدعاء طلبا للمطر.وكانت طقوس مختلفة ترافق الاستسقاء وقد مارسها المسلمون واليهود على السواء.

كانت صلاة الاستسقاء وما يرافقها من طقوس في مقدمة الأساليب التي كان يتم التفكير فيها كحل، وبالتالي كانت تقام عادة بعد انحباس المطر. فالماء له حضوره المقدس في المخيال المغربي باعتباره أصل الحياة و ما يزكي ذلك السند القرآني [14]المجسد في الآية الكريمة المتضمنة لقوله تعالــى : "وجعلنا من الماء كـل شيء حي" [الآية 30 . سورة الأنبياء] هذه المكانة رفعت الماء إلى مرتبة القدسية جمعت فيه صفتي الخصب و العقاب ، وندرة هذا العنصر كانت بداية لممارسة شعائر وطقوس ولو اقتضى الأمر تكرارها لمرات، ويصدق ذلك على سنة 1044هـ/1634م، فمن قلة المطر عطش الزرع، فكرر الناس صلاة الاستسقاء،[15] كما كانت تقام بعد الغلاء والمجاعات، "ففي عام 1091هـ/1680م حدث غلاء بسبب تأخير المطر (...) وصلى الناس صلاة الاستسقاء مرارا"[16].

ورغبة في إعطاء هذه الشعيرة قيمتها، كان السلطان هو من يأخذ المبادرة للدعوة لإقامة صلاة الاستسقاء ويحرص على المشاركة فيها. فالمولى إسماعيل خرج سنة 1680م مع "الرعية لطلب الاستسقاء، مكشوف الرأس حافي القدمين لابس رث ثياب المهنة المؤذنة بغاية العبودية والتذلل والانكسار[17]". وكانت تصاحب بمجموعة طقوس، ففي نفسالسنة(1680م) وطلبا للمطر، أمر السلطان الفقهاء والصبيان بالتطوف على أضرحة الصالحين والمساجد، وخرج بدوره حافي القدمين في مذلة مصحوبا بحاشيته وعدد كبير من رعيته[18]. وفي عام 1094هـ/1683م تأخر المطر وكررت صلاة الاستسقاء وأطعم المولى محمد (ابن المولى إسماعيل وخليفته على فاس) الطعام بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي بقصد الاستسقاء[19].

هذه الطقوس وإن كان هناك ما يبررها شرعا، فهي جسدت جزءا من العادات التي يظهر من خلال الإفادات المصدرية أن أصلها لا يقترن بالعصر الحديث أو الفترة المعاصرة، بل يعود إلى العصر الوسيط، إذ يورد ابن أبي زرع الفاسي، في معرض حديثه عن قيام السلطان المريني "أبي سعيد" بأداء صلاة الاستسقاء بعد موجة القحط التي عرفتها البلاد سنة 711هـ، هذه الطقوس،فقد: "مشا على قدميه حتى وصل المصلى والفقهاء والصلحاء والقراء بين يديه بالذكر[20]".كما زار قبر الشيخ أبي يعقوب الأشقر، ودعا الله هناك، ولم يرجع من هنالك إلا والمطر العام بجميع البلاد[21].

كانت تتم الاستعانة كذلك بالصلحاء والعلماء لإقامة صلاة الاستسقاء، كما كانت تعاد أكثر من مرة ، كما هو الشأن سنة 1680م فقد " صلى الناس صلاة الاستسقاء مرارا ، فأول خطيب بها أبو عبد الله بردلة كرر الصلاة ثلاث مرات فنزل قليلا من المطر لا يكفي، ثم أعيدت الصلاة وخطيبها سيدي محمد البوعناني، ثم أعيدت وخطيبها الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد المرابط الدلائي، والقمح بستين أوقية و نحوها للوسق، ثم أعيدت وخطيبها الفقيه الصالح الزاهد أبو عبد الله سيدي محمد العربي الفشتالي، ومن عشية الغد نزل المطر الغزير المقنع الكثير فانحطت الأسعار[22]. "

هذه الإشارة المصدرية تفيد مدى الاصرار على إقامة صلاة الاستسقاء وتكرارها خصوصا في السنوات التي كانت تسجل حدة القحط والجفاف. كما أن الاستجابة كانت فورية في الحالة التي كان يأم فيها الصلاة بعض الصلحاء. وفي هذا الصدد يشير القادري أن المطر قبض في بعض السنين خلال القرن12هـ/18م، فطلب أهل وزان من محمد بن الطيب الوزاني " أن يصلي بهم الاستسقاء، فصلى بهم وخطب فأرسل الله تعالى المطر فورا عقب الصلاة وروى جميع بلاد الغرب وخصبت البلاد [23]". وبموازاة إقامة صلاة الاستسقاء كانت تمارس شعائر من قبيل الصوم والبكاء والعويل وزيارة الصالحين والتشفع لله بالمصاحف[24].

عاناليهود بدورهم من فترات الضيق والشدة الناتجة عن الجفاف، ورأوا في العبادة سبيلا لتجاوز هذا الوضع، وكانوا يخرجون بجموعهم ويطلبون الله[25]. وكانت شعائرهم قائمة على طلب الغيث، فصلاة الاستسقاء عندهم كانت تقام بالتزامن مع إقامتها لدى المسلمين، ويمارسون بالتزامن مع ذلك طقوس وشعائر وعادات شعبية، فيهود صفرو كانت وجهتهم إبان أوقات الجفاف ضريح أحد الحكماء المدفون بسفح الجبل مصحوبين بخرقة دم الختان، ومرددين للابتهالات استنزالا للمطر[26].

2.2.1دور الزوايا

كان المخزن هو المنظم لصلاة الاستسقاء، غير أن أطرافا أخرى لم تكن بالغائبة عنها وفي مقدمتها الزوايا والتي عادة ما كان شيوخها ومريدوها يسجلون حضورهم.فمنذ العصر الوسيط كان السلطان هو الداعي للاستسقاء وطلب الغيث مع استحضار وجود الصلحاء وشيوخ الزوايا، وقد أشار صاحب روض القرطاس، في معرض حديثه عن قيام السلطان المريني "أبي سعيد" بأداء صلاة الاستسقاء بعد القحط الذي أصاب المغرب سنة 711هـ/1312م، "فخرج إلى إقامة سنة الاستسقاء، فمشا على قدميه حتى وصل المصلى والفقهاء والصلحاء والقراء بين يديه بالذكر، كل ذلك خضوعا لله تعالى وواضعا لجلاله وإقامة لسنة نبينا محمد صلـــى الله عليه وسلم،وقدم بين يديه الصدقات، وفرق الأموال في ذوي الحاجات [27].وبموازاة ذلك "سار في جميع جيوشه حتى وصل إلى جبل الكندرتين لزيارة الشيخ الصالح

أبي يعقوب الأشقر، فدعا الله تعالـــــى هنالك، فقبل فقبل المولـــى دعاءهورحمه ورحم بلاده، وأغاث عباده، ولم يرجع من هنالك إلا بالمطر العام بجميع البلاد [28]."وفي العديد من الأحيان كان شيوخ الزوايا هم من توكل لهم إمامة صلاة الاستسقاء فسنة 1094هـ/ 1683م تأخر المطر و"صلى صلاة الاستسقاء سيدي محمد بن محمد المرابط الدلائي بباب الفتوح [29]".

استحضرت كذلك كتب التصوف مشاركة شيوخ الزوايا في طلب الغيث، وأوردت ذلك في شكل قصص تزخر بكراماتهم في إنزال المطر، فصاحب كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي أورد قصصا في هذا الشأن من قبيل القصة التي يتحدث فيها الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الصنهاجي عن أبي العباس السبتي حيث يحكي أنه بينما كان جالسا مع جماعة من مريدي هذا المتصوف إذ بجماعة من الصبيان يمرون عليهم مستغيثين طالبين للمطر، فطلب من أبي العباس الاستسقاء للناس بعدما أصابهم من القحط والجفاف الضرر الكبيروقد استجاب للطلب فدعا جلساءه للخروج لباب الدباغين، واليوم شديد الحرارة، بعد ذلك سيطلب منهم التصدق بما يحملون معهم، واستمر موكبهم في المسير وأبو العباس "ينظر للسماء ويحرك شفتيه ويطلب منهم ترديد سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وبعد فترة من المسير سيبشر أبو العباس رفاقه بقرب نزول المطربقوله: "بادروا، المطر، وخذوا نعالكم بأيديكم [30]."

يورد صاحب كتاب التشوف قصة أخرى في ترجمته للرجل الصوفي وجاج بن زلو اللمطي (توفي خلال القرن الخامس الهجري) ففي عهده أصاب الناس جدب بنفيس فذهبوا إليه طلبا للاستسقاء والغيث، " فلما انصرفوا عنه أرسل الله عليهم السحائب بالأمطار ودامت عليهم الأمطار [31]."واستمر بالمغرب خلال العصر الحديث الاعتقاد في قرب شيخ الزاوية من السماء، لذلك تم اللجوء إلى الأولياء الأحياء من شيوخ الزوايا للتوسل إليهم والتوسط بهم لطلب الغيث [32].فقد كانت قبائل تادلا تعمد إلى طلب الغيث من شيوخ الزاوية الشرقاوية،

فتجد البركة عادة فيما طلبته[33]. نفس الشيء بالنسبة لقبائل سوس فكلما قلت الأمطار في بلادهم قصد وفدهم شيخ زاوية تيمكدشت طلبا للمطر[34].

وسبب هذا الدور، اعتبرت الزوايا في متخيل العامة ملاذا ووسيلة للخلاص من تداعيات الأزمات، ونسجت معها علاقات موسمية كانت مناسبة للتبرك بشيوخ الزوايا وإعلان الولاء الروحي لهم.

3.2.1الفتاوى الفقهية

شَكَّلَ فقه النوازل نموذجا لآلية مواكبة الأحداث الطارئة، وتنزيلها على أصول الشريعة. والنوازل الفقهية بالمغرب سواء خلال العصر الوسيط أو الحديث أو المعاصر، تمكنت من استيعاب مختلف مجالات الحياة، وخاصة ما تعلق بالمعاملات.

وعلاقة بموضوع الأزمة وندرة الماء، وقفت النوازل الفقهية عند العادات المواكبة لها، كما اقترحت نماذجا لحلول تراوح مضمونها بين الإشارة لأساليب الوقاية أو دفع المسببات وفق الضوابط الشرعية. وكان تحديد ضوابط الاستهلاك والدعوة للتكافل من نماذج الحلول المقترحة فقهيا للمساغب والكوارث.

وكان للفقهاء من خلال ما طرح عليهم من قضايا في هذا الشأن، موقف من قضايا السلوك الاستهلاكي، فقد تتبعوا هذا السلوك ووزنوه بمقاييس الشريعة الاسلامية. ومن بين القضايا التي عالجها الفقهاء خلال العصر الحديث مسألة الخروج عن حد الاعتدال في الاستهلاك، حيث تصدوا للظاهرة،[35] وفتاويهم عبرت عن هذا الموقف.

والحفاظ على الموارد المائية نال نصيبه من الفتاوى، فقد شكلت نوازل المياه موضوعا أساسيا داخل كتب النوازل، وأشارت للمشاكل التي كانت تثار بسبب قسمة الماء، وتحديدا خلال حقبة الجفاف. كما استحضرت الفتاوى الفقهية دور المؤسسة الدينية في تقديم الإشارة للسلطان،

وكان الطابع الغالب على الحلول التي قدمتها الفتاوى سواء خلال تاريخ المغرب الوسيط أو الحديث هو اتفاقها على أمر موحد في أمر الجوائحواعتبارها امرا سماويا لا يد للناس فيه ولا

حيلة، ولذلك أفتى الفقهاء في الغالب لصالح المتضرر، وجعلوه في حل ما يلزمه تجاه شريكه أو صاحبه [36]. فكانت الفتاوى بمثابة سند شرعي اعتمد عليه المتضررين بتداعيات الكوارث والأزمات لجبر ضررهم،

3.1 .طقوس وأعراف:

ظهور الأزمات بمحتلف أصنافها بالمغرب، واكبته سلسلة من الطقوس والاعتقادات المجتمعية القديمة، والجفاف كان مناسبة تتجلى فيها بعض الاعتقادات التي كانت تحمل في طيتها موروثا من التعبير الرمزي، وكان أبرزها "الطقس المعروف ب "تاغنجا" أو "تاسليت أونزار" أي عروس المطر، الذي يعد من أقدم الشعائر الاستسقائية، و يهدف إلى استمطار السماء حين تكون الأرض والمحاصيل مهددة بالجفاف والتلف وشح المياه[37]."

مارس المغاربة معتقدات أخرى خلال فترة القحط، وخصوصا ببلاد جبالة بالشمال بخروج رجال القرية حفاة بأطفالهم وشيوخهم مع اعتماد طقوس تنتهي بذبح بقرة سمينة في ملك عائلة معينة، يحدد لها ثمن رمزي ، وأخذ كل واحد نصيبه من الوزيعة[38]. وكانت معظم هذه الطقوس في جوهرها جملة رموز عكست جزءا من البنية الذهنية المغربية في بحثها عن سبل الخلاص من الأزمات وتداعياتها.

2. تدبيرالنزاع حول الماء

2.1 دورالعرف المحلي

أنتجت النزاعات حول الماء أعرافا وأنظمة استغلال مكنت من اقتراح حلول للصراعات الفردية والجماعية حول الموارد المائية والتي اتخذت أشكال مختلفة كان أبرزها النزاع بين سكان العالية وسكان السافلة، والذي غالبا ما اقترن بالتوتر بين الجبل والمدينة، كما هو الشأن بالنسبة لفاس وتازة في علاقتهما بالمرتفعات المحيطة بهما [39].ويعد نظام النوبة من أنظمة الاستغلال العرفية والتي تشكلت نتيجة تجارب متعددة، واختلفت من منطقة لأخرى، بل من ساقية لأخرى[40]. وهذا النظام هو الفترة الزمنية التي تستفيد فيها قبيلة أو مجموعة قبائل من ماء الساقية أو غيرها [41].

وتناولت مختلف الأنظمة العرفية حلولا للنزاعات المرتبطة بتقسيم الماء وأساليب التعامل بين الشركاء، كما ميزت بين المياه الممتلكة ومياه السيول. ومن نماذج الحلول وأساليب التدبير التي تضمنتها هذه الأنظمة:

1.1.2تقسيم مصادر الماء:

هناك مصدران لمياه الري، مصدر ينتمي للخواص يقع في أراضيهم وأملاكهم، ومصدر ينتمي للجماعة وهو في الغالب منبع يمد مجاري المياه(إيسافن)[42]. وبالنسبة لطريقة الاستفادة من مياه هذين المصدرين، فالمنبع الواقع في الملك الخاص لصاحب الأرض بشكل مطلق له الحق في استعماله كما يحلو له، ويمكن أن يستفيد جيرانه من المجرى المملوء إلى حد الفيضان دون مقابل. أما المياه الجماعية، فتوزع على المستفيدين حسب حاجياتهم[43].

وهناك أنظمة أخرى للتقسيم سادت بمجال الواحات، فندرة الماء بهذا المجال جعلت ملكيته عند قبائل القصور لا تقل أهمية عن ملكية الأرض وباقي الأملاك العقارية الأخرى[44]. ووفق هذه الأهمية ظهرت عدة أشكال لملكية الماء يمكن إجمالها في: **ملكية فردية** تخضع لكل الإجراءات الشرعية والقانونية التي تخضع لها الممتلكات الأخرى، من حيث التوريث والبيع والشراء والرهن والكراء. أما **الملكية الجماعية**، والتي تعني ملكية القبيلة بكامل أفرادها لمصدر الماء، والذي يتم توزيعه حسب الدور، ويبدأ السقي من عالية الساقية إلى سافلتها[45]. ومكنت هذه الأشكال من التقسيم في تدبير النزاعات حول الماء خاصة في فترة الندرة.

2.1.2الاستفادة من الماء وفق نظام "النوبة"

اعتمد توزيع الماء بعدة مناطق من المغرب على أعراف محلية استندت على ما عرف بنوبة الماء، وهي الفترة التي تستفيد فيها قبيلة أو مجموعة قبائل من ماء الساقية. وفي الكثير من السواقي اختصت عائلة بعينها بنوبة الماء (عائلة القواد المحليين وأصحاب الزوايا) [46]. وقد تعددت طرق توزيع الماء داخل النوبة واختلفت من ساقية لأخرى، بل من مصرف لآخر. كما اختلفت من الملكية الجماعية للماء إلى الملكية الفردية[47].

وبالنظر لدور نظام النوبة في التوزيع العادل للماء، فقد توافق اعتماده مع الضوابط الشرعية، و اعتبره فقه النوازل حلا للنزاعات القائمة حول مصادر المياه، ويمكن الاستدلال في هذا الشأن بأجوبة فقهية حول قضايا توزيع الماء من بينها سؤال عن قوم بينهم نزاع على قسمة الماء الهابط إلى الوادي،(48) وكان جواب الزياتي أن" الماء في أصله غير متملك لأحد، لكن القوم الذين رفعوا الساقية منه يسقون أرضهمالأول، ثم الذي يليه، هكذا إلى آخر أرضهم. وليس لغيرهم أن يدخل معهم إلا أن يسقي حتى يفرغ القوم الذين هبطوا إليه، وليس لأحد أن يبيع الحظ الذي يسقي به أرضه[...] لأنه لا يملكه، إنما يمتلك الانتفاع الذي هو السقي (49)." وهذا الجواب الفقهي هو ضابط شرعي يستحضر العرف ويراعي قيمته ومكانته في التشريع.

2.2الحلول الشرعية للنزاعات حول مصادر الماء

نالت النزاعات حول الماءوالحفاظ عليه نصيبها من الفتاوى، فقد شكلت نوازل المياه موضوعا أساسيا داخل كتب النوازل، وأشارت للمشاكل التي كانت تثار بسبب قسمة الماء وتوزيعها وأساليب استغلالها، واعتبرت الأجوبة الفقهية من الحلول والآليات المعتمدة لتجاوز الخلافات والأفعال الضارة بالموارد المائية.

ولجأ الفقهاء من خلال ما طرح عليهم من نوازل وقضايا السلوك الاستهلاكي إلى تتبع هذا السلوك، ووزنوه بمقاييس الشريعة الإسلامية.ومن بين القضايا التي عالجوها خلال العصر الحديث مسألة الخـــروج عن حـد الاعتدال فيالاستهـلاك، حيث تصدوا للظـاهـرة،(50) وأجوبتهم حول مشاكل المياه عبرت عن هذا الموقف، وأصبحت بمثابة قواعد شرعية وعرفية يتم الرجوع لها في حالة تجدد الخلافات، وفي نفس الوقت عُدَّت بمثابة ضوابط تربوية تنشر قيم ومبادئ الحفاظ على الموارد المائية وحمايتها. ومن نماذج آليات حل النزاعات وترشيد وتدبير الماء المستخلصة من الإجابات الفقهية:

1.2.2 ضوابط حل النزاعات حول حيازة المياه والانتفاع بها

استند الفقهاء بالغرب الإسلامي على المرجعية الشرعية والعرفية، لضبط المشاكل المرتبطة بالماء، وخاصة ما تعلق بحيازة المياه والانتفاع بها. وقد وفرت الإجابات الفقهية حلولا أصبحت بمثابة ضوابط وقواعد لتنظيم استغلال الماء والانتفاع به، ومن نماذج ذلك:

استند الفقهاء بالغرب الإسلامي على المرجعية الشرعية والعرفية، لضبط المشاكل المرتبطة بالماء، وخاصة ما تعلق بحيازة المياه والانتفاع بها. وقد وفرت الإجابات الفقهية حلولا أصبحت بمثابة ضوابط وقواعد لتنظيم استغلال الماء والانتفاع به، ومن نماذج ذلك:

أ . تقسيم المياه بين الأعلون والأسفلون: كانت مياه السقي موضوع نزاع بين الفلاحين، واعتمد الفقهاء على الشرع والعرف المحلي والحجج للفصل في هذه النزاعات. ومن بين الأجوبة الفقهية المقدمة في هذا الشأن:

ـ إذا ثبت أن الماء الذي يسقي به القوم أملاكهم متملك، فهو بينهم على الحظوظ. أما إذا كان غير متملك، وإنما هو من الأودية، فحكمه أن يسقي به الأعلى، ولا حق للأسفل حتى يسقي الأعلى [51].

ـ التساوي في الماء بين الأعلى والأسفل في حالة الغرس في وقت واحد، والأفضلية للأعلى قبل الأسفل إذا كانت له أولوية في الغرس. وإن كان غرس الأسفل قبل الأعلى، انعكس الأمر، فيكون الأسفل أحق بمقدار كفايته [52].

ب . أحكام الاستفادة من المياه: ضمنت الأجوبة الفقهية حقوق مختلف الفئات في الانتفاع بالماء،[53] كما استحضرت مبدأ رفع الضرر، إذا تأكد حدوثه ببينة بهدف حماية الموارد المائية وترشيد استغلالها، وأعطت الأولوية للشرب والزراعة، ولهذا نجد أن كل النزاعات بين أصحاب الأرحي وأهل الجنات تنتهي لصالح المزارعين [54].لكون الفقهاء كانوا يعتبرون أصحاب الجنات أحق بسقيهم لجناتهم من أصاب الأرحية [55].

2.2.2 ضوابط حماية وتنظيف مصادر المياه

طرحت النوازل الفقهية بالغرب الإسلامي قضايا كنس وتنظيف موارد المياه، سواء كانت موارد غير ممتلكة كالأودية أو ممتلكة بشكل مشترك كالآبار والسواقي. ومن بين القواعد الأساسية

التي حددتها الإجابات الفقهية في هذا الصدد، هي أن عملية التنظيف والكنس تتحدد وفق مسؤولية تلويث الماء والمنفعة المائية كذلك [56].

كما أن عملية كنس وتنظيف الآبار والعيون كانت لها قوانينها الخاصة، والمستندة بشكل أساسي على عدم المساس بملكية المياه وأنظمة السقي [57]. ولكن في حالة ما إذا عرف مسبب الضرر، فهو المسؤول عن عملية الكنس والتنظيف. فقد أورد الونشريسي في إحدى إجاباته الفقهية عن نازلة تعذر الشرب من وادي مصمودة والحاجة إلى كنسه، أنه "إذا عين من طرح الزبل فيه، وتعين موضعه، أمر بإزالته وكنسه، لأنه من الضرر الذي يجب رفعه[58]."

انطلاقا من هذه النماذج، يتضح أن إجابات النوازليين حول مشاكل وقضايا الماء مكنت من ضبط حقوق مختلف الأطراف، وترشيد استغلال الماء والحفاظ عليه. وجسدت كذلك تجانسا بين المرجعية الشرعية والعرف المحلي في حل الخلافات المستجدة.

خاتمة:

إجمالا نعتبر موضوع الماء وتدبير ندرته وإيجاد حلول للنزاعات حوله ليس مرتبطا بالماضي فقط، لكنه جزء لا يتجزأ من الحاضر، ويمكن أن تكون حلول الأمس منطلقا لبناء حلول وتدابير لحل النزاعات حول مصادر الماء وكذلك تدبير ندرته حاليا، وذلك استرشادا بتجارب تاريخية في هذا الشأن والتي تجسدت في التفاعل والرغبة في إيجاد حلول للأزمات القائمة والذي كان يسود بين مختلف الأطراف وخصوصا فئة العامة وباقي الفئات الخاصة الممثلة تحديدا في الحاكم والفقيه، باعتبارهماالفئتين المعنيتين أكثر بتدبير آثار أزمنة الحاجات.

وحضور كل طرف ومشاركته في تدبير الحلول كان أولا بغايات مركبة مجسدة في اتقاء شر أزمة ندرة الماء وخطرها، والتي لم تكن تميز بين الخاص والعام، وثانيا بهدف الحفاظ على مكانته ومكاسبه، فكثيرا ما كان غياب أحد الأطراف (الحاكم ـ الفقهاء ــ الزوايا) في المشاركة في تدبير الأزمة يجر عليه اللوم والمحاسبة التي قد تفضي إلى إنهاء دوره السياسي أو الديني.

الهوامش:

(**1**) محمد حبيدة، " الماء فيتاريخ المغرب: التقنية والتنظيم ملاحظات حول القرنين 17 و18م" ، سلسلة ندوات ومناظرات، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بعين الشق بالدار البيضاء(المغرب)، العدد11، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م، ص130.

(**2**) . محمد حبيدة، م.س، ص 130.

(**3**) . الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة 2، الرباط، 1983، ص133.

(**4**) . روبير أسبينيون، أعراف قبائل زايان، ترجمة محمد أوراغ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص44.

(**5**)- Robert Montagne « Un Magazin Collectif de l'Anti Atlas : l'agadir des lkounka » tome IX, 2eme – 3eme trimestres, librairie larose, paris, 1929, p 163 .

(**6**) -Robert Montagne « Un Magazin Collectif de l'Anti Atlas : l'agadir des lkounka »op.cit,p 200 .

(**7**). جان موكي، أسفار الرحالة الفرنسي جان موكي إلى المغرب و لبنان و سورية و فلسطين، ترجمة عبد الغني أبو العزم، مطبعة فضالة، المحمدية،2003، ص 32.

(**8**) . فرناند بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وإيجاز مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1993، ص51.

(**9**) . الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص57.

(**10**) . أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17- مطلع القرن 20م) ، مطبعة صونير، الدار البيضاء، 1994، ص37.

(**11**) . الحسن الوزان، م.س، ج1، ص58.

(**12**) ـ نفسه.

(**13**) . الوزان، م.س، ج2، ص148-149.

(**14**) . سعاد الحكيم ، المعجم الصوفي: الحكمة في حدود الكلمة، دندرة الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1981، ص 827.

(**15**) . محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة 1، بيروت، 1983، ص101.

(**16**). محمد الضعيف، تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الطبعة الأولى، الرباط، 1986ص63.

(**17**) . عبد الرحمن ابن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1993ص 60.

(**18**) – German Mouette , Histoire de Moulay Ismail, Les sources Inédites de l'histoire du Maroc :Archives et Bibliothèques de France, Par H. De Castries, Tome II, la deuxième série – Dynastie filalienne , Edition Paul Geuthner, Paris,1924,p 126.

(**19**) . القادري، التقاط الدرر، م.س، ص227.

(**20**) . ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973، ص 398.

(**21**) . ابن أبي زرع، روض القرطاس، م.س، ص 398

(**22**) . الضعيف، تاريخ الضعيف، م.س، ص63.

(**23**) . محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، الجزء4، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1978، ص266.

(**24**) . الضعيف، تاريخ الضعيف، م.س، ص183.

(**25**) . نفسه.

(**26**) . حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان و عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، 1987، ص55.

(**27**) . ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، م.س،ص 398.

(**28**) . القادري، نشر المثاني، الجزء2، م.س، ص 311.

(**29**) . ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، م.س، ص 398.

(**30**) . أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي(ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1997، ص 468.

(**31**) . أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي(ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، م.س، ص 89 . 90.

(**32**) . أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية: دورها الاجتماعي و السياسي،الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989، ص19.

(**33**). أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، م.س، ص19.

(**34**) . محمد المختار السوسي، المعسول، الجزء السادس، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960ص181.

(**35**) . عبد الله معصر، ضوابط الاستهلاك في الفقه الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، السنة الجامعية 1998-1999 دار الحديث الحسنية، الرباط، مرقونة، ص314..

(**36**) . محمد فتحة، النوازل الفقهية و المجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى القرن 9هـ / 12 . 15م) منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية عين الشق بالدار البيضاء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999، ص286.

(**37**) . محمد أوسوس، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2007، ص7.

(**38**) . محمد الأمين البزاز ، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 18، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1992.ص 351.

(**39**) . عبد الرحمن المودن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995، ص 368.

(**40**) ـ أحمد البوزيدي، التاريخ الإجتماعي لدرعة(مطلع القرن17م ـ مطلع القرن20م) مطبعة صونير، الدار البيضاء، 1990م، ص 293.

(**41**) ـ ن.م، ص 295 . 296.

(**42**) ـ روبير أسبينيون، أعراف قبائل زيان، ترجمة محمد أوراغ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2007، ص142.

(**43**)ـ روبير أسبينيون، أعراف قبائل زيان، م.س، ص143.

(**44**)ـ أحمد البوزيدي، التاريخ الإجتماعي لدرعة، م.س، ص 292.

(**45**)ـ نفسه.

(**46**)ـ أحمد البوزيدي، التاريخ الإجتماعي لدرعة، م.س، ص ص 295-296.

(**47**)ـ نفسه.

(**48**)ـ عبد العزيز الزياتي، الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، دراسة وتحقيق غيثة عطوي، رسالة لنيل شهادة الماجستير بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بجامعة قسنطينة2، ج2، 2013م، مرقونة، ص321.

(**49**) ـ الزياتي، الجواهر المختارة، م.س، ص322.

(**50**)ـ عبد الله معصر، ضوابط الاستهلاك في الفقه الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، السنة الجامعية 1998-1999 دار الحديث الحسنية، الرباط، مرقونة ، ص314.

(**51**) ـ ن.م، ص 380.

(**52**)ـ عبد الله معصر، ضوابط الاستهلاك في الفقه الإسلامي، م،س، ص 11.

(**53**) ـ الزياتي، الجواهر المختارة، م.س، ص297.

(54) ـ محمد فتحة، النوازل الفقهية و المجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي(من القرن6 إلى القرن 9هـ / 12 ـ 15م) سلسلة الأطروحات و الرسائل، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالدار البيضاء، 1999م، ص 367.

(**55**)ـ أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج8، 1401هـ/ 1981، ص385.

(**56**)ـ محمد لمرابي علوي، " قضايا الماء في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتب النوازل الفقهية: المعيار للونشريسي كنموذج" ، الماء في تاريخ المغرب، سلسلة ندوات و مناظرات، العدد11، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بعين الشق بالدار البيضاء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م، ص 61.

(**57**)ـ نفسه.

(**58**)ـ الونشريسي، المعيار، ج8، م.س، ص30.

المصادر والمراجع:

أ ـ بالعربية:

ـأوسوس، محمد، دراسات في الفكر الميثي الأمازيغي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،2007م.

ـ البزاز، محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 18، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1992م.

ـ البوزيدي، أحمد، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17– مطلع القرن 20م) ، مطبعة صونير، الدار البيضاء، 1994م.

ـ بوكاري،أحمد، الزاوية الشرقاوية: دورها الاجتماعي و السياسي،الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989م.

ـ التادلي(ابن الزيات)، أبي يعقوب يوسف بن يحيى، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1997م.

ـحبيدة، محمد، " الماء فيتاريخ المغرب: التقنية والتنظيم ملاحظات حول القرنين 17 و18م" ، سلسلة ندوات ومناظرات، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بعين الشق بالدار البيضاء(المغرب)، العدد11، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م.

ـ الحكيم، سعاد، المعجم الصوفي: الحكمة في حدود الكلمة، دندرة الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1981م.

ـ جان موكي، أسفار الرحالة الفرنسي جان موكي إلى المغرب و لبنان و سورية و فلسطين، ترجمة عبد الغني أبو العزم، مطبعة فضالة، المحمدية،2003م.

- روبير، أسبينيون، أعراف قبائل زايان، ترجمة محمد أوراغ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007م.

- ابن زيدان، عبد الرحمن، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1993م.

- الزعفراني، حاييم ، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان و عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، 1987م.

- الزياتي، عبد العزيز، الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، دراسة وتحقيق غيثة عطوي، رسالة لنيل شهادة الماجستير بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بجامعة قسنطينة2، ج2، 2013م، مرقونة.

- السوسي،محمد المختار، المعسول، الجزء السادس، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960

- الضعيف، محمد، تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الطبعة الأولى، الرباط، 1986م.

- الفاسي، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973م.

- فتحة،محمد، النوازل الفقهية و المجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى القرن 9هـ / 12 . 15م) منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية عين الشق بالدار البيضاء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م.

- فرناند بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وإيجاز مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1993م.

- القادري، محمد بن الطيب ، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة 1، بيروت، 1983م.

ـ ـــــــ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، الجزء4، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1978م.

ـــلراني علوي، محمد، " قضايا الماء في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتب النوازل الفقهية: المعيار للونشريسي كنموذج" ، الماء في تاريخ المغرب، سلسلة ندوات و مناظرات، العدد11، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بعين الشق بالدار البيضاء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م.

ـ معصر،عبد الله، ضوابط الاستهلاك في الفقه الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، السنة الجامعية 1998-1999 دار الحديث الحسنية، الرباط، مرقونة.

ـ المودن، عبد الرحمن، البوادي المغربية قبل الاستعمار، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995م.

ـ الوزان، الحسن، وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة 2، الرباط، 1983م.

ـ الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلسوالمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج8، 1401هـ/ 1981م.

ب ـ بالفرنسية

– German Mouette , Histoire de Moulay Ismail, Les sources Inédites de l'histoire du Maroc :Archives et Bibliothèques de France, Par H. De Castries, Tome II, la deuxième série - Dynastie filalienne , Edition Paul Geuthner, Paris,1924

دور الولاية الرابعة في دعم وتنظيم الولاية السادسة 1956– 1959.

The role of the fourth state in supporting and organizing the sixth state 1956-1959.

د. أحمد عصماني(*) [1]

جامعة البليدة 2- لونيسي علي

ahamdosmani30@gmail.com

أ. الحبيب سالم[2]

جامعة البليدة 2- لونيسي علي

Salemelhabib95@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/14 تاريخ القبول: 16 /2021/06 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

عند ما أقر قادة الثورة المجتمعون في مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 بضرورة العمل على اتساع رقعة الثورة نحو الجنوب وتأسيس الولاية الثورية السادسة، كنوا يدركون مدى حاجة هذه الولاية الجديدة إلى إمكانيات بشرية ووسائل مادية في مرحلتها الأولى، ولهذا تقرر تعيين علي ملاح على رأسها ودعمها بالجنود والأسلحة من قبل الولايتين الثالثة والرابعة، ذلك أن الولاية السادسة كانت في حاجة ماسة إلى أبنائها في الكفاح ضد الاستعمار فجندت من رأته قادرا على ذلك خاصة أولئك الذين تلقوا تكوينا عسكريا في صفوف الجيش الفرنسي أو خاضوا حروبا سابقة، بيد أن الولاية السادسة وجدت بعض الصعوبات في إيجاد أرضية من التفاهم بين الجنود المحولين والجنود المحليين مما نتج عن ذلك نوع من التناحر والتقتيل، وعليه كان يتعين على قادة الولاية الرابعة التدخل وتقديم الدعم لها وإرجاع الأمور إلى نصابها حتى تتمكن الولاية السادسة من الاستمرار في نشاطها ولعل أهمية هذه الدراسة تكمن في بلوغ الأهداف التالية:

(*) **أحمد عصماني: ahamdosmani30@gmail.com**

-تبيان العلاقات الثورية التي كانت قائمة بين الولايات التاريخية على وجه العموم وحجم وطبيعة العلاقة التي سادت الولايتين الرابعة والسادسة.

-الوقوف على مدى تفاعل قادة الولاية الرابعة مع الحاجات الملحة التي كانت تسود الولاية السادسة مثل إعادة التنظيم الثوري بها.

-مدى مساهمة الولاية السادسة إلى جانب الولاية الرابعة في القضاء على الحركات المناوئة للثورة. وتجسيد الكفاح المشترك.

الكلمات الدالة: الولاية الرابعة، مؤتمر الصومام، الولاية السادسة، الدعم العسكري.

Abstract:

When the leaders of the revolution gathered at the conference of Sommam on August 20 1956, recognized the necessity of working on expanding the area of the revolution towards the south. The establishment of a sixth revolutionary wilaya, they were aware of the extent to which new wilaya needed human capabilities and material means in its first stage, and for this it was decided to appoint Ali Mallah at its head and support it with soldiers and weapons by the third and fourth wilayas, because the sixth wilaya was in dire need of its sons in the struggle against colonialism, so it recruit those who saw it capable of that, especially those who had received military training in the ranks of the French army or who had participated in previous wars. But they found some difficult to find a formula of understanding between the transferred soldiers and the local soldiers, which resulted in a kind of fighting and killing, in this case the fourth wilaya had to penetrate for support so that the sixth wilaya would continue its activities.

Perhaps the importance of this study enables the following objectives:

-Explain revolutionary relations that existed between the historical states in general, and size and nature of the relationships that prevailed in the fourth and sixth states.

-Determining the extent to which the leaders of the fourth state interacted with the pressing needs that prevailed in the sixth term, such as the revolutionary reorganization in it.

-the extent of the contribution of the sixth state, in addition to the fourth in the elimination of opposition movements and the embodiment of common struggle.

Keywords: The fourth state; the conference of Sommam; Sixth term; Military support.

____

1. مقدمة:

عندما اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954 كانت وظلت تتسم بالقيادة الجماعية ونبذ الزعامة التي أدت بالحركة الوطنية إلى أزمة خانقة انتهت بالبدء في الكفاح المسلح دون وحدة أجنحتها، بيد أن الإعداد الجيد الذي قام به مفجرو الثورة في التنظيم والتخطيط والتنسيق للتصدي للقوات الاستعمارية قد أبان على مدى إيمان قادة جبهة التحرير الوطني في تضامن الشعب الجزائري وتآزره وتلاحمه ضد الاحتلال الفرنسي،مثلما تجلت صور التضامن والنجدة في عدة وقائع من ذلك هجومات 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني التي شنها الشهيد زيغود يوسف تضامنا مع المناطق الثورية الأخرى وفي مقدمتها الأوراس التي تعرضت لحصار شديد من قبل القوات الاستعمارية ،وهناك الاستنجاد بكومندوس علي خوجة الناشط بالولاية الرابعة في كل من الولاية الأولى والسادسة والثالثة والذي قام بمهام بطولية، فضلا عن المخاطر التي باتت الحركة المصالية تحملها أمام تقدم النشاط الثوري أمام القوات الاستعمارية، وعليه صار التعاون بين الولايات الثورية ودعم هذه لتلك أمرا مقضيا، فإلى أي مدى ساهمت الولاية الرابعة في دعم وتنظيم الولاية السادسة التي ظهرت بعد مؤتمر الصومام ؟

2. من المنطقة الرابعة إلى الولاية الرابعة:

كان المجتمعون الذين عقدوا مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 قد قرروا إعادة تنظيم المناطق الثورية وتحويلها إلى أشكال جديدة سميت بالولايات والتي صارت تتضمن أُطراً وهياكل تنظيمية جديدة تبعا لتطور النشاط الثوري ومتطلبات المرحلة التي كانت تقتضي إعادة تنظيم وهيكلة المسار الثوري وفق رؤية جديدة تراعي التحولات السياسية والعسكرية وحتى الدبلوماسية التي تزامنت مع تطور الثورة في الداخل والخارج، وما دمنا نتناول المقاومة الثورية في الولاية الرابعة كان يتعين علينا

الوقوف على تنظيمها العام على ضوء قرارات مؤتمر الصومام قبل الوقوف على أشكال الدعم الذي قدمته للولاية السادسة.

1.2. التنظيم العام في الولاية الرابعة:

مثّل المنطقة الرابعة في مؤتمر الصومام كل من عمار أعمران ،سليمان دهيليس (سي الصادق) وأحمد بوقرة (سي أمحمد) وعلى ملاح (سي الشريف) مسؤول ناحية سور الغزلان، وقسمت المنطقة الرابعة التي صارت ولاية بموجب قرارات هذا المؤتمر إلى المناطق الآتية :

المنطقة الأولى: التي تمتد شرق العاصمة؛ حيث تشمل جبال بوزقزة والزبربر وتابلاط، وكانت من أهم مدنها: الأربعاء، مفتاح، باليسترو (الأخضرية)، عين بسام، الثنية، الرويبة، برج الكيفان، الحراش، وكان على رأس هذه المنطقة القائد علي خوجة.

المنطقة الثانية: وكانت تضم سلسلة الأطلس البليدي وجبال شرشال وسهل متيجة والساحل وكانت من أهم مدنها: البليدة، المدية، البرواقية، بوفاريك، القليعة، موزاية، العفرون، حجوط، شرشال، عين البنيان، الشراقة، بئر الخادم، وكان على رأس هذه المنطقة الشيخ الطيب الجغلالي.

المنطقة الثالثة: هذه المنطقة ضمت جبال الظهرة وزكار والونشريس وسهل الشلف، ومن أهم المدن بها: ثنية الحد، مليانة، الخميس، عين الدفلى، تنس، الأصنام (الشلف حاليا)، تيسمسيلت، المهدية، وكان قائد هذه المنطقة في أوائل جانفي 1957 الشهيد محمد عليلي "سي البغدادي" فالولاية الرابعة بمناطقها الثلاث تحتوي على 12 ناحية و48 قسما.

وفي جويلية 1958 قسمت المنطقة الثالثة إلى منطقتين، وذلك لدوافع تنظيمية، وهاتان المنطقتان يحدهما تارة خط الطريق الوطني (الجزائر–وهران) ومجرى وادي الشلف تارة أخرى، فالجزء الجنوبي لهذا الخط عرف بالمنطقة الثالثة، وصار الجزء الشمالي للمنطقة الرابعة التي ضم إليها جزء من الناحية الثالثة[1] من المنطقة الثانية، وبذلك نجد الولاية بمناطقها الأربع تضم 15 ناحية و57 قسما، وبهذا تم إنشاء منطقة خامسة وسادسة منذ عام 1959، حيث أصبحت الولاية في هذه المرحلة 1959–1962 تضم ست مناطق، حيث المنطقة السادسة (الجزائر العاصمة) التي توجد ضمن الولاية جغرافيا وهي تابعة لها نظاميا[2].

وبخصوص الوضعية التي شهدتها الولاية الرابعة بين عامي 1956–1958 على مستوى التنظيم الداخلي والعسكري الذي عكفت عليه القيادات الجديدة من قيادة الولاية إلى مستوى الأقسام لترجمة القرارات التي حددها مؤتمر الصومام على أرض الواقع؛ فقد استطاعت الثورة خلال السنتين اللتين أعقبتا مؤتمر الصومام استكمال غرس نظامها في كامل التراب الوطني بما فيه الولاية الرابعة(3).

رغم امتلاك العمل الثوري لهياكل تنظيمية سياسية وعسكرية، إلاّ انه ظل يعاني من جملة من النقائص كانت أهمها: تداخل الصلاحيات في المناصب السياسية والعسكرية(4) ،إلى جانب ظهور بعض الحركات المعارضة لجبهة التحرير الوطني والتي كانت على رأسها الحركة الوطنية الجزائرية المعروفة بالحركة المصالية بزعامة محمد بلونيس(5) إضافة إلى محاولة الشيوعيين تكوين جيش أسسه وتزعمه المدعو كوبيس(6) والذي استطاع جيش التحرير الوطني تفكيكه والقضاء عليه، وهكذا فابتداء من عام 1957 امتد العمل الثوري بشقيه السياسي والعسكري في أوساط الشعب الذي كان بالفعل جوهر وروح الثورة في مواجهة الاستعمار الفرنسي.

أصبح نظام جبهة التحرير الوطني في الولاية الرابعة ابتداء من سنة 1957 باستطاعته تطوير العمل السياسي وتنظيم العمل الثوري بصورة شاملة، فرغم القمع الشديد والاعتقالات وعمليات اختطاف المناضلين الأمر الذي بعث في بعض الأحيان جوا من الحذر والفشل المحسوس الذي ألقى بظلاله على الشعب الجزائري، ومع هذا فإن الشعب وجبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني بالولاية الرابعة لم يتوقفوا أبدا عن إزعاج العدو في العاصمة وممارسة الضغط عليه فيها وحتى في متيجة والساحل وضواحي العاصمة وإرغام المسئولين العسكريين على التمسك بنظام منع التجول طيلة سنة 1958 وحتى الاستقلال(7).

كان على رأس قيادة الولاية الرابعة في هذه الفترة من عمر الثورة التحريرية العقيد سي أمحمد بوقرة(8) الذي امتازت فترة قيادته للولاية بحركة تطهيرية واسعة لبعض المشكوك في أمرهم من المسئولين الجزائريين وخاصة المثقفين منهم، وهو ما عرف بالتطهير والتصفية؛ وهي نفس الشكوك التي كانت تساور عميروش في ولايته على أن هناك اختراقا من طرف الفرنسيين للثورة عن طريق

عملاء لها داخل التنظيم السياسي والعسكري، وانتهى هذا الحال باستشهاد العقيد سي أمحمد بوقرة بعد شهرين من استشهاد عميروش وسي الحواس في يوم 5 ماي 1959 في ظروف غامضة(9).

3. مؤتمر الصومام وظهور الولاية السادسة:

تعتبر الولاية السادسة أكبر الولايات التاريخية التي أقرها مؤتمر الصومام عام 1956 مساحة وأقساما ومناخا وأغناها معادن، وهي تتشكل حاليا من الولايات الإدارية التالية: المسيلة، الجلفة، الأغواط، غرداية، تمنراست، إليزي، ورقلة، الوادي، بسكرة، أدرار وتكاد تغطي 4/5 المساحة الكلية من التراب الوطني، وقد وضعتها الدوائر الفرنسية ضمن الأقاليم العسكرية لكل من جنوب عمالة قسنطينة وجنوب عمالة التيطري وذلك بمقتضى قانوني(10). كما جعل مؤتمر الصومام على رأس هذه الولاية القائد علي ملاح وهي منطقة متقايسة مع الولاية الرابعة وتعد منطلقا لتصميم الثورة بالجنوب، وتضم أربع مناطق و16 ناحية و64 قسمة.

وبهذه المساحة أصبحت لها حدود مشتركة مع كثير من الولايات التاريخية تحدها الولاية الأولى من الناحية الشرقية والولاية الثانية من الناحية الشمالية والولاية الرابعة من الشمال الغربي والولاية الخامسة من الناحية الغربية والجنوب الغربي ودولتان إفريقيتان (11) مالي والنيجر، وبذلك فالولاية تتميز بالتموج في سطحها والتنوع في مناخها والتذبذب في أمطارها والتخصص في الغطاء النباتي، ومما يلاحظ كذلك اجتياز الهضاب العليا أو السهول المرتفعة بعض البحيرات المالحة وتعرف بالشطوط أوسعها شط الحضنة الذي تليه مجموعة من السلاسل والكتل الجبلية المتقطعة لتشكل الأطلس الصحراوي المشهور بحافاته الشديدة الانحدار والتقطع في كتله، وتمثله جبال لأوراس التي تعد قمة شيليا أعلى قممها 2348م، ثم جبال الزاب وأولاد نايل وجبال العمور، فضلا عن الكتل الرملية المتمثلة في كتلة الهقار الكبيرة في الجنوب الشرقي من الصحراء والتي تبلغ قمتها 2918م وتعد أعلى قمة في الجزائر(12).

1.3. انطلاق الثورة في الولاية السادسة:

لم تمض الستة أشهر الأولى من اندلاع الثورة حتى امتد لهيبها عبر جبال وقرى الناحية الصحراوية وانضم سكانها في صفوف جيش التحرير الوطني، وأصبحت الثورة متواجدة في مدن وقرى وأعراش الناحية، وتفيد الروايات والشهادات التي أدلى بها كل من العقيد عمر أوعمران والرائد عمر صخري

أن مناضلي بوسعادة جاءوا إلى باليسترو (لخضرية) طلبا للجهاد والسلاح، منهم ابن عبد القادر دلاوي وزيان بن إبراهيم وعمراني... وقال لهم أوعمران :"لا يوجد عندنا سلاح وخذوا قادوما واقطعوا أعمدة التليفون"، وفعلا نفذوا العملية وفي الغد صرح القائد العسكري "الفلاقة في بوسعادة "[13]

والحقيقة أن المنطقة الرابعة (الولاية الرابعة) التي كان أوعمران أحد قادتها كانت الأسلحة التي انطلقت بها في أول نوفمبر 1954 بسيطة للغاية جلها من الأسلحة القديمة من مخلفات الحرب العالمية الثانية ومع ذلك لا يتجاوز عددها 30 قطعة [14] ولكن نظراً لكون هذه الأسلحة ذات جنسيات مختلفة فقد طرح على المنطقة- نتيجة هذا التنوع- مشكل الذخيرة لمختلف هذه الأسلحة، وكان عليها أن تفكر في حل جذري للتغلب على هذا المشكل ولم يكن أمام المنطقة الرابعة سوى اللجوء إلى العدو للحصول على احتياجاتها من السلاح والذخيرة بواسطة هجومات جيش التحرير الوطني على مراكزه وثكناته ونصب الكمائن والاشتباكات مع قواته، ولكن الجيش الاستعماري تفطن لذلك ووضع خطة جهنمية بحشده الذخيرة الحربية بمادة بلاستيكية شديدة الانفجار ودسها داخل الخراطيش العادية بحيث تنفجر الخراطيش بمجرد الضغط على زناد البندقية أو الرشاشة على وجه المجاهد فيموت أو يشل، ولم يكتف الجيش الاستعماري بذلك ولكنه ذهب إلى أبعد من ذلك؛ حيث أصبح يسهل عملية تسريب الذخيرة الحربية المفخخة بأساليب مختلفة ليحارب بها جيش التحرير الوطني بطريقة غير مباشرة ولمجابهة هذا الوضع أنشأت المنطقة وحدات خاصة تتولى الكشف عن الذخيرة المفخخة وكانت عملية الكشف تتم بطريقة بدائية نظرا لانعدام وسائل وأجهزة الكشف لدى المنطقة، ومع ذلك أعطت قيادة المنطقة أوامر للمجاهدين بعدم استعمال الذخيرة الحربية قبل فحصها من قبل المصلحة الخاصة بذلك "[15] .

وقد أكد السيد عمر أوعمران أن عملية حصول جيش التحرير الوطني على السلاح من الجيش الفرنسي من خلال الحديث الذي أدلى به إلى الصحافي والكاتب الفرنسي روبير بارة(Robert Barrât)[16]. ومما ورد فيه على الخصوص"لم يكن من الضروري أبدا أن نجتاز بضعة آلاف من الكيلومترات في الصحراء لنأتي بالسلاح، إن سلاحنا نأخذه من عند الجنود الفرنسيين أنفسهم (...)إننا على الرغم من أننا نقابل جيشا عصريا يستعمل في مواجهته لجيش التحرير

المصفحات والدبابات والطائرات...فإن العسكريين الفرنسيين لم يتمكنوا من التغلب علينا ولن يستطيعوا هم أنفسهم أن يزعموا هذا الزعم، فتفوقنا عليهم هو أننا في بلادنا وأن السكان معنا".

ومما يبين الأهمية التي كانت تعطى لعملية السلاح هو كون الذين كانوا يرغبون في الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني يشترط عليهم أن يأتوا بأسلحتهم أو يفتكوها من العدو بأنفسهم زيادة على القيام ببعض العمليات فيما بعد كعملية الفرز، وبالتالي فإن السلاح يعتبر أهم من الشخص نفسه؛ حيث كانت طلبات الراغبين في الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني تتزايد ولكنها كانت ترفض في معظمها لعدم توفر السلاح، وأحيانا كان عدد من الملتحقين بصفوف جيش التحرير الوطني يبقون –اضطراريا– لفترة ينتظرون الحصول على السلاح من طرف إخوانهم المسلحين أثناء الكمائن والاشتباكات والمعارك مع قوات العدو[17] وتدل الوقائع والأحداث والشهادات أن سكان الولاية السادسة هم الذين كانوا يبحثون عن الانضمام للثورة حسب شهادة أوعمران[18] ومن ثمة فالولاية كانت حاضرة ومتواجدة قبل انعقاد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 الذي رسم وجود الولاية السادسة (الصحراء) وبالتالي فإن المؤتمرين صححوا وضعا أفرزه النضال اليومي والصمود الجماهيري[19].

على إثر اندلاع معركة الجزائر عام 1957 واستشهاد القائد محمد العربي بن مهيدي وانتقال لجنة التنسيق والتنفيذ إلى تونس والمغرب سافر القائد سي الحواس إلى تونس، وهناك تم تعيين حدود الولاية السادسة وأخذت شكلها النهائي مطلع 1958، ويعد هذا التنظيم محورا هاما في الثورة ونقطة اتصال مباشر مع العديد من الولايات منها الولاية الرابعة جنوب عين بسام، البرواقية، قصر البخاري، بئر اغبالو[20].

4. الولايتان الرابعة والسادسة في مواجهة خطر الحركات المعادية:

تندرج هذه الحركات المعادية ضمن الحركات المناوئة للثورة التي خططت لها السلطات الفرنسية لإجهاضها وتفجيرها من الداخل في المحاولة للقضاء عليها واتخذت أشكالا مختلفة وحملت أسماء متعددة من ضعفاء النفوس والحاقدين على الثورة والشعب الجزائري؛ أمثال بلحاج الجيلالي المدعو

كوبيس في الولاية الرابعة والشريف بن سعيدي أحد المساعدين المقربين للعقيد علي ملاح الذي تآمر على هذا الأخير واغتاله ومحمد بلونيس زعيم الحركة المصالية بالولاية السادسة[21].

1.4. تصفية الحركة المصالية في الصحراء:

بدأت خيوط المؤامرة في منطقة القبائل واختبر محمد بلونيس أحد مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية الذي أدخل السجن ضمن المشبوهين الذين اعتقدت فرنسا في البداية أنهم مفجرو الثورة في 1954 وفي السجن وجدت سلطات الاحتلال في بلونيس ضالتها وبدأ العمل مع المخابرات الفرنسية تحت غطاء حركة مصالي لتضليل الشعب وإبعاده عن مهمته السامية[22] وتروي شهادة المجاهدين عمر صخري[23] والطيب فرحات[24] أن بلونيس بعث إلى القائد زيان عاشور[25] يستعطفه في تقديم المساعدة بادعائه التعرض للاضطهاد والقمع والمطاردة من طرف القبائل وما كان من الشيخ زيان أن راسل القائد الحواس يستفسره الأمر بحكم التنسيق القائم بينهما، وقبل أن يصل رد الحواس القاضي بضرورة التأكد من حقيقة الأمر واختبار نواياه ومراقبة حركاته وتصرفاته وتعامله مع المواطنين شرع بلونيس في إنشاء تنظيم تابع له[26] وهو يعلم أن المنطقة تابعة للشيخ زيان، كما بدأت تظهر منه بعض التصرفات المنافية لمبادئ الثورة والقيم الأخلاقية وإزاء هذه الأعمال كلف القائد زيان مساعده عمر إدريس[27] لمحاربته والتصدي له ومن ثمة القضاء عليه.

لقد شكل جيش بلونيس بمناطق الولاية السادسة خاصة المتاخمة لحدود الولاية الرابعة خطرا كبيرا على الثورة، فحسب محمد صايكي أحد ضباط الولاية السادسة الذي يقول: "لم تكن عملية الاتصال بالجبهة بالأمر الهين لأن منطقتنا (سور الغزلان) كانت تعج بالمصاليين، الأمر الذي حال دون تحقيق ما كنا نرجوه ولقد بدأنا حينها نشعر بصعوبة العمل الثوري وخطورته وأن التهاون فيه لا يرحم[28] انتشرنا في الجبل واجتمعنا بالشعب من أجل تبليغ رسالة الثورة، ولكن للأسف تم التبليغ عنا للقوات الفرنسية، ويعود سبب ذلك لازدحام المنطقة (حد الصحاري) بالمصاليين بالدرجة الأولى، وعلى رأسهم بلونيس؛ حيث كانوا يعملون مع القوات الفرنسية وكانوا يروجون عنا إشاعات يصفوننا فيها بكوننا مجرد عصاة متمردين وشرذمة من قطاع الطرق"[29].

كان المصاليون متواجدين بالأربعاء، رويبة، باليسترو(لخضرية حاليا) دوار الريش (بالقرب من البويرة)، الونشريس (تقع من جهة الشلف)، وداي بن عياد (في أولاد دريس ديرة)، سيدي عيسى... إلى جانب المصاليين هناك البلحاجيين نسبة إلى قائدهم بلحاج جيلالي المدعو كوبيس وأصله من عين الدفلى (زدين) كان يحمل شخصتين؛ واحدة تمثل الاستعمار الفرنسي والثانية تزعم قيادتها للثورة وفي عام 1957 كثف مواجهته ضد جيش التحرير الوطني(30).

2.4. التواطؤ الفرنسي مع الحركة:

لم يبخل الفرنسيون في دعم هذه الحركة ومدها بكل ما تحتاجه من سلاح وعتاد وتأطير وحماية واختيار مواقع التمركز مقابل محاربة جبهة التحرير الوطني وكشف خلاياها وتنظيماتها وطرق تمويلها(31) وبعد لقاء بني سليمان في 31 مارس 1957 بين بلونيس وضابط من المخابرات الفرنسية قادما من الجزائر وضع تحت تصرفه رجل المخابرات المدعو ريكول وفرقة من الكومندوس إلى جانب عدد كبير من الجزائريين المدربين على التعامل مع المخابرات ممثلين في الزرق بالعاصمة وأعوانه القدماء وتجنيد العناصر المصالية من مختلف أنحاء الوطن، كما سمح له بفرض التجنيد الإجباري على الأعراش بمعدل 60 فردا لكل عرش وفرض الضرائب عليهم، واختارت له بلدة "حوش النعاس" لموقعها وقربها من المطار العسكري الذي يضمن له التغطية بالطيران والمظليين(32) ولتأطير هذه الحركة عمدت إلى اختيار ضباط معروفين بتجربتهم في حرب العصابات، ويعمل الجميع تحت إشراف الجنرال سالان والجلاد لاكوست، وفي بلدة حوش النعاس أصبح بلونيس جنرالا(33) سلم له سالان العلم الجزائري يقود جيشا قوامه 12 ألف وسعيهم في ذلك أن الجزائر حصلت على استقلالها الداخلي، وما بقي إلا بعض الضالين من جبهة التحرير المرتبطة بالشيوعية يجب التصدي لهم ومحاربتهم(34).

عرفت المنطقة الجنوبية- عقب استشهاد زيان عاشور في 7 نوفمبر 1956 وغياب عمر إدريس وبعض المسئولين الذين انتقلوا إلى المغرب للقاء لجنة التنسيق والتنفيذ من أجل الاطلاع عن كثب على نتائج مؤتمر الصومام ومقرراته هزة عنيفة عمقها التنافس على القيادة والردة لبعض قادة الكتائب الذين كانوا يتمتعون بسلطة بين جيوشهم وأعراشهم(35).

أصبحت قوات بلونيس –بعد عودة عمر إدريس من المغرب في أواخر 1957 مزودا بكتيبتين من الولاية الخامسة– بين شقي رحى، فحوصرت من الغرب بقوات عمر إدريس ومن الجنوب والشرق بقوات سي الحواس وأعطت هذه الخطة ثمارها بإلحاق الهزيمة بحركة بلونيس في جبال مناعة، بوكحيل، النسنيسة، الميمونة، أكجيلة ...إلخ.

3.4. التدخل العسكري للولاية الرابعة:

كانت الولاية الرابعة تملك من جهتها كومندوسا قويا تناوب على قيادته العديد من الرجال وأنجز أعظم الأعمال الثورية بالولاية أمام القوات الاستعمارية العاتية، مما جعله محط انشغال الجيش الفرنسي الذي سعى جاهداً من أجل القضاء عليه دون جدوى، فاجتازت نشاطاته حدود الولاية الرابعة وساهم في القضاء على الصعوبات وحل بعض المشاكل التي طرأت بالولايتين الأولى والسادسة والتي كادت تضعف النشاط الثوري بهما من ذلك:

أرسلت الولاية الرابعة اثنين من وحدات الكمندوس الأول (سي محمد) إلى الولاية الأولى في بداية عام 1959 بغية تسوية المنشقين والمشوشين، وأما الثاني والمعروف بكومندوس سي جمال والذي كان يقوده سي العربي فأرسلته إلى الولاية السادسة لإنهاء رجال بلونيس وكذا عناصر خليفته مفتاح[36].

للإشارة أن الكومندوس الذي توجه إلى الولاية الأولى لتنفيذ مهمته التي كان قد تعهد بأدائها من أجل تطهير البلاد من العملاء قد خاض عدة اشتباكات ضد المنشقين والقوات الفرنسية، وإن معظم الجنود الذين خرجوا لتلك المهمة قد استشهدوا في ميدان الشرف بناحية منعة (تقع من جهة الأوراس) [37]

وبموافقة سي الحواس قائد المنطقة السادسة عين سي أمحمد في أول سنة 1959 كومندوس سي جمال لمحاربة طائفة بلونيس لما لهذا الكومندوس من خبرة وحنكة في التخطيط العسكري المضاد للقوات الفرنسية وللعناصر البلونسية، ولقد تمكنت هذه الوحدة العسكرية أيضا من إسقاط طائرة نفاثة بعد اشتباك عنيف خاضته ضد الجيش الفرنسي وتمكنت من كسر شوكته، حيث كبدته خسائر في الأرواح والعتاد وجرح من صفوفها أربعة واستشهد أربعة آخرين، ولكن هناك حدث مؤلم غير المجرى المسطر للمهمة المذكورة ويتمثل في استشهاد القائدين سي الحواس وعميروش اللذين كانا

متوجهين إلى تونس لملاقاة مسئولي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، ولقد أسر عندئذ قائد كوموندوس سي جمال في ذلك الاشتباك الشهير الذي نشب بمكان يقع بين بوسعادة والجلفة ويرجع سبب الانهزام إلى صعوبة تلك المسالك وقساوة الأراضي الجنوبية[38]

والواقع أن الولاية الرابعة؛ رغم بدايتها المتعذرة في بداية الثورة بسبب قلة السلاح، إلا أنها صارت تمتلك جيشا مدججا بالسلاح دون خوف أو رهبة أو أدنى تردد، وهذا ما وقف عليه المجاهد محمد صايكي إذ يقول بعد دخوله رفقة مجموعة من الجنود التابعين للولاية السادسة إلى الونشريس التابعة للولاية الرابعة عن جيش التحرير الوطني:"ولاحظنا امتياز جيش التحرير الوطني في ناحية الونشريس بالولاية الرابعة بالقوة والتنظيم والانضباط مما زادنا في الشجاعة والإيمان"[39].

5. **تولي إعادة تنظيم الولاية السادسة:**

عين علي ملاح بقرار من مؤتمر الصومام –رغم معارضته الشديدة اعتلاء أي منصب مهما كان شأنه– مسئولا فأسندت له مهمة قيادة الولاية السادسة ووضعت تحت تصرفه فرقة مكونة من 35 مجاهدا بقيادة علي زيوش، وكانت مهمة تلك الفرقة الاتصال بعناصر المصاليين وإقناعهم بضرورة الالتحاق بالثورة، أدت الفرقة واجبها بعد انتقالها إلى نواحي الصحراء، لكن ما إن تناهى خبر تحويل طائرة زعماء الثورة الخمسة حتى انقض المصاليون على أفراد الفرقة وقتلوهم جميعا، ظنا منهم أن الثورة انتهت بانتهاء الزعماء إلى السجن ولم ينج من بين 35 مجاهدا إلا واحدا حمل الخبر الأليم إلى قيادة الولاية الرابعة [40].

كما تعتبر الولاية السادسة– التي ظهرت مع الشروع في تنفيذ قرارات مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956 قصد توسيع رقعة الثورة إلى أقصى الجنوب– قليلة الثوار بالمقارنة مع بقية الولايات والتي تم تعيين علي ملاح المدعو سي الشريف على رأسها هذا الرجل المناضل منذ عام 1946 ينحدر من منطقة القبائل ذو وجه دائري، شديد الوداعة، صاحب عينين محارتين وبابتسامة تلامس الطفولة تم اختياره ليس بسبب ماضيه الممدوح ولكن لورعه ورأفته وحفظه للقرآن الكريم؛ وهي صفات ومميزات قد تخدمه لدى سكان الجنوب، يقول الرائد عز الدين عنه: "علي ملاح الذي التقيت به لأول مرة بالزبربر عندما كنت في فترة نقاهة قد أثر في نفسي بتواضعه ولطافته التلقائية والتزامه الصارم، كان مصحوبا بكثير من الجنود التابعين للولاية الثالثة"[41].

لذلك قامت الولايتان الثالثة والرابعة معا بدعم الولاية السادسة بفرق من الجنود الذين لم يكونوا على دراية بعادات وتقاليد هذه المناطق المتاخمة للصحراء، فسكان هذه المناطق كانت لهم تقاليد اجتماعية وثقافية متميزة ونساؤهن لا يخرجن أبدا على خلاف نساء القبائل اللواتي يخرجن بكل حرية، تعمل الواحدة منهن مع الرجال جنبا إلى جنبا، عكس رجل المنطقة التي لا تخرج زوجته من بيتها، وكان يضع ثلاثة أو أربعة كلاب لحراستها حتى لا يقترب رجل غريب من بيته، وأن هذا الوضع الخاص هو الذي جعل البعض يرتكب أخطاء، ومرد ذلك حسب البعض لابتعاد مركز القيادة عن الولاية السادسة إذ كان يقع في الولاية الرابعة بعيدا عن سي ملاح هذا الشيء جعله يبتعد عن متابعة الأحداث بالمنطقة، وكانت المنطقة الأولى من الولاية السادسة تتمتع بأمكنة إستراتيجية؛ مثل برج خريص (عبارة عن غابة كثيفة تتسع من سور الغزلان إلى ما بعد جرجرة) وللمكانين المذكورين حدود مع الولاية الثالثة والأولى، ولئن وضع مركز الولاية السادسة في هذه الأمكنة المذكورة لما استطاع الشريف بن سعيدي اغتيال مجاهدينا وعلى رأسهم علي ملاح على حد قول محمد صايكي[42].

كما التحقت في شهر مارس 1957 قوة تعدادها سبعون مجاهدا بقيادة (سي أحسن) ونائبيه بلعيد والزوبير قادمة من الولاية الثالثة لدعم قوات الولاية السادسة إلى جانب قوة أخرى يقودها (الروجي)[43]، هذا الرجل صاحب جسارة ووجه مغربل (Criblé) مع شعر براق كان برتبة نقيب حوّل إلى الولاية السادسة كإجراء عقابي له، كان فضا، غليظ القلب، تنقصه اللباقة، محتقرا لغيره، ويبدو أنه ضعيف تجاه النساء، وهذا الأمر يعد من المحرمات لدى سكان القرى، وبدا عاجزا عن التكلم باللغة العربية وإقامة علاقات ثقة مع السكان، وفرض عليهم طاعة من حديد، لم يكن سكان الجنوب يملكون ثروة سوى حصانهم وبندقيتهم وشرفهم ولم يتجرؤوا على الشكوى من الاستفزازات التي باتوا يتلقونها من هذا المدعو الروجي، وراح الغضب من خلفه يتعاظم ومباينة البدو صوبه تتضاعف[44].

1.5. قضية شريف بن سعيدي:

يعتبر شريف بن سعيدي من مواليد دشرة أولاد العقون، عرش أولاد السلطان، بلدية السواقي (بولاية المدية حاليا) شارك لعدة سنوات في حرب الهند الصينية، رجع إلى أهله عام

1956 فرأى قادة الثورة فيه عنصراً مؤهلا نظراً لخبرته في استعمال الأسلحة المختلفة وبراعته في فنون القتال العديدة وكان إذ ذاك ضابط عون فحسب، وعندما أدخل في صفوف جيش التحرير ارتقى بسرعة إلى درجة مسئول عسكري للمنطقة نائبا للروجي أحد ضباط الثورة ينحدر من منطقة القبائل(45).

في هذا الإطار كُلف الضابط الروجي بتنسيق العمليات العسكرية ضد المصاليين، إنه رجل معجب بقوته جمع حوالي 300 رجل من الولاية السادسة ووضعهم تحت تصرف أوامر الملازم الشريف بن سعيدي وضرب الروجي موعدا له في مكان على مسافة 15 يوما من السير، فخورا بقيادته للجند قفز الشريف بن سعيدي على ظهر حصانه دون أن يراعي أي اهتمام لحمايته وسبق جنوده وفي أثناء السير التقطت طائرة حربية (T6) صورة للقافلة فشرعت في إطلاق النار، وقد نجا الشريف بن سعيدي ورجاله من المجزرة وتمكنوا من التراجع إلى نقطة الانطلاق، كانت هذه القافلة البائسة متجهة نحو جبل بوكحيل من خلال ناحية ليس فقط مستوية فحسب ولكنها كانت منكشفة، كان جيش التحرير الوطني بصدد تلقي ضربة موجعة لمعنويات الجنود الذين لم يكن باستطاعتهم فعل شيء ضد قصف الطيران كان من الأفضل تقسيم الوحدات إلى أفواج صغيرة وإرسالها الواحدة تلو الأخرى تفصلها مسافات منتظمة، عقب تلقي الروجي للخبر رد على الناجين باستفزاز قائلا لشريف بن سعيدي: "اجمع جبناءك واستأنف الطريق" فرفض بن سعيدي أوامر الروجي مستغلا هذه الأخطاء البسيكولوجية التي ارتكبها هذا الأخير، وتوجه الشريف بن سعيدي إلى المخلصين من رجاله المحيطين به قائلا: "إن القبائل يتصرفون كأنهم أسيادنا الجدد لماذا قبلنا أوامر القبائل ؟ لا نتحرر من الاستعمار الفرنسي باستعمار آخر!"(46).

شرع القائد علي ملاح في تأسيس نواة الثورة بالولاية السادسة على أن يكون مقر قيادته في جبل اللوح، فاستدعى الضابط ابن سعيدي والمجاهد الروجي ليشرفا معه على عملية البناء فاغتنمها ابن سعيدي وطلب من الروجي أن يصاحبه إلى مكان هذا الاجتماع رفقة بعض أفراد عائلته وعشيرته من قرية "العذاورة"، ولما وصل الجميع إلى مكان يسمى "كرمة " مابين الولاية الرابعة والسادسة قام ابن سعيدي باغتيال رفيقه الروجي غدراً وكلف أحد مرافقيه أن يطلق زنده النار لإيهام القيادة بأنهم سقطوا في كمين قتل فيه الروجي ونجا فيه هو بعد أن أصيب في زنده، هذا بعد

ما أقنع أتباعه بأن ملاح والروجي وكل من يقاتل معهما مجرد غزاة لمنطقتهم جاؤوا لاحتلالهم معتمدا في ذلك على أسلوب إثارة الفتنة والشقاق بين أبناء المناطق المجاورة(47).

عقب اغتيال الضابط الروجي وخيرة إطارات الولاية من أمثال (سي أحسن وبلعيد والزوبير) راح ابن سعيدي يفكر في اغتيال قائد الولاية علي ملاح (سي الشريف) اتفق الرجلان على أن يجتمعا في قرية السيوف غرب "دراق" وهنالك غدر ابن سعيدي بالقائد على ملاح وكاتبه عبد الحميد واغتالهما جبنا، ثم استدعى بعض من تركهم في الولاية السادسة يترقبون القائد ملاح فأوقعهم في فخ الغدر وذبحهم جميعا لولا نباهة الجندي عبد الرحمان طهطوه الذي فرّ في ظروف صعبة وأخبر سي أمحمد قائد الولاية الرابعة بكل تفاصيل الوضع، فكتم سي أمحمد الخبر ولم يطلع عليه سوى الطيب الجغلالي والحاج عيسى(48).

2.5. رد فعل قادة الولاية الرابعة:

لم يبق أمام قادة الولاية الرابعة أمام هذه المأساة التي حلت بقيادة الولاية السادسة مكتوفي الأيدي فتحركوا وسعوا إلى إعادة الأمور إلى نصابها خاصة وأن شمال الولاية السادسة يعد قاعدة خلفية للولاية الرابعة، وعليه قدم سي أمحمد رفقة سي لخضر والكومندوس علي خوجة إلى مكان يدعى السواقي (تقع مابين جواب والبرواقية) ففي شهر ماي 1957 قام العقيد سي أمحمد قائد الولاية الرابعة رفقة الرائد سي لخضر بعمليات جد ذكية أدت إلى إحباط وتبديد نشاط المشاغبين والمنشقين عن الثورة(49).

اتصل سي أمحمد بابن سعيدي وحدد له موعدا بأولاد العقون (المسماة بأولاد السلطان دشرة ابن سعيدي) ليتم اللقاء بعين المكان وعندما شرع سي أمحمد في استجواب ابن سعيدي خاصة عن سلسلة الاغتيالات التي سجلت في المنطقة لم يجد ابن سعيدي شيئا يترع به من الجحيم الذي أوقعه فيه سي أمحمد عن طريق أسئلته المتتالية لا سيما عندما جعل يستدرجه ببطء وحكمة من حيث لا يحتسب، وكان ابن سعيدي قد اتصل (سابقا) بالسلطات الفرنسية؛ حيث أبلغهم عن ذلك الميعاد وذلك مكره ودهائه، مما جعله يعتذر للحاضرين عن مواصلة الجلسة بحجة دخول وقت العشاء حينها سارع رجل من شيعته ليخبره أنه قد استرق السمع وأن سي أمحمد قد أخبر رفقاءه منذ لحظات بالقبائلية أنه سيقضي على ابن سعيدي بعد وجبة العشاء، الشيء الذي لم يكن ينتظره

ابن سعيدي لذا لاذا على إثرها بالفرار إلى مكان مجهول وبذلك انتصر سي أمحمد وأثبت لأنصار ابن سعيدي خيانته للثورة وعقب هذه الحادثة انضمت المنطقة الأولى من الولاية السادسة إلى الولاية الرابعة وسميت على إثرها بالمنطقة الرابعة كان ذلك في حدود جويلية 1957 وكان على رأسها سي عبد اللطيف بن يحي مسئول (شهيد من سيدي عيسى) محمد القاضي عضو من العاصمة، الحاج بن عيسى (شهيد من العمارية) سي مسعود عسكري (شهيد من لخضرية)(50).

بعد ثبوت خيانة بن سعيدي للثورة التحق مع أنصاره بالجيش الفرنسي، ومن ذلك التاريخ حدثت اشتباكات عنيفة قرب الكاف لخضر غير بعيد عن أولاد السلطان بين كومندوس علي خوجة والقوات الفرنسية التي انضم إليها ابن سعيدي ورجاله، وقد تكللت تلك العمليات بالنجاح؛ حيث استرجع الأهالي ثقتهم بالجيش وزادهم ذلك يقينا بالثورة وإيمانا بالاستقلال(51).

3.5. اتخاذ قرارات تنظيمية لصالح الولاية السادسة:

بما أن شمال الولاية السادسة عرف خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 1957–1959 فترة اضطراب سياسي وعسكري فإن ذلك جعل العقيد أحمد بوقرة يتدخل لحل مشاكل تلك المنطقة بالطرق التالية:

أ. الدعم السياسي: وتضمن العنصرين الآتيين:

1. إلحاق المنطقة الأولى من الولاية السادسة بالولاية الرابعة سنة 1957 ففي شهر جويلية 1957 حدث تغيير هام ويتمثل في تقسيم المنطقة الأولى التابعة للولاية السادسة إذ ضمت للولاية الرابعة وسميت بالمنطقة الرابعة، وتضمنت ثلاث نواحي وهي: الناحية الأولى (سور الغزلان) الناحية الثانية (سيدي عيسى) الناحية الثالثة (البرواقية) وحظيت كل ناحية بكتيبة خاصة بها؛ وهي كتيبة الناحية الأولى تسمى الحاكمية ،والثانية تسمى زبانة، والثالثة تسمى بالجلولية، أما مسئول المنطقة فكان يسمى عبد اللطيف خريج الكلية العسكرية المصرية، وكان في نفس الوقت شاعرا ثوريا(52). ثم منطقة خامسة عام 1959 بهدف هيكلتها ضمن مناطق الولاية الرابعة، وبذلك تم القضاء على مشكل الزعامة بها الذي أثاره الشريف بن سعيدي بمساعدة أتباعه من نواحي شلالة العذاورة بعد تصفية القائد علي ملاح ومساعديه ما بين 20 و 26 مارس 1957.

2. تزويد الولاية السادسة بالإطارات المسيرة، ومن بينها العقيد الطيب الجغلالي ومساعدوه وفي مقدمتهم أحمد باشن قصد إعادة تنظيم هياكل الولاية السادسة، إلا أنه لم يدم طويلا في منصبه وتعرض لمكيدة دبرها له بعض مسئولي الولاية السادسة راح ضحيتها العقيد الجغلالي ورفقاؤه وكانوا قرابة 15 إطاراً لتدعيم المناطق الأخرى(53).

ب. الدعم العسكري:

كما ذكرنا آنفا؛ فإنه عقب استشهاد علي ملاح قاد العقيد أمحمد بوقرة مسئول الولاية الرابعة فرقا عسكرية بمساعدة الرائد سي لخضر ودعم كومندوس علي خوجة بقيادة سي عز الدين وبفضل هذا الدعم أعيد الاستقرار للمنطقة وتم إبعاد الخونة والتشهير بهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى وباتفاق بين العقيدين بوقرة وسي الحواس أرسلت الولاية الرابعة للولاية السادسة سنة 1959 كومندوس سي جمال بقيادة سي العربي بهدف محاربة جيش بلونيس المدعم من قبل الجيش الفرنسي واستطاع جيش التحرير الوطني من دحض جيش بلونيس وخاصة في معركة 09 مارس 1959 إلا أن استشهاد العقيدين عميروش وسي الحواس في 29 مارس 1959 حال دون مواصلة كومندوس سي جمال لمهامه بعد أن ألقي القبض على سي العربي قائد الكومندوس(54).

6. خاتمة: ومما سبق نخلص إلى الآتي بيانه:

– إن علاقة الولاية الرابعة بالسادسة ميزها التعاون في إطار ما يمليه مبدأ الكفاح المسلح، وطبقا لما نصت عليه قرارات مؤتمر الصومام، ومن مظاهر التعاون بين الولايتين تقديم الولاية الرابعة المساعدة والدعم الضروريين للقضاء على الحركات المناوئة التي انتشرت شمال الولاية السادسة حيث تدخلت الولاية الرابعة لمحاربة المصاليين في المنطقة الأولى من الولاية السادسة وإبعادهم عن العداوة للثورة والتفاوض معهم على التعاون المشترك ضد قوات الاحتلال وسياسته المطبقة في المنطقة، ولكن المصاليين غادروا بهم بعد الإعلان عن اختطاف الطائرة التي كانت تقل بعض زعماء الثورة في 22 أكتوبر 1956.

– إن الوضعية التي كانت عليها الولاية السادسة هي التي منحت لابن سعيدي فرصة الترقية إلى أعلى المراتب؛ حيث صار ضمن الستة أو السبعة الأوائل من المسئولين في الولاية، لقد توترت علاقته مع بعض المسئولين ونمت فيه فكرة اغتيالهم سيما وأن خصومه كانوا من المجاهدين السابقين

للولاية الثالثة، فعمد إلى تصفيتهم على أساس عرقي، ونشير هنا إلى أن شريف بن سعيدي قد احتفظ برتبته بعد استسلامه لقوات الجيش الفرنسي، وعندما اقتضى الأمر في استعماله في القوة الثالثة رقي إلى رتبة عقيد.

– إن قيادة الثورة كانت جماعية وموحدة وولاياتها متداخلة، فرغم التنظيم الهيكلي الذي أقره مؤتمر الصومام ورسم بمقتضاه بروز الولاية السادسة وعين على رأسها علي ملاح الذي ينحدر من الولاية الثالثة (القبائل)، فإن مثل هذه التعيينات سبق وأن حدثت في بداية الثورة مع القائد بوجمعة سويداني الذي ينحدر من المنطقة الأولى (الشرق) وعين بالمنطقة الرابعة شأنه شأن عمر أوعمران الذي ينتمي للمنطقة الثالثة، كما عين على رأس المنطقة الثانية ديدوش مراد وهو ينتمي إلى منطقة العاصمة، والعربي بن مهيدي على قيادة المنطقة الخامسة وهو من الشرق الجزائري، وعندما كانت الولاية السادسة في حاجة لدعم باقي الولايات وجدت المساندة والتدخل الضروريين لدى جارتها الشمالية الولاية الرابعة.

– إن اغتيال بعض قادة الثورة؛ كالمجاهد الشيخ الطيب الجغلالي بالولاية السادسة أو المجاهد علي بن مسعود بالولاية الرابعة لا يعني أن روح الانتقام قد سادت قيادة الولايتين، وإنما الأمر قد يعود إلى بعض الأخطاء أو تقدير بعض المواقف الحاسمة المستعجلة، وقد يكون السبب الرئيسي في هذه الاغتيالات إلى دسيسة استعمارية خبيثة حتى يقع الثوار في فخ التقتيل والتناحر فيما بينهم وإفشال المخطط الثوري.

– كانت الولاية السادسة في مرحلتها الأولى مثل الشخص الحديث العهد بنشاطه، فهو معرض للعثرات وارتكاب الأخطاء وقد يصبح في حاجة إلى شخص آخر حتى يعيد له توازنه وثقته بنفسه في مواجهة الظروف الصعبة والأخطار المحدقة به وهكذا كانت الولاية الرابعة إزاء الولاية السادسة قبل أن تكبر هذه الأخيرة وتسيطر على حدودها الثورية المترامية الأطراف.

الهوامش:

1– المنظمة الوطنية للمجاهدين. المنظمة الوطنية للمجاهدين: تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل وقائع وأحداث الثورة في الولاية الرابعة تقرير سياسي 20 أوت 1956 نهاية 1958، ج1، جبهة التحرير الوطني ص ص 8-9.

2- المنظمة الوطنية للمجاهدين : تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة (الولاية الرابعة) تقرير سياسي فترة 1959-1962 ،ص ص 5-16.

3-المنظمة الوطنية للمجاهدين: تقرير الملتقى الجهوي المقدم إلى الملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة (الولاية الرابعة) تقرير سياسي فترة 20 أوت 1956-نهاية 1958، **جبهة التحرير الوطني**، ص 10.

4-Mohamed Harbi, **Les archives de la révolution algérienne**, Ed Jeune Afrique, Paris, 1981, pp235-240.

5-مناضل قومي من أعيان برج منايل، كان قد برز في الانتخابات البلدية في أكتوبر 1947، حيث هزم خصومه في حركة انتصار الحريات الديمقراطية. للمزيد ينظر:

Mohamed Teguia **; l'Algérie en guerre**, O P U. Alger, 1988.

6-اسمه بلحاج جيلالي ومعروف باسم كوبيس ،أصبح فيما بعد عميلا للاستخبارات الفرنسية أسس جماعات مسلحة معادية لجبهة التحرير الوطني ،اغتاله أنصاره التي اخترقتهم الولاية الرابعة عام 1958 وكان عضوا سابقا في المنظمة الخاصة .للمزيد ينظر:

Mohamed Harbi ; **Le FLN mirage et réalité, Des origines a la prise du pouvoir (1945-**1962) ENAL ,Alger (Sans date).

7-المنظمة الوطنية للمجاهدين الملتقى الوطني الرابع، (20أوت 1956-نهاية 1958)، المصدر السابق، ص 19.

8- سي امحمد (أحمد بوقرة): عضو حركة انتصار الحريات الديمقراطية ،التحق منذ شهر نوفمبر 1954 بالثورة ،مساعد سياسي 1955 ورائد عام 1956 وعقيد 1957 ،كان دائما في القيادة السياسية لولاية الجزائر ،شارك في مجلس مابين الولايات في ديسمبر 1958 ،سقط شهيدا في 5 ماي 1959 في دوار أولاد بوعشرة. للمزيد ينظر: أحمد بن جابو: **دور سي أمحمد بوقرة في الثورة الجزائرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2001/2000، ص 71.

9- لخضر بورقعة: **شاهد على اغتيال الثورة**، تحرير الصادق بخوش، دار الحكمة، الجزائر، ط 1، 1990، ص 07. المصدر السابق، ص 19.

10- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص 275.

11- الهادي درواز: **الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع (1954–1962)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 19.

12- حليمي عبد القادر: **جغرافية الجزائر**، دمشق، 1968، ص48.

13- درواز، المرجع السابق، ص27.

14-مداخلة الرائد عمر صخري بمناسبة ذكرى الشهيد علي بن مسعود بوسعادة 1996.نقلا عن درواز، المرجع السابق، ص 45.

15- محمد عامر: "في حديث حول السلاح" لمجلة **الباحث**، الصادرة بالجزائر في تاريخ جويلية 1987 عدد خاص بمناسبة الذكرى 25 للاستقلال، ص 124.

16- بورقعة، المصدر السابق، ص 20.

17- **المقاومة الجزائرية** الصادرة بالمغرب (الطبعة الثانية) في تاريخ 1956، عدد4، ص 3.

18- الهادي درواز: **عملية التسليح، حوار حول الثورة**، الجزء الأول الجزائر المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام 1986. ص 23.

19- مداخلة صخري في **إحياء استشهاد عمر إدريس**، القنطرة 1997. نقلا عن درواز:الولاية السادسة التاريخية، المرجع السابق، ص 114.

20- درواز، الولاية السادسة التاريخية، المرجع السابق، ص 114.

21-نفس المرجع، ص 116.

22- شهادة المجاهد لخضر بورقعة في ندوة **إحياء ذكرى الشهيد على ملاح** بالمتحف الوطني للمجاهد 1998.

23-بورقعة، المصدر السابق (شهادة) 1998.

24- الملتقى الجهوي الثاني بسكرة 1985، لكتابة تاريخ الثورة 5-9 فيفري 1987.

25-نفس المصدر.

26-زيان عاشور من مواليد 1919 بالبيض ولاية بسكرة في زاوية الرملية عين الملح درس علوم الشريعة في أولاد جلال جند في الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية دخل السجن عدة مرات قبل الثورة ،وعند خروجه من السجن في عام 1955 سارع إلى ناحية بوسعادة لتنظيم الثورة عينه الشهيد بن بولعيد قائدا عاما على الناحية الغربية (بوسعادة والجلفة) ،استشهد في معركة ضارية مع العدو بجبال خلفون في 7 نوفمبر 1956. للمزيد ينظر: درواز ، الولاية السادسة التاريخية،المرجع السابق، ص120. 39- الملتقى الجهوي الثاني، (بسكرة 1985) المصدر السابق.

27- عمر إدريس من مواليد 1931 بالقنطرة ولاية بسكرة التحق بسلاح المدفعية عام 1951 انخرط في الحركة السياسية مبكرا في الكشافة ثم مناضلا في حركة الانتصار التحق بالثورة في 1955 حضر اجتماع العقداء مع الحواس ،رائد عسكري أسره العدو في معركة جبل ثامر لكثرة جراحه استشهد تحت التعذيب في 7 جوان 1959 بالجلفة. للمزيد، للمزيد ينظر: درواز،الولاية السادسة التاريخية، المرجع السابق، ص 120.

28- محمد صاكي: **مذكرات النقيب شهادة ثائر من قلب الجزائر**، دار الأمة، الجزائر، ط 2، 2003، ص29.

29-نفس المصدر، ص ص 39-40.

30-نفسه، ص 41.

31-الملتقى الجهوي الثاني بسكرة 1985.

32-نفس المصدر.

33-درواز الولاية السادسة التاريخية، المرجع السابق، ص 121.

34-نفس المرجع، ص121 .

35- المنظمة الوطنية للمجاهدين: تقارير ملتقى **الحركات المناوئة للثورة (بلونيس)** 17-19جوان 1995.

36-صايكي، المصدر السابق، ص 235.

37- حسين آيت إيدير:**كومندو علي خوجة، الولاية الرابعة، الناحية الأولى، ذكريات مجاهد**، منشورات الجزائر للكتاب، الجزائر، 2012، ص ص 91- 107.

38- صايكي، المصدر السابق، ص 236.

39-نفس المصدر، ص 45.

40-بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، المصدر السابق، ص 92.

41- Cdt Azzedine ; **Les Fellagas**, Ed ENAG, Alger .1997, p113.

42-صايكي المصدر السابق، ص 234.

43-بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، المصدر السابق، ص 92.

44-Cdt Azzedine, op cit, p113.

45-صايكي، المصدر السابق، ص 235

46- نفس المصدر، ص 236.

47-بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، المصدر السابق، ص 92.

وحسب رواية صايكي، ففي اليوم الثاني أو الثالث من شهر أفريل 1957 نصب رجال بن سعيدي كمينا ضد النقيب "الروجي" بمكان يسمى كرمة شيحة (Chiha Kermat) إذ كانا متوجهين إلى مركز الولاية ولقد نجا الشريف بن سعيدي صاحب الكيد وأصيب في ذراعه ربما برصاصة يكون قد وجهها له النقيب الروجي الذي استشهد إثر جراحه البليغة ،واصل بن سعيدي مشواره الدنيء وراح يعدم الرائد جوادي عبد الرحمان وكافة الإطارات والجنود المنتمين إلى منطقة القبائل ونصب نفسه نقيبا في دواره الكائن بأولاد سلطان (تقع بعين بوسيف) ،ولم يبق في المنطقة إلا علي بسامي (المعروف بسنوسي محمد) وضابط وسياسي المنطقة الذي يبدو أنه انتقل إلى الولاية الرابعة لإعلام قادتها بملف ابن سعيدي حيث تم إبطال الإشاعات التي كانوا يبثونها في أوساط الناس والقائلة بأن هناك فرقا بين العرب والقبائل وهي سياسة فرنسية محضة تسعى لتفريق بين أبناء الشعب الواحد. للمزيد ينظر: صايكي، المصدر السابق، ص ص229-231.

48- بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، المصدر السابق، ص93.

49-صايكي، المصدر السابق، ص 231.

50-نفس المصدر، ص232.

51-نفسه، ص233.

52-نفسه، ص48.

53- غير أن الأستاذ قاسم سليمان قد أكد في مقال له تحت عنوان:"تصفية قيادات الجلفة أثناء الثورة مؤامرة مستوفاة الأركان" أن قضية القائد الطيب الجغلالي بمنطقة الجلفة رآها المجاهدون أمرا حتميا خاصة حسب بعض المصادر التاريخية فإن الجغلالي كان له اتصال مع الجيش الفرنسي، مما استدعى محاكمته وإعدامه ليكون سببا في إعدام علي بن مسعود أحد مجاهدي الجلفة من طرف الولاية الرابعة فيما بعد. للمزيد ينظر:

EL-khabar.com/press/articles/11634.

54-بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، المصدر السابق، 92.

قائمة المصادر والمراجع:

1/ المصادر:

أولا) المصادر المطبوعة (الكتب):

1- آيت إيدير حسين، **كومندو علي خوجة الولاية الرابعة الناحية الأولى، ذكريات مجاهد**، (الجزائر: منشورات الجزائر للكتاب، 2012)

2- بورقعة لخضر، **شاهد على اغتيال الثورة**، (الجزائر: دار الحكمة، 1990).

3- تونسي مصطفى، **من تاريخ الولاية الرابعة سيرة أحد الناجين**، (الجزائر: دار القصبة للنشر، 2012).

4- درواز الهادي، **الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع (1954–1962)**، (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2002).

5- صايكي محمد، **مذكرات النقيب شهادة ثائر من قلب الجزائر**، (الجزائر: دار الأمة، 2003).

6- المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر**، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984).

ثانيا) الشهادات الحية والتقارير في الملتقيات:

1- بورقعة لخضر، شهادة المجاهد لخضر بورقعة في ندوة **إحياء ذكرى الشهيد على ملاح**، 1998، بالمتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.

2- صخري عمر، مداخلة الرائد عمر صخري بمناسبة ذكرى الشهيد علي بن مسعود، 1996، بوسعادة، الجزائر. نقلا عن الهادي درواز: الولاية السادسة التاريخية.

3- صخري عمر، مداخلة عمر صخري في **إحياء ذكرى استشهاد عمر إدريس**، 1997، بسكرة، الجزائر، نقلا عن الهادي درواز: الولاية السادسة التاريخية.

4- الملتقى الجهوي الثاني لكتابة تاريخ الثورة، 5-9 فيفري 1987، بسكرة، الجزائر.

5- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل وقائع وأحداث الثورة في الولاية الرابعة تقرير سياسي 20 أوت 1956 نهاية 1958 ،ج1،جبهة التحرير الوطني.

6- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم إلى الملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة (الولاية الرابعة)تقرير سياسي فترة 20 أوت 1956-نهاية 1958، جبهة التحرير الوطني.

7- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة (الولاية الرابعة) تقرير سياسي فترة 1959-1962.

8- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقارير ملتقى **الحركات المناوئة للثورة** (**بلونيس**) 17-19جوان 1995.

2/ لمراجع:

أولا) **الكتب المطبوعة:**

1- بوعزيز يحي، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين،** (الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996).

2 – حليمي عبد القادر، **جغرافية الجزائر**، (دمشق: د. ن، 1968).

ثانيا) الرسائل الجامعية:

1- بن جابو أحمد، **دور سي أمحمد بوقرة في الثورة الجزائرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، (جامعة الجزائر: 2000/2001).

ثالثا) المقالات:

1- درواز الهادي: **عملية التسليح، حوار حول الثورة**، الجزء الأول، الجزائر، المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام.

2- عامر محمد: "في حديث حول السلاح" **مجلة الباحث**، عدد خاص بمناسبة الذكرى 25 للاستقلال، جويلية 1987.

3- **المقاومة الجزائرية** الصادرة بالمغرب (الطبعة الثانية)، العدد 04، 1956.

باللغة الأجنبية:

1-Cdt Azzedine ; **Les Fellagas**, Ed ENAG, Alger .1997

2-Harbi Mohamed ; **Le FLN mirage et réalité, Des origines a la prise du pouvoir (1945-**1962) ENAL ,Alger (Sans date).

3- Harbi Mohamed : **Les archives de la révolution algérienne**, Ed Jeune Afrique, Paris, 1981, pp235-240.

4- Teguia Mohamed **: l'Algérie en guerre**, O P U. Alger, 1988.

حركة سعادة الرّياحي صاحب طائفة "السنية" بنواحي بسكرة 702-739ه/1303-1339م : دراسة في علاقة الديني بالمجتمع والسلطة خلال العصر الوسيط

The Movement of Sa'ada Al-Riyahi, Leader of Sunni Fraction, at the Outskirts of Biskra (H 702-739/C.E. 1303-1339): a Study of the Relationship between Religion and Society and Politics Throughout the Middle Ages.

د/ علي الهطاي

باحث في التاريخ الوسيط والحضارة-تونس[1]

تاريخ الاستلام: 2021/05/15 تاريخ القبول: 05 /2021/06 تاريخ النشر: 2021/06/30

الملخّص:

عرفت إفريقيّة الحفصيّة خلال القرن الثّامن الهجريّ/ الرّابع عشر الميلاديّ حركة دينيّة إصلاحيّة ذات مرجعيّة صوفيّة ببلاد الزاب، إلّا أنّها لم تكن كغيرها من مراكز التّصوّف الّتي تهتمّ بالجانب الرّوحيّ فقط، بل تفرّدت لتصبح حركة ذات بعد اجتماعيّ وسياسيٍّ ممّا جعلها حركة بارزة في التّاريخ الصّوفيّ، فقد جمعت بين العصبيّة والدّعوة الدّينيّة، وكان لها الأثر البالغ في تنظيم العنصر الأعرابيّ وتأطيره ثمّ استقطابه لمواجهة المؤسّسة السّياسيّة المزنيّة.

Abstract

Ifriqiya witnessed during the Hafsid era in the B.H 8/C.E 14 century a religious reformation movement with a Sufi background in Zab. However, it was not like any other Sufi movements, that were only concerned with spirituality. Instead, it stood out with its social and political aspects, becoming a prominent movement throughout the Sufi history. It combined both tribalism and religious call, assuming a great role in organizing, orienting and incorporate the A'rab in facing the Muzni political institution.

الكلمات المفاتيح: إفريقية، العهدالحفصي، بلاد الزاب، بنو مزني، الطائفة السنيّة ، الدعوة الدينية.

Keywords: Ifriqiya, Hafsid Era, Zab, Banu Muzni, Sunni fraction, religious call.

مقدمة:

شهدت منطقة الزّاب الواقعة بين التلّ والصّحراء بغربيّ إفريقيّة الحفصيّة خلال القرن الثّامن الهجريّ/الرّابع عشر الميلاديّ حركة دينيّة إصلاحيّة ذات مرجعيّة صوفيّة، إلّاأنّها لم تكن كغيرها من مراكز التّصوّف الّتي تهتمّ بالجانب الرّوحيّ فقط، بل تفرّدت لتصبح حركة ذات بعد اجتماعيّ وسياسيٌ ممّا جعلها حركة بارزة في التّاريخ الصّوفيّ، فقد جمعت بين العصبيّة والدّعوة الدّينيّة، وكان لها الأثر البالغ في تنظيم العنصر الأعرابيّ وتأطيره ثمّ استقطابه لمواجهة المؤسّسة السّياسيّة المزنيّة.وهنا لابدّ من الإشارة إلى تأثير التّغريبة الهلاليّة[2] في تكوّن الجغرافيّة البشريّة لإفريقيّة ولبلاد الزّاب خصوصا الواقعة بين التلّ والصحراء، إذ أنّ هذه المنطقة تحدّها شمالا سلسلة الأوراس وجنوبا الصحراء الكبرى، وهي تعرف بمنطقة الواحات[3]، ولامتداد سهولها اتّخذتها القبائل الهلاليّة مركزا لها بحكم نشاطها الرّعويّ وكذلك لبعدها عن مركز السّلطة السياسيّة سواء من الزّيريّين أو الحمّاديّين ثم الموحدّين والحفصيّين، وقد بسط المزنيّون سلطتهم على الزّاب، وقد كانت علاقة هذه القبائل في نفور دائم من السّلطة، أضف إلى أنّ صراعاتها فيما بينها كانت متتالية من أجل السّيطرة على أكبر قدر ممكن من مناطق النّفوذ للانتجاع.

وفي خضمّ هذه الوضعيّة السّياسيّة والقبليّة ظهرت حركة سعادة الرّياحي الّتي استطاعت أن تخلق تحوّلا جذريّا في الواقع القبليّ، وهذا ما دعانا إلى التّساؤل عن الآليّات الذّهنيّة الّتي أدّت إلى حدوث هذا التّحوّل عند كلا الجانبين، فالبعد الأوّل يتمثّل في تحوّل الدّعوة الدّينيّةونعني بها هنا الولاية[4] من مجرّد حركة تعنى بتعليم القرآن والعلوم الدّينيّة

والانقطاع عن العامّة والتّفرّغ كلّيّا للتّفكّر والتّأمّل والعبادة إلى حركة سياسيّة لها تأثير في المجتمع القبليّ البدويّ وقبولهم بتحمّل أعباء جديدة ساهمت في اتّصالهم بعامّة النّاس ووسّعت من شهرتهم وزادت في احتراز السّلطة منهم، أمّا البعد الثّاني فهو كيف استطاعت هذه الدّعوة الدّينيّة من أن تمثّل نقطة تحوّل هيكليّة في نمط المجتمع القبليّ الّذي تحوّل من مرحلة الصّراع والتناحر إلى مرحلة الانتظام داخل سلطة الولاية. فرغم محاولات السّلطة السّياسيّة المتعاقبة على المنطقة إخضاع هذا القبائل إلّا أنّها لم توفّق كلّيّا إلى إخضاع كامل المجال، فسرعان ما تسترجع هذه القبائل قوّتها بعد تضعضعها، فقد سعى الموحّدون في إطار صراعهم مع المايورقيّين، إلى محاولة ضبط هذه القبائل البدويّة بإفريقيّة من خلال الحملات العسكريّة التّأديبيّة وخاصّة بجنوب الأوراس، وقد قامت باصطحاب جانب هامّ من هذه القبائل إلى المغرب الأقصى في محاولة منها لتخفيف عبئهم وكذلك للاستعانة بهم في أعمالهم بمركز الدولة[5]، وذلك هو شأن الدولة الحفصية أيضافقد دأبت على دمج هذه القبائل داخل المجتمع واحتواء قوّتهم، إلّا أنّ طبيعة هذه القبائل القائمة على النّمط الرّعويّ على نطاق واسع أبت دائما الخضوع لسلطة الدّولة وهو ما سبّب تتالي الصّراعات داخل هذه القبائل البدويّة وقد تبعها انتشار الفوضى وانعدام الأمن الّذي سيكون ضرره واضحا على السّلطة السّياسيّة. ومن هذا المنطلق كان داعيا التّساؤل حول سبب فشل الدّولة في إخضاع هذه القبائل في حين نجحت السّلطة الدّينيّة المتمثّلة في شخص الوليّ في استمالة القبائل، أو لنقل بطريقة أخرى ما الّذي جعل هذه القبائل البدويّة ترفض الانصياع للدّولة في حين أنّها سارعت إلى الدّخول في دعوة سعادة الرّياحي؟وهو ما يستدعينا للبحث في المبادئ الإصلاحيّة لحركة سعادة الرّياحي، وقدرته في احتواء القبائل البدويّة تحت مؤسّسة الوليّ[6]، وتأثيرات هذه الحركة الدّينيّة الإصلاحيّة في السّلطة والمجتمع.

1- أسس الدّعوة الإصلاحيّة لسعادة الرّياحي:

1.1 النّشأة العلميّة :

قد رافق الوضعيّة السّياسيّة والقبليّة لبلاد المغرب وإفريقيّة خصوصا ظهور تيّارات دينيّة بالمنطقة منذ الزّمن الموحّديّ والمتمثّل في حركة التّصوّف السّنّيّ، والّتي انتشرت في الحواضر وأيضا بين القبائل الدّاخليّة. وتعود جذور هذه الظّاهرة لأبي مدين شعيب "صاحب بجاية"[7]، الذي مهّد لبروز تصوّف سنّيّ ولائيّ كان للطّابع المحلّيّ بصمته الواضحة في تركيبته ومظاهره ببلاد المغرب. وقد شهدت إفريقيّة الحفصيّة تتاليَأدوار هذه الشّخصيات في المجتمع مثل عبد العزيز المهدويّ بتونس وأبي عليّ النّفطيّ الموسوم بالسّنّيّ أو سلطان الجريد دفين نفطة، وأبي يوسف الدهمانيّ الّذي برز دوره في استتابة الأعراب ومحاولة استمالتهم والسّيطرة على تحرّكاتهم الّتي كانت تؤدّي غالبا إلى الإضرار بمصالح العباد والبلاد. وفي هذا الصّدد، ظهرت بمنطقة الزّاب أبرز الحركات الإصلاحيّة الّتي أسّسها أحد أفراد هذه القبائل البدويّة وهو سعادة الرياحي[8]، فهو ينحدر من بطن إحدى شعوب رياح بمدينة طولقة. وكانت أمّه تدعى خضيبة وكانت في أعلى مقامات العبادة والورع. ونشأ منتحلا للعبادة والزّهد[9]، وهو ما يحيلنا إلى البيئة الأولى المساهمة في نشأة سعادة والّتي كان لها الأثر البالغ في تحديد مساراته الدّينيّة. ثمّ ارتحل إلى المغرب الأقصى ولقي شيخ الصّالحين والفقهاء لذلك العهد بنواحي تازة "أبا إسحاق التّسوليّ"[10]، فلازمه وتفقّه عليه، وهو ما يعبّر عنه برحلة طلب العلم. فأخذ عنه شرح رسالة ابن أبي زيد القيروانيّ، و"المدوّنة" لسحنون[11]، وهو ما يبيّن لنا طبيعة العلم الّذي تلقّاه سعادة الرّياحي من عقيدة وفقه عن المشايخ المالكيّة[12]، إلى جانب تربيته الرّوحيّة الّتي تأثّر بها منذ صغره، والّذي سيكون له دور كبير في صياغة شخصيّة الشّيخ المصلح أو الملهمالروحيّ لأتباعه من الأعراب.

2.1 مبادئ الدعوة الإصلاحيّة :

رجع سعادة الرّياحي إلى وطن رياح "بفقه صحيح وورع وافر"[13].ووجد الأرضيّة السّياسيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة الملائمة لنشر أفكاره وما تعلّمه من شيوخه في وسط قبليّ كثرت فيه الصّراعات بين القبائل وبين فروع القبيلة الواحدة وهو ما أحدث نوعا من الفراغ الكاريزماتيّ الّذي حاولت حركات الإصلاح الصّوفيّ السّنّيّ الولائيّ ملأه دون عناء شديد[14]، وهو ما عزّز دور الظّروف التّاريخيّة الّتي عرفتها إفريقيّة خلال الفترة الحفصيّة في تحديد معالم التّجربة الولائيّة، كما لاننسى نسبه من هذه القبائل فهو من رياح، لا سيّما وأنّ الشّرف والحسب لدى هذه القبائل – بما هي سلطة معنويّة لا مادّيّة– معتبر عندهم عند الرّغبة في الزّعامة أو الإصلاح أو الوصول إلى غاية منشودة في قبيلته، الأمر الّذي سييسّر لسعادة نشر دعوته. وقد كانت أولى خطواته الإصلاحيّةأن اتّخذ من طولقة مركزا علميّا، فلا شكّ في أنّه سيسعى إلى نشر ما تعلّمه وسط مجتمعه. وابتنى لذلك زاوية أو رباطا بالقرب من مدينة طولقة[15] على حدّ عبارة ابن خلدون. وهنا وجب تحديد مفهوم الرّباط بحكم وظائفه وليس بحكم المؤسّسة، ذلك أنّه ليس كلّ من حمل صفة المرابط هو بالضرورة نزيل رباط من الرّباطات، فكما تبدو من كتاب "التشوّف"، يمكن إيجاز وظائف الرّباطفي أنّهقد يكون مسجدا، أو قد يكون الرّباط مقرّ سكنى الوليّ، أو المكان الّذي يجتمع فيه الصّالحون[16]، والأقرب إلى الواقع هو أنّه تجتمع فيه جلّ هذه الوظائف، فيكون المكان الّذي يتعلّم فيه طلّاب العلم ويكون مأواهم في نفس الوقت، فأمام توافد النّاس على دعوة سعادة وكثرة أتباعه ستصبح الحاجة ملحّة إلى مكان يؤوي الوافدين ويطعمهم ويؤمّن للبعض حاجيات حياتهم، مكان يستريح فيه المسافر ويلوذ به الهارب طلبا للحماية في وقت تصاعدت فيه أعمال العنف بين القبائل وداخل فروع القبيلة الواحدة، الأمر الّذي فسح المجال

للوليّ ليوسّع نفوذه في غياب السّلطة السّياسيّة أو بسبب بعدها عن مواقع الصّراع، وهكذا عرفت هذه المرحلة من تاريخ إفريقيّة نشأة أولى زوايا الأرياف الدّاخليّة ببلاد المغرب لتستقبل زوّار الشّيخ وطلبته ومريديه وتدريس العلم والقرآن وتقدّم الطّعام، وهذا يعتبر نقلة نوعيّة في وظيفة الزّاوية خلال القرن الثّامن الهجريّ الّتي تميّزت بانتعاش وظائفها مقارنة بالقرن السّابع الهجريّ، وهذا يعتبر من مميّزات زاوية الرّياحي، وقد أوضحت نللي سلامة العامري أنّه من النّادر جدّا أن تجتمع هذه الوظائف في الزّوايا خلال القرن السّابع باستثناء زاوية أولاد سهيل[17]. أمّا الخاصيّة الثّانية الّتي تميّزت بها هذه الزّاوية من النّاحية العلميّة فهي أنّها اقتصرت على تعليم العلوم الدّينيّة من قران وعقيدة وفقه حسب ما أورده ابن خلدون، لا سيّما وأنّنا لم نعثر على مصدر آخر حول تاريخ هذه الزّاويةوخصائصها، فتمثّل هذه الزّاوية نمطا جديدا من الزّوايا بإفريقيّة وبلاد المغرب عموما. فلم يجمع صاحبها –حسب ما وصلنا من المصادر– بين الفقه والتّصوّف كما كان سائدا عند العديد من أصحاب الزّوايا.

يبدو أنّهذه المؤسّسة الّتي اضطلعت بهذا العدد من الوظائف ستتجذّر خلال العهد الحفصي، فتقديم تلك الخدماتوتلك الوظائف تجاوزت الإطار المؤسّس لها والأصليّ أي المؤسّسة الأمّ (الرباطات على السواحل والثغور)[18]، لتمارس في أطر أخرى كالرّابطة والمسجد والزّاوية فما من مؤسّسة من مؤسّسات التّصرّف إلّا واضطلعت بجملة هذه الوظائف[19]. وقد أخذ سعادة على كاهله محاولة تغيير نمط هذا المجتمع القبليّ علميّا وعمليّا متخذا من رباطه أو زاويته مركزا لجملة من الوظائف.

– **الوظيفة التّعليميّة:**أخذ سعادة الرّياحي على عاتقه نشر المذهب السّنّيّ المالكيّ بنواحي بسكرة، فجلوس الأولياء لإقراء القرآن أو العلوم الدّينيّة سيسهم في زيادة نفوذهم، فدور هؤلاء الأولياء كبير وبارز في نشر التّعاليم الدّينيّة وسط المجتمع القبليّ

داخل إفريقيّة[20].وسيمثّل هؤلاء شريحة مجتمعيّة مميّزة، تحظى بالاحترام والتّقدير والمهابة إلى حد المبالغة والغلوّ أحيانا فهم مطّلعون على أصول الدّين ويقرؤون القرآن ويعلّمونه[21]، لا سيّما في وسط مجتمع يغلب عليه الجهل وتطغى عليه مظاهر العصيان والابتعاد عن الدّين. ثمّ إنّ ظاهرة تحوّل بعض الزّوايا إلى مؤسّسات لتعليم القرآن وتدريس العلوم الدّينيّة كانت الأكثر انتشارا في تلك الفترة بإفريقية وبلاد المغرب عموما. فاشتهر سعادة الرّياحي بعلمه وفقهه وكثر أتباعه من قومه وغيرهم واشتهروا باسم أهل "السّنّة" أو "المرابطين"[22]، وتعود تسميتهم بالسّنّة لحرصهم إلى إحياء معالم السّنّة ونشرها في مجتمع تفشت فيه مظاهر البدع والخرافات والانحراف عن الدّين القويم. أمّا تسميتهم بالمرابطين فتحمل عدّة أبعاد، فيمكن أن يكون ذلك نسبة إلى المكان الّذي اتّخذوه مركزا لدعوتهم ونشاطهم، فكان رباطا في مواجهة مظاهر الحرابة الّتي كانت منتشرة وسط المجتمع البدويّ، فيكون دور هذا الرّباط هو حماية القوافل المارّة من خلاله أو أن يأوي الملتجئين إليه واللاّئذين به من غرر قطع الطريق[23]، كما يمكن أن يقصد بذلك فعل المرابطة حيث يعتكف الشيخ وحوله تلامذته ينهلون من علمه[24]، كما يمكن أن تكون تسميتهم بالمرابطين تيمّنا بالدّولة المرابطية والتي عرف عنها أنّها دولة الفقهاء[25]، وعرف عنها تمسّكها الشّديد بالسّنّة والفقه المالكيّ لا سيّما وأنّ سعادة الرياحي قد درس بالمغرب الأقصى وربّما تأثّر بما تركوه من مؤلّفات علميّة بعد سقوطهم على يد الموحّدين لكنّ هذه الفرضيّة تبدو مستبعدة لاسيّما وأنّ أسلافه قد كانوا في خلاف مع الدّولة المرابطية في أواخر عهدها[26]. وقد مكّنته وظيفته في تعليم النّاس من زيادة نفوذه ومكانته داخل المجتمع القبليّ، الأمر الّذي سييسّر انتقاله إلى المراحل العمليّة لدعوته.

– **القضاء على ظاهرة الحرابة:**فقد تجسّد البعد الإصلاحيّ العمليّ لهذه الحركة من خلال محاولة القضاء على ظاهرة قطع الطّرق وسلب المسافرين والإغارة على النّجع، إذ تجمع المصادر على ذكر ما تسمّيه "إذاية الأعراب" الّتي أطنبت في الحديث عنها. فقد كتب العبدريّ في رحلته المغربيّة واصفا إفريقيّة عند اجتيازه عليها:" لا يسلكها إلّا مخاطر ولا يعدم من عربانها إيلام خاطر...شديدة الإهمال، غير سديدة الأحوال...عمرانها خراب...حلّت بها الآفات والمحن...فما يمرّ بتلك المسالك، ولا يخطر على تلك المعابر عابر...إلّا انقضوا عليه انقضاض الصّقور على البغاث"، إنّ هذا الوصف رغم ما يعتريه من مبالغة لا بدّ وأنّه يشتمل على جانب من الصّحّة ويعكس عقليّة الأعراب بإفريقيّة في تلك الفترة[27]، ثم إذا كان هذا وصف العبدريّ للطّريق الّذي سلكه شمال إفريقيّة، فكيف سيكون حال الواجهة الدّاخلية لإفريقية ونعني بذلك جنوب سلسلة الأوراس أي بلاد الزاب، وفي هذا الصّدد ينقل لنا ابن خلدون حادثة تقبّض بعض قبائل الأعراب على أحد أمراء المزنيّين الّذي لم ينج من قبضتهم إلا بعد أن افتدى نفسه[28]، فإذا بلغ قطع الطّرق على الأمراء، فكيف بعامّة النّاس؟ فكان دور هذه الحركة هو تأمين الطّرقات والسّعي للقضاء على مظاهر قطع الطّريق والحرابة، وهو ما شجّع السّكّان على الانضمام لهذه الحركة. بل إنّ دعوة سعادة أخذت بعدا أوسع تجاه مظاهر السّلب والإغارة، فقد فتح أمام فصائل البدو من المحاربين باب التّوبة والعمل على إدماجهم التّدريجيّ في معترك الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والّذي ربّما سيكون أكبر تحدّ يخوضه سعادة الرّياحي خاصّة فيما يتعلّق بإقدامه على ترويض "الأعراب (وهم) أشدّ (النّاس) كفرا ونفاقا"[29] وفقا لمنطوق القرآن على التّمسّك بأحكام الشّرع وأداء فرائضه، وعدم التّعرّض للنّاس في أرزاقهم وفي أنفسهم[30].

– **الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر**:أمّا البعد العمليّ الثّاني لهذه الدّعوة فهو أنّها قامت على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكرالّذي يعتبر من ركائز الدّين الإسلاميّ، وقد سعت جلّ الفرق والطّوائف الإسلاميّة عبر التّاريخ العربيّ الإسلاميّ إلى التّمسّك بهذه الرّكيزة على اختلاف فهمهم للمصطلح، وذلك ربّما لتبرير شرعيّة وجودهم في المجتمع والدّولة[31]. ويبدو أنّ سعادة الرّياحي حاول تطبيق هذا المفهوم داخل مجتمعه، فبدأ بأقاربه وعشيرته ثمّ أخذ يتوسّع في ذلك فشملت دعوته مريديه وأتباعه من القبائل وما يتطلّبه ذلك تغيير العوائد والأخلاق داعيا إيّاها إلى نبذ صراعاتها الدّاخلية، الّتي لن تزيد إلّا في ضعفها وهوانها، وهي محاولة منه إلى تشتيت الخلافات فيما بينها والسّعي إلى إقامة وحدة هذه القبائل كمرحلة أولى لترسيخ مشروعه الإصلاحيّ الّذي يطمح إلى نشره وسط القبائل البدويّة. كما كان تغييره للمنكر من خلال القضاء على ظاهرة قطع الطرق وسلب المسافرين والإغارة على النّجع والمزارع، فهذا يعتبر بعدا أساسيّا في تجربة الولاية في الوسط القبليّ.

فالدّعوة الدّينيّة لها مفعول متعدّد وسط القبائل، فمن جهة يعمل الدّين المتمثّل هنا في "الولاية" على "جمع القلوب وتأليفها" وذلك يزيل الخلافات والصراعات بين فروع هذه القبائل وتتحقّق الوحدة الكبرى الّتي يسعى سعادة الرياحي إلى تحقيقها، ومن جهة ثانية ستصرف دعوة سعادة "الطبيعة العدوانية" التي تجسمت في حياة الغزو والحرابة من أجل نشر الدين وتعاليمه وإقامة مجتمع متماسك[32]، فقد كان دأب الأولياء والصالحين هو الحرص على مبدأ التكافل الاجتماعي، فقد كانوا يحرصون على جمع المعونات من الأغنياء لتسديد حاجيات الفقراء خاصة في زمن الشدائد كالجفاف والمجاعات والكوارث الطبيعية[33].

وعلى إثر النجاح في توحيد هذه القبائل، يمكن لسعادة مخاطبة السلطة السياسية وتصويب سلوكها السياسي والمالي بما لا يضرّ بالمجتمع، وذلك بفضل ما يمتلكه من مكانة وسط القبائل.

– **مطالبة الحكام بإلغاء المكوس:** رزحت الفئات الشّعبية بإفريقية في الفترة الحفصية تحت وطأة الاستغلال الإقتصادي والمجابي والأداءات، مع ما شهدته البلاد من تقهقر للفلاحة أسهم في ضعف أو انخفاض مداخيل الفئات الّتي كانت تعيش من الحرث والأرض على النّحو الّذي شرحه ابن خلدون، وقد أثقل ابن مزني كاهلهم بالجباية وغلبهم على الضواحي فيذكر ابن خلدون:" ودفعه إلى مزاحمة العرب في جبايتها وانتهاش لحومها إذ كانوا قد غلبوا على سائر الضواحي فساهمهم في جبايتها حتى كاد يغلبهم عليها"[34]، ونافسهم في نيل المرتبة لدى السّلطان وهو الأمر الذي وتّر العلاقة بين السّلطة المزنية والقبائل. وفي ظلّ هذا الظّرف اعتبر سعادة الرّياحي أنّ هذه المكوس والمجابي تثقل كاهل الرّعية فضلا على أنها مخالفة للشريعة الإسلامية حسب نظره، فكان أساس حركته الدعوة إلى ترك المكوس التي يرى فيها ظلما وتعدّيا على أرزاق النّاس، كما اعتبرها أنها ضريبة محدثة غير شرعية وتثقل كاهل الرعية. وقد اعتبرتها القبائل خطوة هامة في دعوة الرياحي لا سيّما وأنها كانت كثيرا ما تتعرض إلى حملات المزنيين لجمع الجباية وقد أضرّ ذلك بمكانتهم الاجتماعية. وقد دفع ذلك إلى المزيد الاصطفاف في دعوة الرياحي على الأقل ظاهريا، فعكس ذلك تأثير مؤسسة الولاية أو الشيخ في الوسط القبلي[35]والذي أصبح هذا الأخير متضامنا مع دعوة الوليّ على حساب رابطة الدم فتغلغلت الأفكار الدينية التي يمثلها التصوف السنّي في فروع أعراب بني سليم وبني هلال.

2–الطموحات السياسية لحركة سعادة الرياحي :

1.2 الولاء القبلي للدعوة الدينية الإصلاحية :

اتسعت دعوة الرياحي لتشمل القبائل البدوية المتضررة من سياسة المزنيين، وقد اتخذوا من زاوية طولقةمركزا لهم، وكان من أشهرهم: أبو يحي بن أحمد بن عمر شيخ بني محمد بن مسعود من الذواودة، وعطية بن سليمان بن سباع شيخ أولاد سباع بن يحي منهم، وعيسى بن يحي بن إدريس شيخ أولاد إدريس من أولاد عساكر منهم، وحسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة بن يحي بن دريد بن مسعود منهم، وهجرس بن علي من أولاد يزيد بن زغبة[36]، وهو ما يحيلنا إلى تجاوز حركة سعادة الإطار القبلي الضيق[37]، حيث أن الدين باستطاعته أن ينتقل من إطار ضيّق إلى إطار أوسع وسط العصبيات القبلية، فيكون التحول من التعصّب للنسب الخاص إلى التعصب إلى النسب العام بفضل العقيدة الدينية التي جعلت منه "خير أمة أخرجت للناس" تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر[38]، وهنا لا بدّ من تفسير هذا التحول في ذهنية القبائل التي كانت رافضة لخضوع لأي سلطة وقبولها بالانضواء تحت سلطة الوليّ. يبدو أن سلطة الوازع الديني قد نجحت في فرض وجودها على المجتمع، لا سيما وأن الحاجة إلى الوازع[39] تفرضها طبيعة الإنسان نفسه، باعتباره كائنا مجبولا على الخير والشر والتعاون والعدوان، فيتطلب ذلك وجود نوع من السلطة تحفظ للمجتمع تماسكه[40]، فكان ذلك عن طريق سلطة الوليّ، كما يقرّر ابن خلدون بوضوح أن ملك هذه القبائل لا يحصل لهم إلا بصبغة دينية من ولاية أو أثر عظيم من الدين ذلك أنّ "الصّبغة الدّينيّة تذهب بالتنافس والتّحاسد الّذي في أهل العصبيّة وتفرد الوجهة إلى الحقّ فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأنّ الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه"[41]. والوجهة والمطلوب عندهم هنا هو التخلّص من تعسف سلطة المزنيين، إذ يمكن تفسير قبول هذه القبائل الدخول في هذه الدعوة بالحيف الذي لحقها نتيجة

السياسة الجبائية المتّبعة ضدهم من قبل الأمراء المزنيين والذي أرهق كاهلهم، وكذلك ظهور تراجع ملحوظ لعصبيتهم القبلية بسبب صراعاتهم الداخلية، فقد نجحت السلطة السياسية في بثّ مظاهر الفرقة بينها من خلال اعتمادها على شق من هذه القبائل في مواجهة الشق الثاني وهو ما يضمن للمزنيين التوازن القبلي والاستقرار لحكمهم. أدّى ذلك إلى قبولهم بالخضوع تحت سلطة الولاية في محاولة منهم لإعادة خلق وحدة بين مجموعة القبائل وتكوين عصبية قبلية قوية تضمن لهم إعادة التوازن في مواجهة سلطة بسكرة، وهو ما يفسّر إقبال الكثير من أتباع هذه القبائل وخاصة المستضعفين منهم للانضمام لسلطة سعادة الرياحي. من ناحية ثانية يمكن تفسير انضواء القبائل البدوية تحت سلطة سعادة الوليّ في محاولة منهم في كسب نفوذ الوليّ ورصيده الشعبي والأخلاقي والروحي في إطار البحث عن مشروعية لتحركاتهم، وبصورة أخرى يمكن القول إنّ غاية هذه القبائل من "خلال الوليّ وبواسطته" أن يخلق لهم مكانة وشوكة للردّ على مظاهر العنف المسلّط عليهم من قبل القبائل المناوئة أو من طرف السلطة السياسية.فكثر بذلك أتباعه واستظهر بهم على شأنه في "إقامة السنة وتغيير المنكر". فاستكملت هذه الجماعة قوتها واشتدت شوكتها دخلت في مرحلتها العملية، فأخذت في شن الغارات على العصاة المحاربين وقطاع الطرق، ومن هذا المنطلق نتبين تأثير الولاية في الوسط الأعرابي والتي أثرت على نمط التضامن القبلي وعلى رابطة الدم التي كانت تحكمهم، فمن يتوب من الأعراب يصبح يقاتل إن لزم الأمر أبناء جنسه بل أفراد عشيرته ممن يحاربه مؤثرين من جانبهم أيضا المصالح السياسية والاقتصادية على الرابطة الدموية.

كما أنه بانضمام شيوخ القبائل لهذه الدعوة، يظهر قدرة حركة سعادة الرياحي على تجاوز الإطار القبلي الضيق لتشمل جميع القبائل التي تتفق معها في المبادئ والغاية، ثم

إن ما شجع إقبال الناس على الانضمام إلى هذه الحركة هو قدرتها على استقطاب المستضعفين وهذا أمر هامّ، إذ أنه على مرّ التاريخ العربي الإسلامي، تعد طبقة المستضعفين أساس وعماد الحركات الاحتجاجية أو الثورية في محاولة منهم للخروج من أسفل الترتيب الاجتماعيوتحسين وضعيتهم الاقتصادية المتردية وتحقيق العدل الاجتماعي[42].

2.2 المواجهة بين مؤسسة الولاية والسلطة السياسية:

تخطت دعوة سعادة الرياحي مجال القبائل البدوية، فأصبح متشددا على الولاة والحكام كثير المؤاخذة لهم بسبب كثرة الجباية وإرهاق الناس بأموال الخراج، فكان ذلك من أسباب انتشار دعوته بالزّاب، وهنا نلاحظ تفرّد هذه الحركة عن غيرها من الحركات الولائية، فقد كان السائد في افريقية أن الحركات الولائية لم تكن تخرج عن إرادة السلطة السياسية الحفصية، بل أن السلطة نفسها تسعى لكسب تأييدالوليّ لتحقيق مشروعية حكمها[43] أو للاستعانة بها في توطيد الأمن ومجابهة تحركات القبائل البدوية أو أن تتوسط حكمًا بين شرائح متناحرة في الدولة[44]، أما أن تتحول سلطة الولاية طرفا رئيسيا في مواجهة السلطة القائمة فيعدّ ذلك سابقة في تاريخ حركات الأولياء في علاقتهابالسلطة السياسية. ويمكن تفسير ذلك بعاملين داخلي وخارجي، فداخليا اتسمت طبيعة هذه الحركة باندماج الديني بالقبلي والتقت مصالح كلا الطرفين فسعادة يبحث عن السلطان الذي من خلاله يستطيع إنفاذ دعوته ونشرها حيث أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتمّ[45]، في حين رأت هذه القبائل في دعوة الرياحي سندا لها في تحقيق شرعية أهدافها. فالعلاقة بين العصبية والدين علاقة تأزر وتعاضد وتكامل: فالعصبية تمنح الدعوة الدينية قوة وفاعلية، ومن جهتها فإنّ الدعوة الدينية تزيد من قوة

العصبية[46]. أما العامل الخارجي فيتمثل في اعتبارهم أن السلطة المزنية هي سلطة محلية طرفية ولا تمثل السلطة المركزية الحفصية إلّا شكليّا. فسيكون صراعهم مع المزنيين لا مع سلطة الحفصيين. وفي هذا الإطار طلب سعادة الرياحي من عامل الزّاب منصور بن فضل بن مزني (1294–1325م) المستقرّ ببسكرة[47]، بإعفاء الرعية من المكوس والضرائبالتي أثقلت كاهلهم لا سيما وأن النشاط الأساسي لهذه القبائل هو الفلاحة الغير مستقرة في مداخيلها لاضطراب الظروف المناخية، إلا أن المنصور المزني امتنع من ذلك، ورأى في ذلك تجاسرا على سلطته الحقيقية وتهديدا لنفوذ دولته المالي، علما وأن الإمارة المزنية كانت تعوّل كثيرا على أموال الجباية وهو أمر متعارف عليه بين الدول خلال الحقبة الوسيطة. ولا سيما الدولة الحفصية الممثلة في سلطة المزنيين، وقد كانت تعتبر المناطق الداخلية المصدر الأساسي لجباية المخزن الحفصي الذي لا يمكن أن تعادله عائدات التجارة المتوسطية[48]. وعلى إثر ذلك عزم ابن مزني على الإيقاع بسعادة الرياحي، فحال دون القضاء عليه عشائر أصحابه.وهنا نرى تعنت السلطة السياسية أمام هذا التحدي الذي يمارسه الوليّ وأتباعه، وسيعتبر هذا الحدث منعرجا حاسما في تاريخ هذه الحركة، ذلك أن محاولة السلطة السياسية المساس بأحد رموز "القدسية" لدى العامة يعتبر أمرا مستهجنا ولا يجب السكوت عنه، وبالفعل قرر أتباعه مبايعته على إقامة السنة والموت دونه في ذلك، وعلى إثر هذه الحادثة انتشر أمر السنية بين القبائل الأخرى لما رأوا فيه من الشدة في سبيل إنفاذ دعوته المناصرة لهم من خلال إلغاء المكوس وتخفيض الجباية عنهم.

عجز المنصور ابن مزني عن مواجهتهم بسبب تحالفهم مع بعض قبائل الذواودة.فأرسل إلى الأمير أبي البقاء خالد صاحب بجاية الحفصية إذ كانت الزّاب تتبع سلطانه، فأمده بالعساكر والجيوش، وأوعز إلى أهل طولقة بالقبض على سعادة الرياحي، وريثما

تكاملت قواهم زحفوا على مدينة بسكرة وحاصروها سنة1303م فيذكر ابن خلدون:" ثم جمع أصحابه المرابطين وكان يسميهم السنية وزحفوا إلى بسكرة وحاصروا ابن مزني سنة ثلاث وسبعمائة وقطعوا نخيلها، وامتنعت عليهم فرحلوا عنها. ثم أعادوا حصارها سنة أربع وسبعمائة وامتنعت فرحلوا عنها. ثم أعادوا حصارها سنة أربع وسبعمائة، وامتنعت. ثم انحدر أصحاب سعادة من الذّواودة إلى مشاتيهم سنة خمس وسبعمائة "[49]. ومن هذا المنطلق نتبين قوة كلا الطرفين من خلال تكرر مهاجمة سعادة عاصمة بني مزني ومن جهة أخرى يظهر لنا منعة بسكرة وصعوبة اختراقها، وقد تجلّى لنا أيضا انقسام الذواودة بين الفريقين في هذه الحرب، فالأول آثر المصالح الاقتصادية والسياسية على رابطة الدم مظاهرة لابن مزني ضد سعادة الرياحي، وأما الفريق الثاني فقد فضّل الدعوة الدينية وسلطة الولاية على الانضواء تحت السلطة السياسية، مما عمّق الصراع داخل القبائل العربية للسيطرة على ضواحي الزّاب.

فالدّعوة الدّينيّة والمتمثلة هنا في سلطة الولاية أو الزاوية تعدّ شرطا مكمّلا للعصبيّة للوصول إلى السّلطة، وهي الوسيلة الوحيدة التي تمكّن البدو من السيطرة على البلاد ومن هنا فإنها تحتاج بالضرورة إلى عصبيّة تدافع عنها وتظهرها[50]، وهو ما يفسر لنا التكامل بين دعوة سعادة الرحماني؟؟؟ والبعض من قبائل الذواودة.

وبعد فشله في اقتحام بسكرة، قرّر سعادة التوسع على مليلي إحدى مدن الزّاب، فاستصرخ أهلها بابن مزني فأنجدتهم عساكره والعساكر السلطانية المقيمة ببسكرة واشتدت الحرب بين الطائفتين وأسفرت هذه الوقعة عن قتل الزعيم سعادة وحمل رأسه إلى منصور ابن مزني[51].لكن مقتله لم ينه هذا الصراع بل زاد في شدته بقيادة أبي يحي بن أحمد شيخ أولاد محرز من الذواودة [52]، فشنوا الغارات على بسكرة وقطعوا نخيلها وهزموا منصور ابن مزني وقتلوا ابنه علي قائد العسكر المزني، كما أدّت هذه المعارك إلى

أسر عدد كبير من رؤساء المزنيين، ثم سكنت الحرب بينهما على إثر إبرام هدنة، والتي لا نعرف في الحقيقة أيّ تفاصيل عنها إلا أنه على ما يبدو هو إعفاء هذه الطائفة والقبائل المنضوية تحتها من دفع الجباية. وخلال فترة المهادنة بين الطرفين تمكنت الطائفة السنية من الاتفاق على من يقيمونه بينهم في الفتيا في الأحكام والعبادات ونشر مبادئها الإصلاحية فكان الاختيار على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الأزرق المقري، وكان قد أخذ العلم ببجاية على أبي محمد الزواوي من كبار مشيختها، فقصدوه بذلك وأجابهم وارتحل معهم. ونزل على حسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة، واجتمع إليه السنية خاصة من أولاد سباع، وقرّروا مواصلة المواجهة مع المزنيين، إلا أن الأمير المزنيفضّل استمالتهم بتولية شيخهم منصب الفتيا ببسكرة وهو شكل من أشكال المشاركة في تسيير شؤون الإمارة وذلك حلّ لإنهاء هذا الصراع.

3- احتواء السلطة المزنية لمؤسسة الوليّ :

1.3 استمالة رموز الطائفة السّنيّة :

عمد يوسف ابن منصور (728-765هـ/1329-1365م)إلى استمالة شيخ الطائفة السنية "محمد ابن الأزرق المقرّي" بتوليته منصب القضاء ببسكرة، فيذكر ابن خلدون:" ونزل ابن الأزرق بسكرة فاستدعاه يوسف بن مزني لقضائها تفريقا لأمر السنية، فأجابه ونزل عنده، فولاّه القضاء ببسكرة"[53]، وذلك مظهر من مظاهر الاعتراف بسلطتهم وشكل من أشكال تشريكهم في تسيير شؤون الإمارة لا سيما ما يحمله منصب القضاء من مكانة بارزة خلال الفترة الوسيطة، إذ به يعمّ العدل بين الرعية وهي أحد الغايات التي كانت تطمح إليها الطائفة السنية في دعوتها. كما يؤكد هذا الأمر قدرة السلطة السياسية على احتواء سلطة الولاية أو ما يصطلح عليه بتحييد

الزاوية عن الأمور السياسية، فأدّى ذلك إلى تفرق أمر السنية وقتيا، فقد بقيت جماعة من المرابطين الذيركنوا إلى السلم بطولقة، ولم تبق لهم حجة لمواجهة السلطة، إلا أنه بعد وفاة ابن الأزرق صاحب منصب القضاء، قررت الطائفة السنية المواجهة من جديد، فقويت شوكتهم بأن جاءهم المدد من ناحية ريغ الذين ملّوا جمع الجباية والضرائب من المزنيين والتي أثقلت كاهلهم، فقد كانوا يتحينون الفرصة للتمرد على المزنيين، وتم تحالف كلا الطرفين سنة740هـ/1340م فأعادوا حصار بسكرة وأطالوا حصارها لكنهم عجزوا عن اقتحامها مرة أخرى. ومن هذا المنطلق لم يكن الوازع الديني هو أساس تحركاتهم بل كان يدفعهم إلى ذلك الظرفية الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها سكان الزاب، فلا يمكن تفسير هذا التحالف بين القبائل العربية القاطنة بنواحي بسكرة وبين القبائل البربرية المستقرة بوادي ريغ وتقرت إلا باتفاق المصالح واجتماع الغاية وهو التخلّص من المزنيين، فتراجعت مكانة الدعوة الدينية لهذه التحركات وأخذت أبعادا سياسية واقتصادية مستغلة في ذلك الإرث أو الجاه الاجتماعي والديني المستمدّ من تاريخية زاوية طولقة. وقد كان على رأس هذه الجماعة علي بن أحمد من شيوخ الذواودة الذي كان أحد أنصار سعادة سابقا إلا أن هذا لايخفي الوازع القبلي الذي يمتلكه الرجل مستغلا رصيده الديني في نصرة تحركاته، وقد فشلوا في اقتحامهم لبسكرة، فقرّر الدخول في طاعة ابن مزني من جديد.

2.3 مصير زاوية طولقة:

حظيت زاوية طولقة بمكانة مرموقة من الخاصة والعامة مستمدّة من شخصية مؤسسها وما بذله من جهد في إقامة الدين بين القبائل البدوية، فبالنسبة للسلطة السياسية قد أوجب ابن مزني لأنصار سعادة والذين اعتزلوا الحرب ورابطوا بالزاوية الرعاية لمحاولة احتوائهم واستثمار نفوذهم المعنوي فيذكر ابن خلدون:" وبقي من عقب سعادة في

زاويته بنون وحفدة يوجب لهم ابن مزني الرعاية، وتعرف لهم أعراب الفلاة من رياح حقا في إجازة من يجيزونه من أهل السابلة"[54]، وهو ما يبيّن لنا المكانة التي أصبحت تحظى بها مؤسسة الزاوية من مكانة اجتماعية ومن عناية من طرف السلطة السياسية.بل أن إشعاعها تجاوز بلاد الزاب ليشمل المغرب الأوسط وخصوصا الطائفة الحاكمة، فقدكان السلطان أبو تاشفين(717-737هـ/1318-1337م) يبعث إلى هؤلاء السّنية بالجوائز يستدعي بذلك ولايتهم.ويبعث معهم للفقيه أبي الأزرق بجائزة معلومة في كل سنة[55]. وهذا أمر غير مستغرب البتّة من الزيانيين، فقد دأبوا منذ حكم يغمراسن (633-681هـ/1236-1282م) وابنه أبي عثمان(681-703هـ/1282-1305م) على الاحتفاء والتقدير بالحركات الولائية، ليس بدافع التخوف من نفوذهم أو لأجل استثماره في خدمة دولتهم الناشئة ولكن من باب التبرك وتقديس الأولياء والاعتقاد فيه[56]. لكن يبدو أن هذا السلوك لم يكن بريئا في باطنه خلال هذه الفترة بالتحديد، بل كان يرمى من وراءه إلى أهداف أخرى فرضتها الظرفية التاريخية، فقد كانت العلاقة بين الزيانيين والمزنيين ظرفية وغير مستقرّة تحكمها المصالح وميزان القوى ببلاد المغرب[57]، فربما يكون هدف الأمير الزياني من هذا التقرّب هو كسب الولاء القبلي للطائفة السنية واستثماره لإيجاد نفوذ لدولته في دواخل المغرب الأوسط لا سيما وأنّ دولته في صراع مستمرّ مع الحفصيين والمرينيين.

أما بالنسبة لأثر هذه الدعوة على القبائل بعد موت رموزها، فيذكر ابن خلدون:" وبقي هؤلاء الذواودة ينزع بعضهم أحيانا إلى إقامة هذه الدعوة، فيأخذون بها أنفسهم غير متصفين من الدين والتعمق في الورع بما يناسبها ويقضي حقها، بل يجعلونها ذريعة لأخذ الزكاة من الرعايا، ويتظاهرون بتغيير المنكر يسرون بذلك حسدا في ارتقاء"[58]. فرغم تحامله المعروف على الأعراب، فقد استطاع ابن خلدون أن ينقل لنا واقع هذه

الزاوية بعد موت زعمائها لا سيما وأنه قد استقرّ ببسكرة لمدة لا تقلّ عن 9 سنوات[59]، واستطاع أن يؤرخ لأطوار هذه المنطقة وخاصة في علاقة الديني بالمجتمع. فيظهر أن قبائل الذواودة قد استغلت انتمائها للطائفة السنية وفرضت سلطتها على الناس انطلاقا من وجاهتها الدينية وتاريخها في نصرة الطائفة السنية، فأخذت على عاتقها المواصلة في هذا المضمار لكن بدون "وجه حقّ"، إذ أنه على حدّ عبارة ابن خلدون كانوا يتظاهرون باتباع مبادئ شيخهم إلا أنهم في الأصل قد حرّكتهم نوزاعهم القبلية وحادوا عن المسار الحقيقي للمبادئ الإصلاحية التي حاول سعادة الدعوة إليها والعمل على ترسيخها وسط المجتمع القبلي.

خاتمة:

قد أسهم في نجاح التجربة الولائية داخل هذا المجتمع البدوي أنها كانت منبثقة من داخل المجتمع القبلي، فسعادة قد ساعده انتماؤه القبلي "لرياح" في نشر دعوته وسط قبائلها الّذي بدّل عصبيّتها من نطاق ضيق إلى نطاق أرحب أساسها الدعوة الدينية الولائية، فنتج عن ذلك رئاسة هذه العصبية صاحبة الدعوة على باقي العصبيات المرتبطة معها، بل يصل بها الأمر إلى فرض وجودها على الدولة.فكان الالتحام الاجتماعي وهو النسب القبلي لسعادة والالتحام الروحي بين القبائل عن طريق الولاية هو الذي ضمن استمرار هذه الدعوة لمدة أربعة عقود من الزمن داخل الوسط الأعرابي بنواحي بسكرة.

التهميش:

[1] البريد الالكتروني: ali.hatay@yahoo.fr

[2]دغفوس (راضي)، *الهجرة الهلالية وانعكاساتها*، **تونس عبر التاريخ**، مركز الدراسات والبحوث القتصادية والاجتماعية تونس 2007، ج2، ص ص 59-83.

[3] Cote(M.), « *ZàB* », Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.T. VI.p395-397.

[4] Sourdel(Dominique et Jamine), « Walaya », Dictionnaire historique de l'Islam, Paris : Presses universitaires de France 1996,p, 848.

[5] عزاوي(أحمد)، **قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني: دراسة وثائقية**، الرباط 2010. ص77.

[6] Muchugh(N),« WALI », Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.T. XI.p120-137.

[7] راجع: عيسى(لطفي)، **مغرب المتصوفة الإنعكسات السياسية و الحراك الإجتماعي من القرن 10 م إلى القرن 17 م**، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية جامعة تونس، مركز النشر الجامعي تونس 2005، ص ص 87-148.

[8] يكاد يكون نص ابن خلدون الوحيد من المصادر الإخبارية التي أوردت لنا حركة سعادة الرياحي، وقد قدم لنا ولو بإيجاز مختلف مراحل هذه الحركة، فبوّب أخبارها في الفصل السادس تحت عنوان " الخبر عن سعادة العالم بالسنة في رياح ومآل أمره وتصاريف أحواله".

[9] ابن خلدون(عبد الرحمان)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 1988 م ، ج 6، ص 51.

[10] هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي التازي أبو إسحاق، ويعرف بابن أبي يحيي المتوفى بعد سنة 748هـ/ وكان فقيها عالما بالدين والقضاء.

[11] ابن الخطيب (لسان الدين)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، دار الكتب العلمية، بيروت 2002 ، ج1 ص 196 .

[12] يتميز الفقه المالكي بالواقعية فالغالب عليه أنه يناقش مسائل واقعية مرتبطة بالواقع المعيش، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم، ويستند إلى المصالح المرسلة التي هي من أجلّ قواعده، كما أن فقه متجدد ويتغيّر حسب الظرفية التاريخية، وارتباطه بالأحداث الواقعة المتجددة، واستجابته لمتطلبات الناس في مختلف الظروف والبيئات، وهو ما سيسهم في تقبل القبائل البدوية دعوة سعادة الرياحي الذي ابتدأ دعوته باقراء القران ونشر الفقه المالكي بين الناس.

[13] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص51 .

[14]صالح علواني، *« انتشار الوَلاية في بلاد القبائل الرحل و تشكّل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/القرنين الثالث عشر و الخامس عشر ميلاديين »*، **Insaniyat** / **إنسانيات، 60-61** | 2013، 111-124، ص121.

[15]مكان مخصص للعبادة والجهاد ويكون عادة على الثغور والسواحل ، للمزيد راجع:

Rabbat(N), «*RIBAT*», Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.T. VIII.p510-524.

[16] العامري، **المرجع نفسه**، ص99.

[17] العامري، **المرجع نفسه**، ص181.

[18]للمزيد انظر: جلول(ناجي)، **الرّباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1999.

[19] العامري، **المرجع نفسه**، ص512.

[20] Amri(Nelly),« Zawiya et territoire en Ifriqiya du VIIe/XIIIe siècle à la fin du IXe/XVe siècle » in Juliette de La Genière, André Vauchez et Jean Leclant (dir.), Les sanctuaires et leur rayonnement dans le monde méditerranéen de l'Antiquité à l'époque moderne, Cahiers de la Villa Kérylos, N° 21, Ed. De Boccard, Paris, 2010, p. 243-294, p.265.

[21]صالح علواني، *« انتشار الوَلاية في بلاد القبائل الرحل و تشكّل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/القرنين الثالث عشر و الخامس عشر ميلاديين »*، **Insaniyat** / **إنسانيات، 60-61** | 2013، 111-124، ص120.

[22] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص51 .

[23] Amri, *Ibid*, p.271.

[24] بونابي(الطاهر)، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13 الميلاديين (نشأته–تياراته–دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)**، درا الهدى للطباعة والنشر والتوزيع–عين مليلة 2004، ص62.

[25]للمزيد راجع: بن حمادي(عمر)، **الفقهاء في عهد المرابطين، محاولة للتعرف على دورهم السياسي**، أطروحة مرقونة لنيل شهادة التعمق في البحث في التاريخ الإسلامي، كلية الاداب والعلوم الإنسانية بتونس 1987.

[26] بونابي، **المرجع نفسه**، ص198.

[27] العامري، **المرجع نفسه**، ص64.

[28] ابن خلدون، **المصدر نفسه،** ج6، ص589
[29] سورة التوبة، الآيات 97-110.
[30] عيسى، **المرجع نفسه،** ص125.
[31] يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد ركائز الدين الإسلامي، إلا أنه بعض الطوائف الإسلامية كالخوارج والمعتزلة جعلته أصلا من أصول دعوتها في محاولة منها لتبرير مشروعية وجودها وسط المجتمع وتأثيرها في الدولة.
[32] الجابري(محمد عابد)، **فكر ابن خلدون العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي،** مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، 1994، ص188.
[33] بونابي، **المرجع نفسه،** ص188.
[34] ابن خلدون ، **المصدر نفسه،** ج6 ، ص 586.
[35]العامري(نللي سلامة)، **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي ،** دار الفارابي ــبيروت لبنان ، الطبعة الثانية 2006، ص294.

[36]كان مجال الزّاب خلال هذه الفترة مقسما بين الذواودة إلى ثلاثة مجالات مختلفة: فالجانب الغربي منه وقاعدته طولقة لأولاد محمد وأولاد سباع بن يحيى، أما الجانب الوسط وقاعدته بسكرة لأولاد محمد، وفي مجالاتهم وليعقوب بن علي وهؤلاء سيشاركون في حركة سعادة الرياحي ، في حين أنّ الجانب الشرقي من الزّاب وقاعدته بادس وتنومة فهو لأولاد نابت رؤساء كرفة ولا توجد أي إشارة على تأثّرهم بالأحداث.
[37]العامري، **المرجع نفسه،** ص294.
[38] الجابري، **المرجع نفسه،** ص188.
[39]يقدم ابن خلدون نوعين من الوازع: الأول هو الوازع المادي الذي يقوم على الغلبة والسلطان واليد القاهرة، أما الثاني فهو الوازع المعنوي الذي يمارسه شيوخ القبائل وكبرائهم و الديني الذين يبرز دور هذا الأخير حسب عابد لجابري في تقوية الروابط الاجتماعية.
[40] الجابري، **المرجع نفسه،** ص163.
[41] ابن خلدون، **المرجع نفسه،** ج1، ص198.
[42] قد تغافلت مصادر التاريخ العربي الإسلامي على إيراد الثورات الاجتماعية قام بها المستضعفون والمهمشون في عصور مختلفة للخلافات الإسلامية. ويفسر ذلك من الناحية الشكلية والمضمونية، فمن الناحية الشكلية أن الكتابة التاريخية للعالم الإسلامي عموما تغلب عليه وجهة نظر مؤرخي السلطة إذ كانت هنالك وظيفة تُسمّى مؤرخ البلاط في الخلافة الإسلامية، وكان هذا المؤرخ يكتب ما يرضي النظام القائم. كما كان المؤرخون الآخرون يخافون من توثيق

الواقع حتى لا تغضب السلطة عليهم. أما من الناحية المضمونية فإنه لم يقع تأريخ الحركات الاحتجاجية للمستضعفين حتى لا تبرز سلبيات السلطة الحاكمة.

[43] العامري، **المرجع نفسه**، ص276.

[44] العامري، **المرجع نفسه**، ص279.

[45] ابن خلدون، **المرجع نفسه**، ج1، ص199.

[46]الجابري، **المرجع نفسه**، ص189.

[47] Cote (M.), « *Biskra* » , Encyclopédie berbère, T.X, Aix-en-Provence, Edisud, décembre 1991, p. 1517-1522.

[48] حسن (محمد) ، **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، ج1 ، ص530.

[49] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص52 .

[50] حسن (محمّد) ، **القبيلة والدّين في الدّراسات التاريخية والأنثروبولوجيّة**، مجلة التسامح، سلطنة عمان (د، ت.).

[51] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص52 .

[52] برانشفيك (روبار)، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهاية القرن15**، جزءان، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الأولى1988، ج2، ص 350.

[53] ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص53 .

[54]ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص53 .

[55]ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص53 .

[56] بونابي، **المرجع نفسه**، ص201.

[57]كان ولاء المزنيين لملوك تلمسان زمن توسّعهم على بجاية قبل سنة1337م، وهو ما يظهر لنا حرص بني مزني إلى بناء تحالفاتهم مع الدول القوية والصاعدة لضمان استمرارية ملكهم. لكن هذا الولاء لم يدم طويلا فخلال التوسّع المريني الأوّل على المغرب الأوسط وافريقية(1337-1348م) بادر المزنيون بالتخلّي عن الطائفة التلمسانية والتحقوا بالطائفة الفاسية.

[58]ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج6، ص53 .

[59] أنظر : ابن خلدون(عبد الرحمان)، **رحلة ابن خلدون**، تعليق محمد بن تاويت الطَّنجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى2004.

بوحدية (عبد الوهاب) و(شابوطو) رمادي منيرة، **على خطى ابن خلدون**، دار الجنوب للنشر تونس2006.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة :

- القرآن الكريم

- برانشفيك (روبار)، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهاية القرن15**، جزءان، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الأولى1988.
- بوحدية (عبد الوهاب) و(شابوطو) رمادي منيرة، **على خطى ابن خلدون**، دار الجنوب للنشر تونس2006.
- بونابي(الطاهر)، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13 الميلاديين (نشأته–تياراته–دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع–عين مليلة 2004.
- الجابري(محمد عابد)، **فكر ابن خلدون العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، 1994.
- جلول(ناجي)، **الرّباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1999.
- حسن (محمد)، **المدينة والبادية في العهد الحفصي**، جزءان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى 1990.
- حسن (محمّد)، *القبيلة والدّين في الدّراسات التاريخية والأنثروبولوجيّة*، **مجلة التسامح**، سلطنة عمان(د، ت،).
- بن حمادي(عمر)، **الفقهاء في عهد المرابطين، محاولة للتعرف على دورهم السياسي**، أطروحة مرقونة لنيل شهادة التعمق في البحث في التاريخ الإسلامي، كلية الاداب والعلوم الإنسانية بتونس 1987.
- ابن خلدون(عبد الرحمان)، **رحلة ابن خلدون**، تعليق محمد بن تاويت الطَّنجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى2004.
- ابن خلدون(عبد الرحمان)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 1988.
- دغفوس (راضي)، *الهجرة الهلالية وانعكاساتها*، **تونس عبر التاريخ**، مركز الدراسات والبحوث القتصادية والاجتماعية تونس 2007.

- صالح علواني، *« انتشار الوَلاية في بلاد القبائل الرحل و تشكّل قبائل مرابطية ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/القرنين الثالث عشر و الخامس عشر ميلاديين »*، **Insaniyat** / **إنسانيات**، **61-60 |** 2013.
- العامري(نللي سلامة)، **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لافريقية في العهد الحفصي**، دار الفارابي ــبيروت لبنان، الطبعة الثانية 2006.
- عيسى(لطفي)، **مغرب المتصوفة الإنعكسات السياسية و الحراك الإجتماعي من القرن 10 م إلى القرن 17 م**، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية جامعة تونس، مركز النشر الجامعي تونس 2005.
- مصمودي(فوزي)، *الزّاب المصطلح والدّلالات*، **مجلّة أصوات الشمال**2011.
- الميلي(مبارك)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ثلاثة أجزاء، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي بيروت1976.

- Amri(Nelly), *« Zawiya et territoire en Ifriqiya du VIIe/XIIIe siècle à la fin du IXe/XVe siècle »* in Juliette de La Genière, André Vauchez et Jean Leclant (dir.), *Les sanctuaires et leur rayonnement dans le monde méditerranéen de l'Antiquité à l'époque moderne*, Cahiers de la Villa Kérylos, N° 21, Ed. De Boccard, Paris, 2010.
- Cote (M.), *« Biskra »* , Encyclopédie berbère, T.X, Aix-en-Provence, Edisud, décembre 1991
- Cote(M.), *« ZàB »*, Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.
Muchugh(N), *« WALI »*, Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005
- Rabbat(N), *«RIBAT»*, Encyclopédie de l'islam. Nouvelle édition etablie avec les concours de principaux orientalists. Leiden.Brill2005.
- Sourdel(Dominique et Jamine), *« Walaya »,* Dictionnaire historique de l'Islam, Paris : Presses universitaires de France 1996,p, 848.

النشاط الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة بريكة مابين 1931–1954

The reform activity of the Association of Algerian Muslim Ulama in the Barika region between 1931-1954

د– أسامة الطيب جعيل (*)[1]
ط–د أسماء جعيل[2]
[1] جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله
[2] المركز الجامعي الشهيد سي الحواس بريكة
Tayeb9912@yahoo.com
djailasma1@gmail.com

تاريخ الاستلام: 13 /2021/02 **تاريخ القبول**:16 /2021/06 تاريخ النشر : 2021/06/30

ملخص:

لقد كان الإصلاح من أبرز عوامل نهضة الجزائر ويقظتها، حيث اعتبرت الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أحد أهم الحركات التي ساهمت في محاربة الاستعمار الفرنسي ثقافيا وحضاريا، من خلال نشاطاتها المسجدية ومدارسها التعليمية التي انتشرت عبر ربوع الوطن، واستطاعت الجمعية في دفع حركة الإصلاح و النهضة بالمجتمع الجزائري من خلال تأسيس المدارس التعليمية و النوادي والجمعيات الدينية والثقافية، والتي نالت منطقة بريكة نصيبا منها بفضل نشاط أبناءها بشعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الكلمات الدالة: الحركة الإصلاحية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بريكة، النهضة، التعليم.

Abstract:

Reform was one of the most prominent factors in Algeria's renaissance and awakening, as the reform movement of the Association of Algerian Muslim Ulama is considered the most important national organization that contributed to the fight against French colonialism culturally and civilized, through its Mosque activities and educational schools that spread across the country, and the association was able to push the reform and renaissance movement Of Algerian society through the

---

(*) د– أسامة الطيب جعيل، tayeb9912@yahoo.com

establishment of educational schools, clubs, and religious and cultural associations, And which Barika won a share of it thanks to the activities of its sons in the Division of the Association of Algerian Muslim Ulama.

Keywords: the reform movement; the Association of The Algerian Muslim Ulama; barika; renaissance; education.

---

1. مقدمة:

إن تأثير دعوة ابن باديس الإصلاحية وجهوده التعليمية التي بدأها بالجامع الأخضر بقسنطينة منذ عام 1913 وصلت إلى المنطقة قبل إنشاء جمعية العلماء المسلمين يوم 05ماي 1931، وتوسع وقوي هذا التأثير وصار واضحا بعد ظهور الجمعية، بفضل جهود تلامذة ابن باديس، الذين درسوا على يد مشايخ الجمعية وعادوا إلى مواطنهم ليقوموا بنشر العلم و الفكر الإصلاحي.

ولقد ساعد على الاستجابة لدعوى الإصلاح، والإقبال على التعليم العربي، وجود أرضية ثقافية سابقة مهدت الجو ويسرت العمل، هذه الأرضية التي بلورها نشاط شيوخ الإصلاح في مؤسسات المجتمع العريقة رغم ما عانته من نقص الوسائل مثل:الكتاتيب القرآنية أو زوايا حفظ القرآن لتعليم الأطفال، والمساجد.

وارتكزت الحركة الإصلاحية بمنطقة بريكة على التعليم، لأنه لا يمكن أن يتحقق إصلاح ديني وفكري قبل إصلاح العقول ولا سبيل بذلك إلا بالتعليم، وبالخصوص التعليم الذي يشمل بالإضافة إلى مبادئ القراءة والكتابة دراسة التاريخ العربي و الإسلامي وذلك للحفاظ على المقومات الوطنية من دين وتاريخ ولغة.

وظهر نشاط جمعية العلماء المسلمين جليا بمنطقة بريكة بعد تأسيس الجمعية عام 1931 والتحاق أبناء المنطقة بالجامع الأخضر بقسنطينة، والنهل من مختلف العلوم والمعارف على يد

مشايخ الجمعية، ثم العودة إلى مدنهم و مناطقهم لنشر الفضيلة و التعليم ونبذ الفرقة والجهل و الشرك.

فنطرح الإشكال التالي: كيف تمثل النشاط الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين بمنطقة بريكة مابين 1931-1954؟

ونهدف من خلال هذا البحث، إلى التعرف على النشاط الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين بعد تأسيسها وتوسع نشاطها ليشمل مناطق الوطن، و كيف تمثل هذا النشاط في منطقة بريكة، والتعرف على رواد الحركة الإصلاحية بالمنطقة.

2.النشاط الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين في منطقة بريكة 1931-1954

1.2 الحركة الثقافية بمنطقة الأوراس والحضنة مطلع القرن العشرين:

إن تأثير دعوة ابن باديس الإصلاحية وجهوده التعليمية التي بدأها بالجامع الأخضر بقسنطينة منذ عام 1913 وصلت إلى المنطقة قبل إنشاء جمعية العلماء المسلمين يوم 05ماي 1931، وتوسع وقوي هذا التأثير وصار واضحا بعد ظهور الجمعية، بفضل جهود تلامذة ابن باديس الذين درسوا على يديه وعادوا إلى مواطنهم ليقوموا بنشر العلم و الفكر الإصلاحي.

ولقد ساعد على الاستجابة لدعوى الإصلاح، والإقبال على التعليم العربي، وجود أرضية ثقافية سابقة مهدت الجو ويسرت العمل، هذه الأرضية التي بلورها نشاط شيوخ الإصلاح في مؤسسات المجتمع العريقة رغم ما عانته من نقص الوسائل مثل:الكتاتيب القرآنية أو زوايا حفظ القرآن لتعليم الأطفال، والمساجد. [1]

فقد عرفت الحركة الثقافية بالمنطقة مع نهاية القرن التاسع عشر حركة جد بطيئة، لكن مع بروز جمعية العلماء المسلمين عام 1931، أخذت النهضة الثقافية والفكرية منحى آخر، تدعم بحركة تأسيس النوادي و الجمعيات و الأحزاب السياسية والمنابر الصحفية سواء الوطنية أو المحلية، وهناك عدة عوامل ساهمت في تبلور الحركة الإصلاحية بالمنطقة بعد الحرب العالمية الأولى من بينها:

– استقرار الأوربيين بالمنطقة مطلع القرن العشرين كان له الأثر الكبير في حياة السكان من عدة جوانبّ، فارتفع الحس الوطني ومشاعر الحقد اتجاه المعمرين، خاصة بعد مصادرة أراضي السكان لصالح المعمرين، إضافة إلى الاحتكاك بين السكان المحليين و الأوربيين من ناحية ثقافتهم وأسلوب حياتهم، حيث أن الأوربيين قاموا بتأسيس جمعيات ونوادي خاصة بهم، ودخول الصحف الأوربية من طرفهم كان له دور في الصحوة الأدبية و الفكرية لدى سكان المنطقة.

– اليقظة العامة التي دبت في المنطقة نتيجة الحرب العالمية الأولى وتطلع السكان إلى الإصلاح الشامل الذي ينهض بهم دينيا واجتماعيا وثقافيا من خلال عودة المجندين والمهاجرين من فرنسا واحتكاكهم بالثقافة الأوربية.

– الاتصال بالثقافة المشرقية عن طريق الطلبة و الحجاج والمصلحين الجزائريين.(2)

– عودة الطلبة الزيتونيين في هذه الفترة إلى المنطقة ومساهمتهم في النهوض بالحياة الفكرية.

– اتصال خريجي المدارس الأهلية الرسمية و مدارس المساجد والزوايا المنتشرة بالمنطقة بجمعية العلماء المسلمين وبعض مشايخها، وكان لهذا الاتصال الأثر الكبير في دفع الحركة العلمية و الاجتماعية والنشر والدعوة و التبليغ.

– ظهور الصحافة الوطنية ووصولها إلى المنطقة عن طريق المتعلمين والأدباء الذين ظهروا بالمنطقة على اختلاف مشاربهم مثل: الشهاب وجريدة صوت الأهالي.

– ظهور النوادي والجمعيات بالمنطقة والتي أخذت في البداية طابع التكافل الاجتماعي إلا أنها كانت مكان لتلاقح الأفكار، وكانت النوادي التي تأسست بالمنطقة في البداية تابعة لنشاط المعمرين.(3)

– الزيارات التي قام بها أعلام الحركة الإصلاحية الوطنية إلى منطقة الحضنة، من أجل دفع العمل وتثبيت أركانه والدعوة إلى الإتحاد، ومن بين العلماء الذين زاروا المنطقة نذكر: زيارة الشيخ عبد الحميد ابن باديس إلى بسكرة وسيدي عقبة وبريكة(4) عام 1931 (5)و بوسعادة 1932، ثم زيارة الشيخ عبد الحميد ابن باديس مرة ثانية إلى بريكة عام 1935(6)، وزيارة

الشيخ الطيب العقبي ومحمد البشير الإبراهيمي، وأحمد توفيق المدني، ومفدي زكرياء، ومحمد العاصمي، و الشيخ أطفيش، والشيخ إبراهيم بيوض، إضافة إلى زيارة رواد الحركة الوطنية مثل: مصالي الحاج، فرحات عباس ومصطفى الأشرف عام 1942.

– بروز شخصيات من المنطقة ومن خارجها عملت على تحقيق درجة مقبولة من المستوى العلمي والفكري في ظل عدم وجود إطار أو هيكل رسمي لهم، ومع توجيه عبد الحميد بن باديس لنداء تأسيس الجمعية في الشهاب، لبى شيوخ الإصلاح بالمنطقة هذا النداء، وانطلاقا من رسالتهم الدينية والإصلاحية فقد صححوا المفاهيم وأصلحوا العقائد ونقوا الأفكار من رواسب البدع والأفكار.[7]

ويتلخص دور جمعية العلماء المسلمين في المنطقة في ثلاث ميادين رئيسية:

أولا: الميدان الديني– الثقافي:

ويبرز خاصة في نشاط المساجد تعليما وإرشادا، فالمسجد قلعة الإسلام بالمنطقة، ومهامه لا تقتصر على العبادة فقط، بل تشمل كونه مدرسة لطلب المعرفة، ومكان للقضاء، والتداول في الشؤون العامة التي تهم المسلمين ...الخ.

ولذلك فلا غرابة أن يكون المسجد من أولى الوسائل في خطة الجمعية، تعتمد عليه في بث دعوتها ونشر رسالتها الإصلاحية برفع الجهل والخرافة من أذهان العامة وتعريفهم بالدين معرفة صحيحة، فكانت تقدم دروس دينية للعامة لهذا الغرض، ودروس أوسع للشباب الذين يرغبون في مواصلة تعلمهم في معاهد أخرى، كانت تقدم هذه الدروس عادة أواخر فصل الخريف و بداية الشتاء أو أوائل فصل الربيع لفترة تقارب الستة أشهر.

وهذا النوع من التعليم المسجدي كان موجودا قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين، فجاءت الجمعية لتدعمه وتطوره ما أمكن، بفضل شيوخ أضافوا إلى رصيدهم من العلوم الشرعية واللغوية مقدارا من روح العصر متمثلا في منهج ابن باديس، وما وصل إلى الجزائر من تأثيرات النهضة في المشرق العربي والإسلامي.[8]

أما البرامج الدراسية والكتب المقررة، فقد ظلت هي نفسها لقرون، بينما مس التغيير أسلوب التدريس، حسب اجتهاد الشيوخ وإمكانيات كل واحد منهم، ومن الكتب المقررة في التدريس نجد:

1- متن ابن عاشر ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة والفقه، الشيخ خليل في الفقه والأحكام.
2- كتاب الرحبية ولباب الفرائض، الذي يشرح علم المواريث.
3- في دراسة اللغة العربية وقواعدها نجد:كتاب الأجرومية، وقطر الندى، وألفية ابن مالك.

وتصدّر للوعظ بمسجد بريكة الشيخ موسى زقاق ثم الشيخ عيسى يحياوي بعده.

ثم إلى جانب دروس المسجد " الدائمة " هذه، كانت هناك دروس الوعظ والإرشاد " موسمية "، في عطلة الصيف وفي شهر رمضان، تجند لها إدارة جمعية العلماء وفودا من المشايخ يتوزعون على أنحاء القطر، ومن ذلك مثلا وفود صيف 1954 قبل اندلاع الثورة التحريرية، وما كان يسمى في تلك الفترة عمالة قسنطينة نجد:

1- الشيخ أحمد السرحاني في الأوراس ودوائره.
2- الشيخان: الطاهر مسعودان وأحمد السعودي ببريكة وعين التوتة و باتنة...
3- الشيخ إبراهيم بن عمار في منطقة خنشلة.
4- الشيخ الطاهر حراث في منطقة تبسة.

ومن تصدر للوعظ والإرشاد في شهر رمضان لعام 1954 بمسجد بريكة : الشيخ عيسى يحياوي.[9]

ونظرا لأهمية المساجد في الحركة الإصلاحية والثقافية فقد أولتها الجمعية عناية خاصة، وكافحت طويلا من أجل تحريرها مع الأوقاف واستقلالها عن الإدارة الفرنسية، في قضية كانت تسميها فصل الدين عن الدولة، وقد كتب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في هذا الموضوع سلسلة من المقالات في جريدة البصائر سنة 1949. [10]

ثانيا: ميدان التربية و التعليم:

ويتلخص في المدارس والتعليم العربي الحر، فبعد المساجد تأتي المدارس كمظهر بارز لنشاط جمعية العلماء المسلمين أو أن العمل يجري بالتوازي بينهما، فالقانون الأساسي لجمعية العلماء ينص في مادته السادسة على حقها في تأسيس شعب (فروع) في أنحاء القطر، وأن تفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم الابتدائي.

فبدأ تأسيس المدارس أو ما يعرف بالتعليم المكتبي بخطوات صغيرة، ثم تدرجت إلى أن تكونت في أنحاء الوطن مدارس حقيقية تحوز على قدر هام من التنظيم والفعالية، فجمعت المدارس بين حفظ القرآن وتعليم اللغة العربية وتطبيقها، وقد لخص ثلاثة شيوخ هذا الأمر للجمعية في مؤتمرها سنة 1935 وهم: محمد العابد، باعزيز بن عمر، مصطفى بن حلوش، فشخصوا أوضاع التعليم واتفقوا على أن حالته غير مرضية وحددوا الغاية منه وهي في رأيهم:

أ- تعليم اللغة العربية للأطفال لأنها:

- الصلة بينهم وبين أسلافهم.
- لسان القرآن الكريم والسنة النبوية.
- لسان الثقافة الإسلامية.(11)

واقترحوا إجراءات لتحسين الحالة، من بينها:

- أن تسعى الجمعية للحصول على إذن بإنشاء مدارس للعربية والدين عبر القطر الوطني.
- توكل إدارة المدرسة إلى شعبة الجمعية في البلدية أو القرية.
- المعلمون في هذه المدارس مسئولون لدى جمعية العلماء المسلمين عن عملية التعلم.
- تكون جمعية العلماء المسلمين وحدها المسؤولة لدى الحكومة عن مدارسها.
- تعيين مراقبين يزورون المدارس، يتابعون سيرها ويبلغون الجمعية بذلك.

كما ورد في التقرير أيضا توصيات تحت:

- اختيار المكان (المحلات) المناسب لتلك المكاتب أو المدارس.
- تأليف أو اختيار الكتب المدرسية المناسبة.

- دور العلماء في حث الأمة على أن تساعد كل مشروع من هذا النوع.
- كما على المعلمين أن يسلكوا أحدث الطرق الموصلة للفهم.[12]

وفي هذا الجو الحماسي التي توحي به وثائق المؤتمر سنة 1935، انطلقت الجمعية في إنشاء المدارس العربية الحرة في شتى أنحاء القطر، وأولها مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة سنة 1936، ومدرسة تهذيب البنين و البنات بتبسة في نفس السنة، أما في منطقة الأوراس فتشكلت أول شعبة لجمعية العلماء المسلمين مطلع سنة 1937 في قرية حيدوس دائرة ثنية العابد، ضمت وجوها معروفة لتلاميذ ابن باديس على رأسهم الشيخ عمر دردور، الشيخ الأمير صالحي، الشيخ محمد الغسيري ...، وتقرر بعد ذلك تكوين شعبة محلية في كل دوار، فتكونت تسعة شعب بالأوراس مهمتها تكوين الجمعيات الدينية في الدواوير، وظهرت إلى الوجود فعلا عشر جمعيات دينية حملت أسماء إسلامية إصلاحية في القرى الهامة بالأوراس[13].

أما بمدينة بريكة فقد تأسست **الجمعية الدينية** شهر ماي 1937 التي أخذت على عهدها احتضان الحركة الإصلاحية التي أرست قواعدها في البلدة، ثم تأسس **نادي الإصلاح** برئاسة السيد حمو موصلي الذي يرأس أيضا الجمعية الدينية، فكان النواة الأولى لظهور الحركة الإصلاحية وتأسيس شعبة جمعية العلماء المسلمين والمدرسة الحرة " **السنة** " برئاسة الشيخ موسى زقاق نهاية عام 1937، واعتمدت من طرف المحتل في ماي 1938.[14]

وكانت من مهام الجمعيات الدينية عبر القطر الوطني أن تقوم بما يلي:

- بناء المساجد وتعيين أئمتها.
- فتح الكتاتيب القرآنية.
- تشييد المدارس الحرة للتعليم الابتدائي.
- تأسيس النوادي.
- تعيين العلماء لإلقاء الدروس العلمية ودروس الوعظ والإرشاد.
- التكفل بتسديد أجور المعلمين.[15]

والتعليم في هذه المدارس كان يشمل البنين و البنات، ولقي إقبالا وتشجيعا من المواطنين، وكان على قدر من النظام ومسايرة العصر، وقد زاد عدد هذه المدارس بالتدريج في أنحاء الوطن لتبلغ عام 1944، 73 مدرسة، وفي سنة 1954 كانت الجمعية تشرف على نحو 150 مدرسة يتعلم فيها قرابة خمسة وأربعين ألف تلميذ كما بلغ عدد المعلمين سنة 1951 نحو 275 معلما، وواصلت المدارس مهمتها وحافظت في مناهجها على البرامج الدراسية المعروفة مثل مواد: اللغة والفقه والفرائض، وأضيفت مواد مثل: الحساب، التاريخ والجغرافيا، الأدب العربي، ودعمت بالأناشيد الوطنية والدينية و النشاطات الثقافية كالمسرحيات، كما كانت هناك مراقبة لأعمال المعلمين ودورات ولقاءات للتكوين قصد تحسين طرق التدريس وتوحيد المناهج والوصول إلى أفضل الأساليب. وعن تسيير هذه المدارس يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: " ... **أننا أسسنا هذه المدارس بفضل الله ثم بمال الأمة علينا الرأي والتدبير والتخطيط والإشراف، ثم التنظيم و التعمير وعلى الأمة ما وراء ذلك**... " .

ولم تسلم مدارس جمعية العلماء المسلمين من مضايقات السلطة الاستعمارية بين الحين و الآخر، ابتداءا بطلب الرخصة من المعلمين، إلى قرار الغلق أحيانا، إلى أنواع أخرى مثل التضييق على الوقت بين المدارس الرسمية و المدارس الحرة، إلى محاولة خلق مدارس وبرامج موازية تدعي تعليم اللغة العربية ...الخ،[16] ومن أمثلة ذلك تعرض مدرسة **السنّة ببريكة** لقرار غلق المدرسة لمدة خمسة أشهر من طرف الحاكم العام، مع نصب التهديدات والمضايقات لأعضاء الجمعية الدينية و المعلمين،[17] كما اضطرت الجمعية لنقل تلاميذ مدرسة التربية والتعليم قسنطينة إلى مدينة تبسة سنة 1940،ليعلمهم الشيخ العربي التبسي بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، [18]كما ضيقت السلطات على الشيخ أحمد السرحاني في مدرسته بتيغليسا بكيمل، مما اضطره للانتقال إلى الولجة بخنشلة، وتبعه كثير من تلاميذه.

– ثالثا: الميدان الاجتماعي:

ووسيلته الأولى النوادي الثقافية بالإضافة إلى ما تقدمه المساجد، ويعتبر ظهور النوادي الثقافية الرياضية وغيرها علامة على نشاط المجتمع وتقدمه ودليل على نهضته،فنادي الترقي الذي تأسس بالعاصمة عام 1927، كان ضمن بدايات اليقظة الاجتماعية والسياسية للجزائر بعد ركود وحرمان طويل، وبهذا المعنى أنشأت جمعية العلماء المسلمين بواسطة شعبها وفروعها نوادي في المدن والقرى الهامة من الوطن كإحدى الوسائل لنشر الوعي الوطني والثقافة الاجتماعية.

وهكذا أنشأت حسب البصائر أولى النوادي في سطيف شهر فيفري 1936 وفي عين البيضاء جويلية 1936[19]، وببريكة تأسس نادي الإصلاح ماي 1937[20] ، وفي باتنة تأسس النادي بشارع الجمهورية، و بدائرة آريس القديمة تأسست نحو ثمانية نوادي حملت أسماء: نادي الشباب، نادي الإرشاد، الإصلاح، الإتحاد، التقدم...، وحدث نفس الشيء بالنسبة لباقي مناطق الوطن، وغاية هذه النوادي استقطاب شريحة الشباب والاتصال بهم لأنه: إذا كانت المدارس للصغار والمساجد يؤمها عادة الكبار، فإن الشباب معرضون لآفات الشارع وأماكن الانحراف، فكان من واجب الجمعية أن تنقذهم من تلك الآفات، بواسطة تنشيط النوادي الثقافية.

حيث يتوفر مقر النادي على إمكانيات تسمح لهم باللقاء والتعارف وتبادل المعلومات لرفع مستواهم الفكري و الثقافي والأخلاقي، عن طريق المحاضرات والدروس والندوات والمؤتمرات، وبالجملة إشراكهم في مناقشة قضايا المجتمع بدلا من الانشغال بتوافه الأمور، وكانت بعض النوادي تشمل مكتبة وتقدم مسرحيات، ويكون تمويل النادي من عاتق اشتراكات أعضائه ومن التبرعات ومن فوائد بيع المأكولات والمشروبات.

2.2 الحركة التعليمية في منطقة بريكة مابين 1931–1962:

ارتكزت الحركة الإصلاحية بمنطقة بريكة على التعليم، لأنه لا يمكن أن يتحقق إصلاح ديني وفكري قبل إصلاح العقول ولا سبيل بذلك إلا بالتعليم، وبالخصوص التعليم القومي الذي

يشمل بالإضافة إلى مبادئ القراءة والكتابة دراسة التاريخ العربي و الإسلامي وذلك للحفاظ على المقومات الوطنية من دين وتاريخ ولغة.

فكانت المرحلة الأولى من التعليم العربي قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين تتمثل في عمل أفراد، محصورة في دائرة ضيقة من حيث الأسلوب وطرق التدريس والمناهج والبرامج، حيث أن التعليم العربي الإسلامي التقليدي هو السائد، والذي يرتكز على الكتاتيب والمساجد والزوايا وبقي مستمرا ولكن بصفة أقل، أما بعد سنة 1931 فصار التعليم يستهدف الناشئة بالتعلم والعامة بالوعظ والإرشاد، وفي نفس الوقت وضع برامج ومواد تدريس التفسير، الحديث، الفقه، الفرائض... والعلوم اللغوية مثل الأدب، والنحو، والصرف، وعلوم أخرى متنوعة كالمنطق والحساب والجغرافيا والتاريخ [21].

وقد اعتمد التعليم الإصلاحي في الغالب على التمويل المحلي سواء من خلال الجمعيات المحلية أو اشتراكات أعضائها أو إعانات أنصار الإصلاح في المنطقة أو بعض المحسنين، وهذا ما سجلته جريدة البصائر والشهاب لتبرعات أبناء المنطقة من أجل تأمين نفقات التعليم سواء على شكل شُعب تابعة لجمعية العلماء المسلمين مثل شعبة بريكة، أو كأفراد مثل: الحاج أحمد واشم، الشيخ عيسى بن محمد، الشيخ محمد الصديق قراوي.[22]

وفيما يخص تأسيس المدارس الحرة الخاصة بالجمعية في المنطقة، فقد تأسست شعبة الجمعية بمدينة بريكة سنة 1934 برئاسة الشيخ موسى زقاق، الذي أسس المدرسة الحرة " السنة " نهاية عام 1937، وكتب عن هذا التأسيس الشيخ أحمد قراوي بجريدة البصائر قائلا: " من نعمة الله على هذه البلدة التي تأخرت و تجرعت ذل الجهل و إهاناته أحقابا طوالا أن رزقها الله برجل عالم عامل ناشط لدينه ووطنه ألا وهو الأخ الكريم الشيخ موسى زقاق ، منذ رزق الله هذه البلدة به قادها إلى ما فيه خيرها و سعادتها وأزال عنها ذلك الحجاب ، فقد أسس أهل هذه البلدة السنة الماضية ناديا و مدرسة و جمعية و أقاموا الكثير من الحفلات فرحا بما ظهرت به البلدة من خير وسعادة"[23]، حيث بفضل جهود الشيخ موسى زقاق ، فكان الشيخ موسى زقاق أول مدير لمدرسة " السُنّة " التي تأسست عام 1937، واتبع الشيخ

موسى زقاق منهج جمعية العلماء المسلمين في الوعظ والإصلاح وتربية النفوس في المسجد بالموازاة مع التعليم في المدرسة الحرة علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية والتربية والتعليم، ومن المعلمين المساعدين للشيخ موسى زقاق نجد: علي بن سليمان، السعيد بن الطاهر، عبد الله بن الأخضري، أحمد قراوي بن الصديق، محمد الشيخ بن لمكي، محمد قادري، عمار السلطاني والطاهر حركات، محمد بن عامر بعلي الشريف [24].

وكانت هذه المدرسة متواجدة بالشارع الرئيسي للمدينة (avenu vellot)، والمنزل اليوم ملك لعائلة قوارف [25]، وفي عام 1942 اشتد المرض بالشيخ موسى زقاق، حيث يروي تلميذه:" ساسي دراجي "، أن مسؤولي المدرسة أخرجوا التلاميذ في صفين لزيارة الشيخ موسى، ودخلوا عليه يسلمون عليه الواحد تلوى الآخر ببيته الواقع بالشراع المغلوق قرب مسجد العتيق، وتأثر الشيخ بهذا المنظر وبقيت دمعته على خده [26]، وقبل وفاته قام الشيخ موسى زقاق بجمع بعض أعضاء اللجنة الدينية وأوصاهم بجلب الشيخ عيسى يحياوي إلى مدينة بريكة، فهو الذي يصلح لإيقاض ونهضتها [27]، فتم تحويل الشيخ عيسى يحياوي من مدينة خنشلة إلى بريكة، وسرعان ما ازداد عدد التلاميذ ولم تسعهم حجرات المدرسة القديمة، فشرع الشيخ عيسى يحياوي رفقة أبناء المدينة في بناء مدرسة السعادة التي تحاذي مسجد العتيق نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات.

استمر الشيخ عيسى يحياوي بمدينة بريكة إلى غاية عام 1948، حيث انتقل مديرا بمدرسة مشونش ببسكرة، وفي عام 1949 بعد مطاردة البوليس الفرنسي توجه الشيخ إلى فرنسا و أكمل مسيرته النضالية وجمع التبرعات لتوسعة مدرسة ومسجد بريكة، ودعما للحركة الوطنية وتجنيد الشباب، ثم قفل عائدا إلى أرض الوطن، حيث عينه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مديرا للمدرسة الحرة ببريكة التي بعد خمس سنوات ستخرج أول دفعة ، حيث زار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مدينة بريكة تكريما لها،[28] وبلغ عدد تلاميذها وتلميذاتها نحو 250.

وفي عام 1950 تم تجديد شعبة جمعية العلماء المسلمين بريكة، وتولى رئاستها الأعضاء:

- بعلي الشريف صالح رئيس الشعبة.
- دهيمي الحملاوي نائب رئيس الشعبة.
- قرفي مبارك الكاتب العام.
- قادري محمد نائب الكاتب العام.
- بن مكي محمد الأمين أمين المال.
- سي جلول مراقب.

وكل من السادة كأعضاء مستشارين:

- خوري محمد.
- زقاق محمد الصديق.
- بوحفصي محمد.[29]

3.2 .رواد الحركة الإصلاحية من منطقة بريكة 1931–1954

عرفت منطقة بريكة بروز العديد من أبنائها ضمن صفوف جمعية العلماء المسلمين، متصدرين حلقات العلم و التدريس والوعظ عبر ربوع الوطن، نلخص من برز في الجدول التالي:

الإسم واللقب	الميلاد	الوفاة	منطقة النشاط
موسى زقاق	1905	1942	بريكة
عيسى يحياوي	1909	1955	بجاية، خنشلة، بريكة، مشونش
محمد الدراجي ميهوبي	1906	1963	إينوغيسن، الحجاج، بريكة
أحمد واشم	1878	1942	بريكة
محمد بعلي الشريف	1902	1974	بريكة، عين ياقوت،

			راس العيون، الطاهير، زرالدة
أحمد قراوي	1918	1959	بريكة، معسكر، عزابة، العلمة
محمد قشي	1917	1967	عين التوتة
العربي غالمي	1920	2009	بريكة
محمد الدراجي نكوري	1892	1957	طولقة
الطيب عيلان	1911	2011	قسنطينة
أحمد يحياوي	1925	1984	غسيرة، تيفلفال، بريكة
موسى عدنان	1918	1998	بريكة
عبد الله بن بعطوش	1917	2007	بريكة
محمد قادري	1930	2003	بريكة
محمد عروة	/	2014	بسكرة،بريكة
عبد القادر بن موهوب لمدوكالي	1841	1936	امدوكال، بريكة، دوار لمسيل
أحمد حفيظ	1899	1960	امدوكال، بريكة، بلوزداد
محمد الصديق عروة	/	/	امدوكال
أحمد عروة	1926	1992	بلوزداد، العاصمة، قسنطينة

4. خاتمة:

عرفت منطقة بريكة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و التحاق أبناء المنطقة بالمسجد الأخضر بقسنطينة، والنهل من مختلف العلوم على يد مشايخ الجمعية، نهضة ثقافية وفكرية أحدثت تغييرا اجتماعيا وفكريا، ولقد مثل الجهد التعليمي والنشاط المسجدي في منطقة بريكة أبرز ميدان خاضته جمعية العلماء المسلمين من أجل تغيير العادات الذميمة ونشر الوعي و إنارة عقل أبناء المنطقة في مواجهة المد الاستعماري المجهل لأبناء الجزائر.

ولعل نجاح مشروع الجمعية يعود أساسا إلى الجهود التي بذلها رجال الإصلاح بالمنطقة خاصة في مجال التعليم و الدعوة، فتم تشييد المدارس الفردية والمدرسة الحرة التي أخرجت رجالا خدموا العلم والجزائر قبل وبعد الاستقلال.

5. الهوامش:

[1]–علي عزوزي، دور جمعية العلماء المسلمين في منطقة الأوراس، مقال ضمن كتاب: أضواء على نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الأوراس، صدر عن اللجنة التحضيرية للندوة التاريخية التكريمية،، دار الشهاب، باتنة، 2006، ص 25.

[2]– جويبة عبد الكامل، هجرسي خضراء، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالحضنة من خلال البصائر من 1919 إلى 1954 (التربية والتعليم أنموذجان)، مجلة مدارات تاريخية، جامعة الوادي، المجلد الأول، العدد الأول، مارس 2019، ص 17.

[3]– نفس المرجع، ص 18.

[4]–ظهرت مدينة بريكة منذ منتصف القرن الرابع عشر ميلادي على خارطة بلاد المغرب، وكان بنائها من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1840، واليوم تتبع إداريا ولاية باتنة.

[5]– الشيخ محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج01، مطبعة دحلب، الجزائر العاصمة، 1985، ص 96-97.

[6]– نور الدين جريدي، الشيخ موسى زقاق، مجلة أصوات الشمال مجلة الكترونية، مصر، فيفري 2012، ص04.

[7]– جويبة عبد الكامل، هجرسي خضراء، المرجع السابق، ص18.

[8]– علي عزوزي، المرجع السابق، ص 29.

[9]– الشيخ محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 261 -266.

[10]– نفس المرجع، ص 131.

[11]– علي عزوزي، المرجع السابق، ص 34.

[12]– نفس المرجع، ص 35.

[13]– الشيخ محمود الواعي، محاضرة في تاريخ الأوراس، مقال ضمن كتاب: تاريخ الأوراس، نشر جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، دار الشهاب، باتنة، 1989، ص 244.

[14]– محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر– الجزء الأول القطاع القسنطيني، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 1999، ص 135.

[15]– الشيخ محمود الواعي، المرجع السابق، ص 246.

[16]– الشيخ محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 156.

[17]– محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ص 136.

[18]– الشيخ محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 185.

[19]– الشيخ محمود الواعي، المرجع السابق، ص 249.

[20]– محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ص 135.

[21]– محدادي محمد، الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الأوراس " 1931-1956" (النشاط التعليمي أنموذجا)، المجلة المغاربية للمخطوطات، جامعة الجزائر02، العدد 05، جوان 2017، ص 233.

[22]– الشيخ محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 146.

[23]– قراوي أحمد بن الصديق ، جريدة البصائر ، العدد 03 ، الجمعة 08 محرم 1357 هجري الموافق ل 11 مارس 1938، ص 12.

[24]– محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ص 136.

[25]– لقاء بالشيخ رشيد بن بعطوش (أحد تلامذة مدرسة جمعية العلماء المسلمين 1940) ببيته بمدينة بريكة يوم: الجمعة 01 جانفي 2021 على الساعة 16:00 مساء.

[26]– لقاء بالشيخ ساسي دراجي (أحد تلامذة مدرسة جمعية العلماء المسلمين 1938) ببيته بمدينة بريكة يوم: الجمعة 01 جانفي 2021 على الساعة 17:00 مساء.

[27]– رابح خدوسي، موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين، ج02، منشورات الحضارة للنشر و التوزيع، تونس، 2014، ص 87.

[28]– منير الصغير، من أعلام الإصلاح في الحضنة الشيخ " عيسى يحياوي "، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، العدد 02، ماي 2017، ص 134.

[29]– جويبة عبد الكامل، هجرسي خضراء، المرجع السابق، ص23.

5. قائمة المراجع:

01- بن بعطوش رشيد (أحد تلامذة مدرسة جمعية العلماء المسلمين 1940) لقاء ببيته يوم: الجمعة 01 جانفي 2021 على الساعة 16:00 مساء.

02- جريدي نور الدين ، الشيخ موسى زقاق، مجلة أصوات الشمال مجلة الكترونية، مصر، 2020.

03- جويبة عبد الكامل، هجرسي خضراء، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالحضنة من خلال البصائر من 1919 إلى 1954 (التربية والتعليم أنموذجان)، مجلة مدارات تاريخية، جامعة الوادي، المجلد الأول، العدد الأول، مارس 2019.

04- خدوسي رابح ، موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين، ج02، منشورات الحضارة للنشر و التوزيع،ط01، تونس، 2014.

05- خير الدين محمد ، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج01، مطبعة دحلب، ط03، الجزائر العاصمة، 1985.

06- دراجي ساسي (أحد تلامذة مدرسة جمعية العلماء المسلمين 1938) لقاء ببيته يوم: الجمعة 01 جانفي 2021 على الساعة 17:00 مساء.

07- الصغير منير ، من أعلام الإصلاح في الحضنة الشيخ " عيسى يحياوي "، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، العدد 02، ماي 2017.

08- علي عزوزي، دور جمعية العلماء المسلمين في منطقة الأوراس، مقال ضمن كتاب: أضواء على نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الأوراس، صدر عن اللجنة التحضيرية للندوة التاريخية التكريمية،، دار الشهاب، ط01، باتنة، 2006.

09- فضلاء محمد الحسن ، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر- الجزء الأول القطاع القسنطيني، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 1999.

10- قراوي أحمد بن الصديق، جريدة البصائر، العدد 03، الجمعة 08 محرم 1357 هجري الموافق ل 11 مارس 1938.

11- محدادي محمد، الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الأوراس " 1931-1956" (النشاط التعليمي أنموذجا)، المجلة المغاربية للمخطوطات، جامعة الجزائر02، العدد 05، جوان 2017.

12- الواعي محمود ، محاضرة في تاريخ الأوراس، مقال ضمن كتاب: تاريخ الأوراس، نشر جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، دار الشهاب،ط01، باتنة، 1989.

انعكاسات الحرب العالمية الثانية على المغرب الأقصى 1939–1945م

Repercussions of World War II on Morocco Far 1939-1945 AD

د/ رشيد قسيبه[1]،

[1]جامعة الوادي rachid92944@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/15 **تاريخ القبول: 28 /2021/04** **تاريخ النشر: 2021/06/30**

ملخص:

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية التعرف على علاقة المغرب الأقصى بالحرب العالميةالثانية 1939–1945م، وسنحاول تبيين من وراء هذه العلاقة مدى تأثير المغاربة في هذا الحدث العالمي بداية من الشعب المغربي ودوره في التجنيد الإجباري، ثم إظهار موقف مكونات الحركة الوطنية من نزول الحلفاء ومدى استغلالهم لذلك، كما سنبرز موقف الملك محمد الخامس من الحرب العالمية الثانية ومبررات دعمه فرنسا رغم الرعاية الألمانية الهادفة لإستمالة المغاربة والاستفادة من جهودهم في هذه الحرب لنخلص في الأخير للوصول على مظاهر تأثيرهم وتأثرهم بهذا الحدث العالمي الكبير..

الكلمات الدالة: الحرب العالمية الثانية، المغرب، المحور، الحلفاء، محمدالخامس.

Abstract:

Through this research paper, we are trying to identify the relationship of Morocco Al-Aqsa to the Second World War 1939-1945 AD, and we will try to clarify from behind this relationship the extent of the influence of Moroccans in this global event, starting with the Moroccan people and their role in conscription, then showing the position of the components of the national movement on the descent of the allies and the extent of Their exploitation of this, and we will highlight the position of King Mohammed Elkham's of World War II and the justifications for his support to France despite the German sponsorship aimed at attracting Moroccans and benefiting from their efforts in this war, in order to conclude in the end to reach the manifestations of their influence and their influence with this great global event..

Keywords: World War II, Morocco, Axis, the Allies, Mohammed Elkham's.

____

1. مقدمة:

اندلعت الحرب العالية الثانية في بداية شهر سبتمبر عام 1939 موكانت امتداد لنتائج الحرب العالمية الأولى 1914م-1918م، وهذا بإجماع المؤرخين ذلك أن معاهدة الصلح فرنسا 1919م المذلة للألمان سببا كافيا للانتقام، والثأر من فرنسا وبريطانيا اللتان تسببا في ضياع نصف مساحة الدولة الألمانية وتشديد شعبها، ومهما كانت الأسباب هذه الحرب العالمية ودوافعها وأهدافها، فإن المغرب الأقصى باعتباره مستعمرة فرنسية اسبانية كانت بذلك جزء في هذه الحرب سواء بطريقة مباشرة عن طريق مشاركة المغاربة في مجرياتها سواد في جبهات القتال أو في حفر الخنادق أو غيرها من المهام العسكرية أو بطريقة غير مباشرة عندما ساهمت منتجاتها الزراعية من حبوب ومشتقاتها في تمويل فرنسا التي أصبحت في حالة حربب حيث توقف الإنتاج الزراعي على أراضيها التي كانت مسرحا للمعارك، كما عرفت المغرب تطورات سياسة هامة أثناء الحرب خاصة مع وجود حركة وطنية مغربية تهدف الى تحقيق حلم الاستقلال للشعب المغربي بحيث كان لها التأثير الهام على المشهد العام في المغرب في ظل دعما لملك لمطالبها، فما هي أهم هذه التطورات السياسية في المغرب أثناء الحرب العالمية الثانية؟ وماهي انعكاساتها على المشهد السياسي المغربي؟

2. أنشطة وأعمال الدعاية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية في المغرب الأقصى:

1.2. العوامل:

ساهمت العديد من العوامل التي جعلت المغرب الأقصى قابلة لأن تكون أرضا خصبة لمختلف أعمال ونشاطات الدعاية من طرف دول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية، وتعد السياسة الاستعمارية هي العامل الأساسي المساعد الذي جعل من المغرب بينه مساعدة لكل

عمل عدائي ضد المستعمر كلما سمحت الظروف وتوفرت الفرص خاص بعد ان استطاعت فرنسا واسبانيا القضاء على المقاومات الشعبية المسلحة وإخماد لهيبها، ومن المؤكد أن السياسة الاقتصادية لفرنسا واسبانيا ساهمت في زرع الحقد والكراهية لدى الشعب المغربي مما جعلهم يتقلبون كل عمل عدائي ضد المستعمر مهما كان مصدره، كما أن الحلفاء قدموا المغرب وحتى أثناء الاستعداد لذلك، اتصلوا بالأوروبيين وأهملوا عامة السكان، فقد أخذ مبعوثهم الى المنطقة يتصل بالأوروبيين المتواجدين هناك لكسبهم والوقوف في وجه دعاية المحور، متجاهلا الشعب المغربي وهي الغالبية الساحقة من السكان الذين عانوا من السياسية الاستعمارية مدة ثلاثة عقود، ولا يمكن أن نهمل عامل آخر مهم وهو تواجد أعداد كبيرة من الجالية الألمانية والإيطالية في المغرب.

وتهدف الدعاية الألمانية الى تحقيق مجموعة من الأهداف نذكر منها:

– تجنيد عناصر من المغرب في صفوف جيوش المحور، إذ أن هدف ألمانيا من الدعاية تدعيم صفوف جيشها من العناصر المغربية، حيث نجد أن أسرى الحرب الذين وصفوا تحت الضغط الدعاية الألمانية من خلال الفرق العسكرية التي أنشأت لهذا الغرض على غرار وحدة التدريب الجرمانية العربية والفيلق الأفريقي والحرس الشمال أفريقي[1].

– العمل على دفع المغاربة للتمرد والثورة على الفرنسيين لإضعاف الجبهة الداخلية للحلفاء، فبشكل عام يمكن تقسيم الدعاية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية إلى ثلاث مراحل اساسية الأولى من 1939م حتى 1940م، وهي تمتاز بالعمل على كسب ثقة الشعب المغربي ومحاولة دفعه الى الثورة والتمرد على الإدارة الاستعمارية والجيش الفرنسي معا[2] وعموما فالدعاية كانت موجهة ضد فرنسا وبريطانيا واليهود وتهدف الى تسهيل انتفاضة العرب في شمال أفريقيا في حالة قيام الحرب[3].

– كسب ثقة الأهالي ومنعهم من الانضمام الى الحلفاء، حيث كانت ألمانيا تسعى لكسب ثقة المغاربة، واضعاف ثقتهم في الفوات الفرانكو انجلترا، وتسعى لعرقلة التجنيد في جيوش الحلفاء[4].

2.2. الفئات المستهدفة:

وقد استهدفت أعمال الدعاية الألمانية العديد من الجهات الموجودة في المغرب المحاولة تجنيدهم للوقوف مع المحور وإلحاق الهزيمة بالحلفاء وهذه الفئات هي:

السكان المحليين(الأهالي): يبدو أن السكان المحليين هم لمستهدف الأول من أعمال وأنشطة الدعاية باعتبارهم الفئة الأكثر قابلية لتقبل الدعاية والاندماج فيها والتأثر بها.

الجاليات الأوروبية: من بين الذين تم استهدافهم من خلال أعمال الدعاية هي تلك الجاليات الأوروبية التابعة لدول المحور خاص ايطاليا واسبانيا التي كانت تعيش في المغرب منذ عقود.

الأسرى المجندين: حاولت ألمانيا استغلال أسرى الحرب فوجهت لهم شتى أنواع الدعاية.

زعماء الحركة الوطنية: حيث كان للألمان اتصالات بزعماء الحركة الوطنية في المغرب، حيث اتصل الا كان بزعماء الحركة الوطنية في الشرق والغرب المغربي مثل التهامي الوزاني وعبد الخالق طريس، لقد كانت السياسة الألمانية تحاول تحقيق نظام أورو افريقي جديد، يستجيب لطموحات النظام على حساب الاطماع الاستعمارية للدول اللاتينية[5].

3.2. الوسائل:

استخدمت ألمانيا العديد من الوسائل وأسست مصالح وأجهزة خاصة بالدعاية أثناء الحرب العالمية الثانية ومنها:

مصلحة الدعاية: بدأ الألمان منذ منتصف الثلاثينات في إنشاء الهياكل التي ستقوم بأعمال الدعاية، إذا انشا مصلحة خاصة بذلك تابعة لوزارة الخارجية منذ عام 1934م، هذه المصلحة كانت تحت إشراف ألفريد روزباريغ وقد كلفت بالدعاية في شمال افريقيا، وما يمكنه

ملاحظته أن الألمان كانت لهم اهتمامات بالمغرب منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى، تعود الى عهد غوليوم الثاني، عندما قام بزيارته المشهورة الى طنجة عام 1905م، وخلال وبالتعاون مع حليفته تركيا، باشر الألمان دعاية نشيطة اتجاه المناضلين الجزائريين مستغلين الدعوة إلى الجهاد التي نادى بها السلطان محمد الخامس في المغرب[6].

مكاتب الدعاية: استعداد للحرب قام الألمان بتجنيد قدراتهم الدعائية في كثير من العواصم، وفي المغرب في بعض المدن مثل تطوان وفاس وبستة وطنجة التي كانت سباقة في استقلالها أي منذ سنة 1932م.[7]

الجواسيس والأعوان: وهم من أهم وسائل الدعاية لدى مختلف أطراف الصراع وتواجدهم دائم في أرض المعركة ربما قبل حتى إندلاعها، فقبل اندلا ع الحرب العالمية الثانية ازداد نشاط الجواسيس الألمان في المغرب، وعند بداية الحرب كانت البلاد تغص بهم، وتحولت في الواقع الى رأس جسر لألمانيا الهتلرية في شمال افريقيا[8].

وسائل الإعلام: سخرت ألمانيا مختلف وسائل الإعلام المتوفرة لخدمة أغراض الدعاية منها الإذاعة، فقد خصص الألمان حصصا بالعربية في راديو برلين، وراديو باريس الدولي، وأن الاهالي كانوا حارصين على الاستماع اليها، وقد أعلنوا في إذاعة باريس بالذات التي افتتحوها في 20 جويلية 1940م "إن اصوات المسلمين في شمال افريقيا، التي طالما خنقتها فرنسا سيكون في مقدورها منذ الآن أن تكون مسموعة في باريس عاصمة فرنسا نفسها"[9].

3. نزول الحلفاء بالمغرب الأقصى:

1.3. ظروف نزول الحلفاء:

قبل الحرب العالمية الثانية كانت المغرب خاضعة للحماية المزدوجة الفرنسية الإسبانية الأمر الذي سهل على ألمانيا وصفة خطة دعائية انطلاقا من المغرب لتعميمه على باقي في شمال افريقيا[10] وبعد انتصار الجنرال فرانكو[11] على حكومة مدريد تغيرت السياسة الاسبانية جذريا خاص بعد سقوط فرنسا عام 1940م في يد الألمان، ولهذا قامت دول المحور بعدة تحصينات

عسكرية وأصبح المغرب مخزن لأسلحة وذخيرة ضخمة، واستعملت كل امكانيات المنطقة من مطارات ووسائل المواصلات لأغراض حربية، كما تحولت مدن طنجة وسبتة ومليلية مركزا للمخابرات الألمانية التي تقوم الى جانب الجوسسة بتوزيع ونشر المنشورات[12].

وقامت اسبانيا باحتلال طنجة وسيطرت على كل مقدرات المدينة الاقتصادية والاستراتيجية من الميناء الى الخزينة وغيرت النظام الدولي بنظام خاص ملحق برئاسة الدولة الإسبانية، وحدث تقارب بين فرانكو وزعماء الحركة الوطنية وخاصة في الشمال المغربي[13]، وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية كان معظم أعضاء الأضراب الوطنية في السجون وشهد نشاط الوطنيين نوعا من الجمود من جهة، وتم تجنيد المواطن المغربي لصالح المجهود الحربي، وهذا التجنيد اعتمد على الخطاب الذي ألقاه محمد الخامس "من اليوم والى أن تتوج جهود فرنسا وحلفائها بالنصر"، يجب أن أقدم لها كل عون دون ضغط لن نبخل بأي مواردنا، ولن نتردد في بذل أي قضية، حيث استطاعت فرنسا أن تجند 20 ألف مغربي دفعة أولى ثم ارتفع الى 300 ألف جندي، وكانت مساهمة المغرب الأقصى إلى جانب فرنسا فعالة في الحرب فبالإضافة الى تجنيد المغاربة للصفوف الفرنسية، ثم استغل الاقتصاد المغربي الى صالح المجهود الحربي، ومن أهم الحملات التي شارك فيها المغاربة:

- حملة بلجيكا وفرنسا في جانفي 1940م.
- حملة تونس في ماي 1943م.
- معركة كاريغليانة والدخول الى روما في ماي 1944م.

وبدخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب في نهاية عام 1941م عقد لقاء بين الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت والوزير الأول البريطاني ونستون تشرشل على متن سفينة "بوتوماك" التي كانت راسية في المياه الكندية، وفي هذا اللقاء وضع ميثاق الأطلسي ووقع عليه الزعيمين وفيه حددت المبادئ التي يجب أن يعمل الحلفاء على تطبيقها لصالح الشعوب بعد انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء[14].

2.3. نزول الحلفاء بالمغرب الأقصى:

كان نزول القوات الأمريكية بالمغرب الأقصى خاضعا لعدة اعتبارات وأسباب هي:

بعد سقوط فرنسا في يد الألمان وخضوعها لحكومة فيشي وأصبحت المغرب قاعدة استراتيجية لدول المحور، وأخذت العلاقات الفرنسية المغربية تتراجع لصالح الولايات المتحدة الأمريكية فتم التوقيع على اتفاقية "ويغار مارفي" والتي نصت على السماح للولايات المتحدة الأمريكية بتصدير بعض السلع الى المغرب بشرط عدم السماح بتصدير هذه البضائع الى دول المحور.[15]

الموقع الاستراتيجي للمغرب وأهميته للولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية، وذلك كانطلاقه رئيسية لمحاصرة ألمانيا والقضاء عليها، وكان المغرب قبل سنة 1939م سوق للسيارات والمحروقات الأمريكية وكان نزول القوات الأمريكية بشواطئ البيضاء، آسفي، والقنيطرة فطلب الجنرال نوكيسن[16] من محمد الخامس بنقل عاصمة المغرب من الرباط الى فاس مؤقتا، ولكن السلطان يفض ذلك وكان مؤيد بشدة نزول الحلفاء بالمغرب خاصة بعد قطع الحلفاء وعد بأن يمنحوا الاستقلال للبلدان المستعمرة التي شاركت في الحرب منذ التوسع الالماني.

4. موقف الحركة الوطنية المغربية من نزول الحلفاء:

1.4 موقف الحزب الوطني في المنطقة الفرنسية:

جرت العديد من الإتصالات مع الألمان في المنطقة الفرنسية، والمحاولة الأولى قام بها أحمد بلا فريج، حيث قام بجولة بين فرنس وسويسرا واسبانيا وطنجة، ولم يرجع الى الرباط إلا في عام 1943م، وأثناء هذه الجولة اتصل بالألمان تأكد من خلالها بأن دول المحور غير مقتنعة بتحرير المغرب من الاستعمار الفرنسي، وبعث برسالة للخرب فيها خلاصة النتائج التي توصل إليها ويخبرهم أن المغرب لا يمكن أن يحصل على أي حق من ألمانيا لو انتصرت.

كما تكررت الاتصالات مع دول المحور من خلال لجنة تضم عبد الخالق طريس وأحمد بلا فريجو الطيب بنوبة، وكان لهذه اللجنة اتصالات في محاولة لإعتراف ألمانيا باستقلال المغرب.

أدرك أعضاء الحزب الوطني أن مصير الحرب لن تقرره ألمانيا، خاصة بعد دخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الحلفاء وانعقاد ميثاق الأطلسي أوت 1941م، حيث جرت اتصالات بين الإدارة الفرنسية والحزب الوطني وأعلن هذا الأخير تأييد الحلفاء بإسم لجنة الطائفة وهي الجناح السري في الحزب الوطني.

تعتبر سنة 1943م سنة مفصلة في افكار الحزب، حيث بدأت تظهر البوادر الأولى للمطالبة بالاستقلال وكثفت الاتصالات بين قادة الحزب سواء في المنطقة الاسبانية أو الفرنسية ليتبلور مشروع المطالبة بالاستقلال[17].

2.4. موقف حزب الإصلاح الوطني في المنطقة الإسبانية:

حاول عبد الخالق الطريس استغلال انتصار الألمان عام 1940م أثناء زيارته لألمانيا على رأس البعثة المراكشية في شهر جانفي من خلال الحصول على وعد من ألمانيا باستقلال المغرب، وحاول بعض الوطنيين الإتصال باللجنة الألمانية[18] في المنطقة ولكن لم تكن أجوبتها واضحة ولم تلتزم بأي وعد، وفي 16 سبتمبر تسلم القنصل الألماني في تطوان برقية من حكومته ببرلين تعلن أن حل مشكلة المغرب وباقي دول المغرب أصبح من اختصاص ايطاليا بعد هزيمة فرنسا لتكلفها بشؤون الأبيض المتوسط[19].

كان الشعب المغربي يأمر بتحرير المغرب على يد ألمانيا، ومع نهاية 1942م أنشا المناضلون التونسيون في برلين مكتب للمغرب العربي قام بنشاط اعلامي ودعائي واسع هدفه استقلال المغرب العربي ووحدته في نطاق الوحدة العربية، وقد أشرف هذا المكتب على تجنيد المغاربة في ألمانيا واصدار جريدة "المغرب العربي" وتنقل مناضلون بين العواصم الأوروبية لنشر أفكارهم، واستقروا مدة في باريس لتأطير الجالية المغربية هناك وتوعيتها بأهمية الوحدة وانتهاز الدعم لتحرير المغرب العربي، وفي عام 1942م وقع ميثاق بين حزب الاصلاح الوطني

وحزب الوحدة المغاربية وتكونت جبهة قومية لتوحيد النضال من اجل الاستقلال والحرية والوحدة، فقد دعت الجبهة إلى استقلال المواطنين تحت حكم الاسرة العلوية، وكان من أبرز أعمال الجبهة القومية هو تقديم مذكرة الى قناصل الدولة الأجنبية المعتمدية في مدينة طنجة طالب فيها باستقلال المغرب ووحدة أراضيه وكان ذلك في 24 فيفري 1943م، وعندها علم حزب الاصلاح بوثيقة الاستقلال المقدمة الى الملك محمد الخامس في 1944م، بادر إلى تقديم رسالة الى الملك في فيفري 1944م ضم فيها صوته الى جانب حزب الاستقلال، مؤيد مطالبة الهادفة الى استقلال المغرب[20].

5. مؤتمر أنفا 24 جانفي 1943م:

كان موقف الملك محمد الخامس واضحا من الحرب العالمية الثانية حيث وجه نداء الى الشعب المغربي يوم 03 سبتمبر 1939م يدعوا فيه الى الوقوف الى جانب فرنسا وحلفائها في محنتهم العصبية، وتقديم جميع المساعدات الممكنة لهم، وتلي هذا النداء في مختلف مساجد المغرب[21]، وجاء فيه "فمن هذا اليوم الذي اتقدت فيه نيران الحرب والعدوان، الى اليوم الذي يرجع فيه أعداؤنا بالذل والخسران، يتعين علينا أن نبذل لها الإعانة الكاملة، ونعضدها بكل ما لدينا من الوسائل غير محاسبين ولا باخلين، فقد كنا معاهدين لفرنسا ومشاركيها في ساعة الرخاء، ومن الانصاف أن نشاركها اليوم في ساعة الشدة والبأس، حتى يكلل النصر أعمالها ويزهر سرور النجاح أيامها، والله ولي النصر والتوفيق والسلام ...[22].

وقد أظهر الملك رغبته الأكيدة في أن يظهر المغرب في مظهر الحليف الوفي، ولم يرد أن يكون الجيش المغربي مجرد جيش مقابل، بل أحب أن يعتبر المغرب كدولة مقاتلة من أجل العنصرية واضطهاد الشعوب، حتى ينسى له أن يطالب باسم هذا المبدأ فيما بعد الحرب[23].

قرر قادة الحلفاء عقد اجتماع من أجل التخطيط لما بعد الحرب وتحديد مصير العالم الجديد وملامح العلاقات الدولية رافعين شعارات الحرية ومبدأ الحوار وسلوك الطرق السليمة لفض مختلف النزاعات وبؤر التوتر عبر أرجاء العالم والاعتراف نحو كافة الشعوب بتقرير مصيرها[24]

انعقد الاجتماع بفندق أنفا بالدار البيضاء ما بين 14 و24 جانفي 1943 باقتراح من الرئيس الأمريكي روزفلت والوزير الأول البريطاني تشرشل فيما تخلف ستالين عن اجتماع القادة بحكم مسؤوليته الكبيرة في الحرب، بينما حضر كل من الجنرال ديغول قائد المقاومة الفرنسية وشريك الحلفاء في الحرب والجنرال هنري جيرو بصفته الرئيس القائد المدني العسكري لمستعمرات فرنسا بشمال والغرب الافريقي[25].

وجه الرئيس الامريكي روزفلت دعوة الى الملك محمد الخامس يوم 22 جانفي 1943م لحضور مأدبة العشاء التي أقامها على شرفه بمقر اقامته في دار السعادة بحي أنفا وكان السلطان مصحوبا بولي عهده الحسن الثاني محمد المقري الصدر الأعظم ومحمد المعمري رئيس التشريفات الملكية[26]، ويضيف الحسن الثاني في كتابه التحدي "استدعانا رئيس الولايات الامريكية المتحدة لعشاء اقامه على شرف ابي، كان هذا بأنفا قرب الدار البيضاء وفي المكان الذي أعلنه منه روزفلت بأن الحرب ستستمر إلى الاستسلام اللامشروط لدول المحور[27]"، كما وصف قائلا "وعندما كنا نترك مائدة العشاء استأذن البعض في الانصراف فأذن لهم بينما تمسك بنا الرئيس الامريكي ورحانا أن نبقى، وهكذا وجدنا أنفسنا مجتمعين مع فرانكلين روزفلت، وونستن تشرشل، وروبرت مورفي، ووالدي وانا، وبعد حديث دار حول الحالة العامة أخذت المحادثة شكل محوري بين الرئيس، ووالدي وأكد الرئيس الأمريكي أن النظام الاستعماري عفا عليه الزمن وأصبح في رأيه محكوما عليه بالزوال"[28] أثناء هذا اللقاء طرح الملك محمد الخامس قضية المغرب وتطلعان الحركة الوطنية، وإذا كان الرئيس الامريكي روزفلت تجنب تقديم وعد صريح لمساندة المطالب الوطنية المغربية، إلا أنه أبدى تفهما كبيرا لرغبة المغاربة في التحرر قائلا: "... إننا لم نعد الآن في سنة 1850م، ولا في سنة 1912م، ونتطلع لليوم الذي سيصل فيه المغرب يسر إلى الاستقلال وفقا لمبادئ الحلف الاطلسي متمنيا أن يكون هذا اليوم قريبا، يوم أن تضع الحرب أنوارها ..."، وأكد أيضا للملك أن

تغييرا جذريا سيحصل على خريطة العالم بعد انتهاء الحرب قائلا: "بعد الحرب ستصبح اعادة التنظيم للمجتمعات الاسبانية ضرورة ملحة ..."[29].

وفي هذا اللقاء عبر الرئيس الامريكي روزفلت عن استعداد بلده لتقديم المساعدات الاقتصادية الضرورية لتحسين الأوضاع المتردية للمجتمع المغربي بعد حصوله على الاستقلال، "إن الولايات المتحدة تكتفي يومئذ بوضع أية عراقيل في وجه استقلال المغرب فحسب، بل أنها تخص المغرب المستقبل كذلك بمعونات اقتصادية"[30]، ويؤكد محمد الحسن الوزاني أن محادثة رسمية يوم 23 جانفي 1943م وقعت بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية مثل المغرب فيها كل من الصدر الأعظم محمد المقري ومدير التشريفات محمد المعمري، ومثل الولايات المتحدة الأمريكية هو بكينس مستشار الرئيس روزفلت الخاص، لكن ما ورد في المحادثات ظل سرا وظل غير معروف لأحد، ولولا عثور محمد الوزاني على نسخة إنجليزية من وثيقة الاجتماع كما عرف تلك المحادثات، والوثيقة عبارة عن أربعة أسئلة طرحها ممثلا المغرب على هو بكينس وهذا نصها: "لقد شرح الصدر الأعظم أن الموضوع الذي ستتناوله المناقشة لن يطلع عليه إلا الرئيس، بحيث لا تعرف المحاورة أي سلطة أخرى باستثناء الولايات المتحدة الامريكية، وقد يكون الافضل عدم مناقشة أي شيء لم يتوصل إلى الاتفاق حول الموضوع المشار إليه أعلاه[31].

وأكد السيد هو بكينس للصدر الأعظم أن ما يرغب فيه سيحرم تماما وأن الموضوع الذي سنناقش لن يعلمه غير الرئيس، فصرح الصدر الأعظم بأن اربعة اسئلة تحتاج إلى أن تعرض على اهتمام الرئيس بالسؤال الاول: لقد سمع جلاله الملك بأن اجتماعا للتباحث يدور الآن بين الجنرال جديد والجنرال ديغول وأن فرنسا التي تشعر بعدم الأمن تريد أن تغير هذه الحالة قبل الاتجاه الى غيرها ومنذ 08 نوفمبر يوم نزول الجيوش الأمريكية في المغرب ظلت العلاقات مع فرنسا مضطربة وذلك نتيجة وجود عدد من الفرق المنشقة، وليس للملك أي اعتراض على الجنرال نوكيس فهذا الأخير رجل اداري كفء وعلاقته مع الملك والحكومة والشعب

جيدة، ولكن الجنرال نوكيس اقترح منذ 8 نوفمبر برنامج عمل وعلى الفور عارضة بعض الديغوليين أو اصحاب جماعة فيشي[32].

أن الملك متخوف بسبب ما ذكر آنفا، وقد تلقى بسرور مجيء جيوش الولايات المتحدة الامريكية اتجاه المغرب؟ واية علاقة ستونع مع الولايات المتحدة؟ ومن أجل أن يقرر سياسته المستقبلية يود الملك معرفة السياسة القارة للولايات المتحدة فيما يخص المغرب[33].

السؤال الثاني: لم يكن اليهود الشعب المتفوق في المغرب، بل كانوا دائما وبكيفية محددة جدا ثانويين عددا ونفوذا، وكانوا يعاملون معاملة حسنة من المسلمون، ولكا حلت لجنة الهدنة الألمانية بالمغرب ألح أعضائها أول الأمر على معاملة اليهود فيه كما كانت معاملتهم في ألمانيا، فامتنع الملك بقوة من أن يفعل هذا.

إن الحالة الراهنة ناشئة عن قرون من التعايش، فالمسلمون محتاجون الى اليهود كما كان اليهود محتاجون الى المسلمين، ولا توجد مشكلات يهودية في المغرب، ولن تكون في المستقبل إذ بقي هذا الموضوع كما هو الآن، وقد ظن بعض اليهود أن مجيء الجيوش الامريكية يعني أن سيضعهم في مراكز قوة ونفوذ بالنسبة للمسلمين وهذا ما يجب ألا يقع.

السؤال الثالث: أن للمغرب احتياجا كبيرا للتزود ببعض مواد التموين والألبسة والأجهزة ...، وقد تعرض نفوذ الولايات المتحدة بكيفية أو بأخرى في هذه المسألة كما دلت عليه التصريحات التي أكدت أن هذه المواد الضرورية ستصل، والمؤمن ان احتياجات المغرب الأكثر أهمية يمكن تنفيذها قريبا[34].

السؤال الرابع: أن الملك متأكد أن الحرب ستنتهي بانتصار الولايات المتحدة الامريكية وستعقب هذا الانتصار معاهدة سلام، وعندما يحين وقت التداول في شروط السلم نيوي الملك أن يرتمي بين يدي السيد روزفلت بشروط قبول السيد روزفلت وكذلك بلاده[35].

فإذا قبل السيد روزفلت عروض الملك الرامية الى استفتاء شعبه فإنه متأكد من أن شعبه كله سواء في المنطقة الفرنسية أو الاسبانية سيكون موافق وراضيا بأن يضع مستقبله بين يدي روزفلت.

وصرح الصدر الأعظم بأن للسؤال الأخير أهمية تتطلب أن يحفظ بمنطلق السرية والكتمان، وبأنه يرغب في أن يعرض على السيد روزفلت وحده فأكد السيد هو بكنيس أن هذا السؤال لن يعرفه إلا السيد روزفلت، وبما أن السيد هو بكنيس كان مطلعا على وجهات نظر السيد روزفلت فقد أعلن أن يستطيع أن يعطي فورا جوابا مقنعا عاما.

الجواب العام:

ان السيد روزفلت يعتقد أن هذه الحرب معركة حياة أو موت وفي الوقت الراهن يجب أن تبذل كل الجهود لهزم ألمانيا وايطاليا واليابان، ومعتقد أننا سننجح وأن انتصارا تاما سيتحقق، وستواصل الحرب الى أن تقبل ألمانيا وبريطانيا واليابان الاستسلام بلا قيود ولا شرط.

ويعي الرئيس الصعوبات التي تواجه الآن المغرب، كما يدرك أن الملك كان عالما بما حاولته لجنة الهدنة الألمانية لإكراهه على الامتثال بمطالبها، فقد ظهر كرجل حازم وقوي وهذا ما يهنئ به الرئيس نفسه، ويعلم كذلك أن الملك رجل عظيم.

وفي الماضي دخل الجيش البلاد، وبعد إعادة السلم إليها بقي فيها بدعوة أو بأخرى أما الجيش الامريكي فلن يبقى في المغرب[36].

وقد استغلت البلاد القوية البلاد الضعيفة وامتصت الثروة والخيرات فأخذت خارج البلاد لمنفعة البلاد القوية، وراح السيد هو بكنيس أن يؤكد المصدر الأعظم للملك أن الولايات المتحدة لا تنوي استغلال المغرب، بل يتمنى وضع علاقة اقتصادية وثيقة، خصوصا وأن الطائرات ووسائل النقل البحري الأخذة في التقدم ستسمح للبلدين بأن يكونا أكثر تقارب ويعلم الرئيس أن كثيرا من شعوب هذا العالم لم تظهر بقسطها العادل من الخيرات كما يعلم أنها تستطيع التمتع بها، وستتوفر على هذه الخيرات بعد الانتصار، ويعتقد الرئيس أنه لا توجد

أسباب تدعو الى تغيير الحكومة الحالية في المغرب، لأن هذه الاخيرة سمحت له بزيارة هذا البلد وبعلاقات الملك وقد تأثر الرئيس تأثرا عميق، وستكون زيارته ذات فائدة حيث أنه أصبح صديقا كبيرا للملك والبلاد[37].

وصرح هو بكنيس أنه لا يستطيع أن يعطي جوابا نهائيا على كل الاسئلة، وفيما يخص المدنيين فسيرسل، وتبقى الأسبقية للحاجيات العسكرية، ويعرف الرئيس أن الشعب المغربي هو صاحب الشأن، ويجب أن لا يكون هذا بكيفية غير عادلة، ويمكن انتصار النتيجة النهائية بدون شك أو ريب، وشكر السيد هو بكنيس الصدر الأعظم على صراحة معلنا أنه سيبلغ الرئيس التقرير الكامل والصحيح عن هذه المناقشة وفي الحقيقة يعتبر لقاء أنفا فاتحة لعهد جديد في علاقات المغرب مع الخارج فقذف به في أحضان الصراعات الدولية كفاعل يتحاور حول مصير الحرب وتوجهاتها خارج اطار الدولة الحامية، كما فتح في الوقت نفسه آفاقا واسعة أمام الحركة الوطنية المغربية أمدها بمزيد من التطلع لتقديم مطالبها للاستقلال .

ان غاية الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا من الملك محمد الخامس هو الحفاظ على الهدوء بالمنطقة وضمان حيادها حتى يتسنى لهم استعمالها استراتيجيا فيما يخدم توجه الحرب والقضاء على دول المحور، وفي هذا الصياغ يقول الحسن الثاني "... لم يمر وقت طويل حتى أدركنا أن روزفلت وتشرشل لم يكن همهما في جانفي 1943م تحرير المغرب من النير الاستعماري، وانما كان اهتمامهما منصبا بالأساس على تحييد المغرب ليهزم المارشال رومل وتتمكن قوات الحلفاء من النزول في ايطاليا ... "[38].

6. حزب الاستقلال ووثيقة الاستقلال:

غيرت الظروف الناشئة عن الحرب العالمية الثانية طبيعة الحركة الوطنية إذ تحولت من حركةإصلاحية الى حركة إستقلالية، وأصبحت ترفض مبدأ الإصلاحات على اعتبار أنها مستحيلة التحقيق في ظل الاستعمار، وهكذا أضحت كل الأحزاب الوطنية تطالب بالاستقلال، وقد شكل تقديم وثيقة 11 جانفي 1944م محطة رئيسة في هذه المسيرة[39].

وظلت هذه العوامل تختمر في الاذهان بعد مؤتمر الدار البيضاء سنة كاملة الى أن اجتمع حول الفكرة الجديدة كل الشباب المفكر، وهنا برز شخص جديد ليحمل لواءها بينهم، هو السيد أحمد بلا فريج[40] الذي سار بخطوات سريعة نحو المقدمة واستطاع أن يؤلف حزبا جديدا يضم إليه جميع العناصر الوطنية في البلاد أطلق عليه إسم حزب الاستقلال "أعاد الى الاذهان كتلة العمل الوطني" التي حلت، ولكن الحزب الجديد كان في الواقع يضم عناصر جديدة من المثقفين وذلك ما يجعلنا نؤثر القول بأنه كان حزبا جديدا إلا بالنسبة للفكرة التي تزعمها فقط، ولكن بالنسبة للعناصر الى استطاع أن يضمها أيضا[41].

افتتح الحزب الجديد حياته بإعلان وثيقة الاستقلال، وذلك في 11 جانفي 1944م، وهي وثيقة تاريخية تشتمل على عشر حيثيات، تتلخص في أن المغرب لم تعهد غير الاستقلال خلال تاريخها المجيد الطويل، وأن نظام الحماية 6 يحقق أب إصلاح من الإصلاحات التي تعهد بها، وأن فرنسا حكمت البلاد حكما مباشرا بدلا من أن تساعدها على النهوض، وأن الحالية الفرنسية احتكرت حيزا البلاد لنفسها دون أصحابها الشرعيين، وأن الحماية قسمت الوطن الواحد تقسيما جائرا فأصبح المغاربة في كل اقليم معزولين عن مواطنيهم في بقية الأقاليم الأخرى، وأن الظروف التي قضت بفرض هذه الحماية قد انتهت، وأن مراكش ساعدت فرنسا مساعدة فعالة في الحرب برجالها وخيراتها، وأنها على أتم الاستعداد لتقديم أي مساعدة لها لأجل تحرير بلادها من الألمان الغزاة، وأن دول الحلفاء –وفرنسا منها– قد اعترفت في ميثاق الأطلسي بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها، وأنها قد ساعدت بعض الدول العربية الأخرى على نيل استقلالها، وأن الشعب المغربي وحدة متنافسة تشعر بما لها من حقوق وما عليها من واجبات[42].

وبناءا على هذه الحيثيات ختمت الوثيقة بالمطالب التالية:

أولا: المطالبة باستقلال المغرب، ووحدة أراضيها في ظل حضرة صاحب الجلالة ملك البلاد محمد الخامس.

ثانيا: الإلتماس من الملك السعي لدى الدول الأجنبية التي يهمها الأمر للاعتراف بهذا الاستقلال وضمانه، ولوضع اتفاقيات تحدد –ضمن السيادة المغربية– ما الاجانب من مصالح مشروعة.

ثالثا: المطالبة بانضمام المغرب الى الدول الموقعة على ميثاق الأطلسي الأول والاشتراك في مؤتمر الصلح.

رابعا: الالتماس من الملك أن يشتمل برعايته حركة الإصلاح الداخلي التي تتوقف عليه بلاده، واحداث نظام سياسي شورى شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الشقيقة.

وقد قدمت هذه الوثيقة الى حضرة الملك، وإلى ممثلي كل من لجنة التحرير الفرنسية، وحكومات كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا واتحاد السوفياتي.

كان لهذا العمل أثر مروع لدى السلطات الفرنسية في المغرب والجزائر[43]، إذ خيل لها أن الوطنين قد حصلوا على موافقة الولايات المتحدة الأمريكية قبل تقديم الوثيقة، وبدأت وفود ممثلة لجميع طبقات الشعب تفد إلى القصر الملكي من جميع أنحاء المغرب مؤيده لوثيقة الاستقلال، واجتمعت بعد ذلك حكومة المخزن تحت رئاسة الملك فأيدتها أيضا، وهكذا تطورت الحركة لتتخذ صفة شعبية عامة[44].

ولكن السلطة الفرنسية التي كانت تتريث خوفا من تدخل الأمريكيين ما لبثت أن اطمأنت إلى أنه لا توجد علاقة بين الأمريكيين وهذه الحركة، وحينئذ أصدرت أمرها يوم 29 جانفي بإلقاء القبض على أبرز أعضاء الحزب الجديد في القطر كله، وعلى رأسهم أمين الحزب العام السيد أحمد بلا فريج الذي نفته الى كورسيكا[45]، وذلك بتهمة الفاشية وعند ما ذاع خبر الثورات التي انتشرت في البلاد كلها أعلنت السلطات الفرنسية أنها قلاقل أثارها أستاذ في إحدى المدارس الابتدائية بسبب ميوله الفاشية[46].

وانقضت القوات الفرنسية على مدن فاس والرباط وسلا والدار البيضاء ووجدة، وأمعنت في قمع الحوكة نجد السلاح قمعا لا رحمة فيه، قتل بسببه عشرات من الوطنيين، وألقي القبض

على المئات منهم، وعذبوا تعذيبا شديدا في المعتقلات العسكرية، وجلدوا وسيقوا حفاة عدة في مناطق الثلج والصقيع، وصمدت بعض هذه المدن في وجه القوات الفرنسية مثل فاس ما يقرب من شهرين كاملين، قطع الفرنسيون عنها خلالها التيار الكهرباء والمياه والمواد الغذائية، وبعد نهاية هذه الحوادث الدامية قدم المتهمون فيها الى المحاكم العسكرية التي حكمت عليهم بالسجن لمدة تتراوح بين سنة وسنتين[47].

وكانت هذه الأعمال تجري تحت سمع السلطات الامريكية وبصرها في نفس المكان الذي قال فيه الرئيس روزفلت منذ سنة واحدة فقط أن أمريكا لم تنحل الحرب لتعزيز استبعاد فرنسا وإنجلترا لهذه الشعوب الحرة التي ابتليت باستعمارها، ولكن حاجة الولايات المتحدة لاكتساب عطف الشعب الفرنسي كانت ما تزال ضرورة من الضرورات التي لا بد من الاعتماد عليها قبل اقتحام قلعة هتلر[48].

وهكذا نكبت الحركة الوطنية المغربية نكبة أخرى قبل نهاية الحرب كما نكبت قبل بدايتها، وسيق رجالها مرة أخرى إلى المنافي والسجون، ولم تعد الحالة الى طبيعتها مرة أخرى إلا بعد هذه الحوادث بما يزيد على السنتين ظلت المغرب خلالها تحكم حكما عسكريا استثنائيا يسيطر على جميع أنفاسها [49].

7.خاتمة:

في نهاية الورقة البحثية والتي تتحدث عن إنعكاساتالحرب العالمية الثانية على المغرب الأقصى يمكن أن نقول أن هذه الحرب رغم أنها أوروبية في أسبابها إلا أنها عالمية في أحداثها ونتائجها، وكغيره من دول العالم تأثر المغرب الأقصى بهذه الحرب وأثّر فيه من خلال:

– الدعاية الألمانية الهادفة إلى تجنيد الشعب المغربي كجنود وجواسيس ودفعهم إلى التمرد على الحلفاء.

– أن الدعاية الألمانية في المغرب كانت موجهة إلى الأهالي وجاليات دول المحور وزعماء الحركة الوطنية.

– أظهرت الحرب العالمية الثانية سيادة المغرب من خلال شخصية الملك محمد الخامس الذي أصبح المخاطب الوحيد المتكلم باسم المغرب وكان ... المنطلق السياسي لنضال الملك على المستوى الدولي ضد الاستعمار.

– نزول الحلفاء في المغرب أدى إلى زيادة الوعي الوطني للشعب المغربي وإيمانه بضرورة الإنتقال من المطالبة بالإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال في 11 جانفي 1944م.

– يمكن أن نستنتج في الأخير رغم سلبيات الحرب على الشعب المغربي إلا أنها كانت نعمة أكثر منها نقمة والدليل تبلور الوعي الوطني، والإيمان بضرورة الاستقلال ووحدة الموقف بين الملك والحركة الوطنية.

قائمة المراجع:

[1]Belkacem Recham; les muslmqnsalgeriens dans larmeéfrançane (1919 -1945), larmattan, paris, 1996, p 172, 173.

[2]ابراهيم لونسي، تجدد فكرة العمل المسلح في الجزائر ايان الحرب العالمية الثانية، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 4، 2001، ص 79.

BelkacemRecham, ob.cit, p 142.[3]

Ibid, p 144.[4]

[5] عبد الرحيم برادة، اسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931–1956، ج2، افريقيا الشرق، الدار البيضا، المغرب، 2007، ص 65.

BlekacemRecham, op cit, p139 [6]

[7]عبد الرحيم برادة، مرجع سابق، ص 64-65.

[8] أحمد اسماعيل راشد، تاريخ المغرب السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 2004، ص 220.

[9] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، ط3 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 173.

[10] عبد الكريم عياشي، دور منطقة شمال افريقيا في تغيير موازين القوى أثناء الحرب العالمية الثانية، مذكرة ماجستير، اشراف محمد السعيد عقي قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الوادي، 2013-2014، ص 180.

[11]فرانكو ياهودفرنشيسكو جنرال و رجل دولة اسباني، تخرج من مدرسة المشاة في طليطلة عام 1910 م، عمل في المغرب من 1914م الى 1927م حيث كان قائد للفرقة التي كانت تحارب الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي ورقي الى رتبة جنرال عام 1927م، قاد انقلاب ضد الحكومة سنة 1936م، وأصبح رئيسا للحكومة.

[12]عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية حتى استرجاع الصحراء، ط 3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص 219-220.

[13]محمد علي داهش، الحركة الوطنية المغربية في مواجهة الحماية الاسبانية 1926-1956، ص 149.

[14] أبو بكر القادري مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية ما بين 1941 الى 1945م، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ج 2، 1997، ص ص 141 – 142.

[15] دعاء فرج، قصة وتاريخ الحضارات العربية ليبيا السودان المغرب، بيروت، 1998، ص 168.

[16] الجنرال نوكيس عمل في المغرب مدة طويلة بصفة مساعد للمقيم العام ليوطي ثم مدير الشؤون الأهلية قبل أن يتم تعيينه مقيما عام سنة 1936 للمزيد ينظر: سكيفان برنار، تاريخ الصراع الفرنسي المغربي 1943-1956م، تر: حسان المعرفي، افريقيا الشرق، المغرب، ص 52.

[17] عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية حتى استرجاع الصحراء، مصدر سابق، ص ص 241-245 .

[18] سكيفان برنار، المرجع السابق، ص ص 55-58.

[19] عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص ص 243-244.

[20]محمد علي داهش، المرجع السابق، ص ص 160-161.

[21]أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1941-1945م، ج 2، ط1، 1997، ص ص 55-60.

[22] أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية 1930-1940م، ج1، ط1، 1992، ص 484.

[23]علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، دار الطباعة المغربية، تطوان، ص 229.
[24]التهامي نعمان، مذكراتي في تاريخ الكفاح المسلح، ط1، دار ابي فراق للطباعة والنشر، الرباط، 2009، ص 47.
[25]التهامي نعمان، مصدر سابق، ص ص 47 –48.
[26]الحسن الثاني، التحدي، ط2، المطبقة الملكية، الرباط، 1990، ص 45.
[27] المرجع نفسه، ص 48.
[28] نفسه، ص 45.
[29] فاطمة زهرة آيت بلقاسم، محمد الخامس ودوره في لقاء آنفا جانفي 1943 من خلال، مصادر مغربية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 11، كلية العلوم الاحصائية والانسانية، جامعة الوادي، 2016، ص 240.
[30] نفسه، ص 240.
[31]فاطمة الزهرة آيت بلقاسم، مرجع سابق، ص 241.
[32] محمد الحسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، ج 6، دار الغرب الاسلامي، بيروت ص 29.
[33] فاطمة الزهرة آيت بلقاسم، مرجع سابق، ص 241.
[34] فاطمة الزهراء آيت بلقاسم، مرجع سابق، ص 242.
[35] محمد الحسن الوزاني، مصدر سابق، ص ص 47–48.
[36] فاطمة زهرة آيت بلقاسم، مرجع سابق، ص 243.
[37] محمد الحسن الوزاني، مصدر سابق، ص ص 48–52.
[38] الحسن الثاني، مصدر سابق، ص 68.
[39]محمد القبلي، مرجع سابق، ص 599.
[40]أحمد بلافريج ولد في 1 ماي 1908م بمدينة الرباط ويعود نشاطه الوطني الى مرحلة شبابه ففضلا عن علاقاته المبكرة مع علال الفاسي، ربط في باريس علاقات مع عدد من الشخصيات الفرنسية المناهضة للاستعمار ومن أهمها المحامي الفرنسي روبير لونقي الذي أسس معه مجلة المغرب عام 1932م، كما كان على اتصال مع شكيب أرسلان صاحب مجلة الأمة العربية التي كان يصدرها من سويسرا، ونشط وهو طالب في صلب جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين، ووقف ضد ظهير عام 1930م، وخلال الحرب العالمية

الثانية وقف ضد قوات المحور، وفي عام 1943م كان الى جانب علال الفاسي من مؤسسي حزب الاستقلال وأول من تولى أمانته العامة، وقد كان من مهندسي وثيقة الاستقلال في 11 جانفي 1944م، فتم نفيه الى جزيرة كورسيكا، ولم يطلق سراحه الامام 1946م.

[41]عبد المجيد بن جلون، هذه مراكش، مطبعة الرسالة، ط 1، القاهرة، 1949م، ص 229–230.

[42]عبد المجيد بن جلون، مرجع سابق، ص 231.

[43]كان مقر السلطات الفرنسية في شمال أفريقيا بالجزائر وسمي أثناء الحرب العالمية الثانية اللجنة التحرير لإن فرنسا تخضع للنازية في هذه الفترة

[44]عبد المجيد بن جلون، مرجع سابق، ص 231.

[45]كورسيكا أو كورسكا أو قرشقة جزيرة فرنسية في البحر المتوسط تقع غرب إيطاليا وشمال جزيرة سردانية وجنوب شرق فرنسا، وهي مسقط رأس نابليون بونابرت، جعلنها فرنسا منفى للزعمات الوطنية في المغرب العربي نذكر منهم الملك محمد الخامس.

[46]روزفلت فرانكلين 1882 -1945 م رجل دولة وزعيم سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الامريكية من عام 1933م حتى وفاته عام 1945م، يصنفه الباحثون كأحد أعظم ثلاثة رؤساء أمريكيين الى جانب جورج واشنطن وابراهام لينكون.

[47]عبد المجيد بن جلون، مرجع سابق، ص 232.

[48]هتلر " أدولف "20أفريل 1889 – 30 افريل 1945م، حاكم ألمانيا النازية، ولد في الامبراطورية النمساوية المجرية، وكان زعيم ومؤسس حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني المعروف باسم الحزب النازي، حكم المانيا النازية في الفترة ما بين عامي 1933 و1945م حيث شغل منصب مستشار الدولة في الفترة ما بين عامي 1933م – 1945م، اختارته مجلة تايم واحدا من بين مائة شخصية تركت أكبر أثر في تاريخ البشرية في القرن العشرين.

[49]عبد المجيد بن جلون مرجع سابق، ص 232.

الثقافة و الممارسة الثقافية :نحو بناء مقاربة مفاهيمية

Culture and cultural practice: Towards building a conceptual approach

حيفا صلاح الدين شابي[1]

المعهد العالي للتنشيط الثقافي و الشبابي /قسم الدكتوراه فنون و ثقافة/ جامعة تونس

البريد الالكتروني : chabihaifa@gmail.com

تاريخ الاستلام: 31/ 1 /2021 تاريخ القبول:2021/03/30 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

يعتبر مجال العلوم الثقافية من ابرز المجالات التي تحمل في طياتها عديد المصطلحات تستوجب البحث و التحليل. و من أهم هذه المصطلحات نجد الثقافة و الممارسة الثقافية , حيث تهدف هذه الدراسة إلى التوصل لتعريفات متعددة للثقافة من خلال محاولة فهم أصل الكلمة و بناء معنى لها , حيث أن هذا المصطلح يتطور مع تطور الحركة العلمية و هذا ما أدى إلى إنتاج مفهوم الممارسة الثقافية من خلال تحويلها إلى سلوك و أنشطة ثقافية يقوم بها الفرد داخل بناءات ثقافية متعددة .

و قد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي كأداة للبحث و الكشف عن ابرز ما يحمله المصطلحين من معاني مختلفة و خلفيات نظرية متنوعة و بذلك نكون قد استنتجنا أن الثقافة و الممارسة الثقافية يعكسان عدة معاني مختلفة و متنوعة و لعل هذا يتحدد حسب ما يتوفر من واقع اجتماعي ,اقتصادي و ثقافي .

[1] **المؤلف المرسل : حيفا صلاح الدين شابي: chabihaifa@gmail.com**

هذا ما يجعلنا نبرهن أن مفاهيم الحقل الثقافي قابلة دائما للتجديد و التغيير و خاضعة لمزيد البحث.

الكلمات الدالة: الثقافة, الممارسة الثقافية, انساق ثقافية, براكسيس, هابيتوس, التطبع الفردي .

Abstract:

The field of cultural sciences is considered one of the most prominent fields that it carries with it many terms ,that require research and analysis. Among the most important of these terms we find culture and cultural practice.As this study aims to arrive at multiple definitions of culture by trying to understand the origin of the word and construct its meaning , as this term develops with the development of the scientific movement and this is what led to the production of concept of cultural practice from by transforming it into cultural behavior and activities that the individual performs within multiple cultural constructs .And we have relied in this research on the analytical method as a tool for research and disclosure of the most prominent that the two terms carry in terms of different meaning and diverse the oretical backgrounds and thus we have concluded that culture and culture practice reflect many different and varied eanings and perhaps this is determined according to what is available from reality Socio-economic and cultural .

This is what makes us demonstrate that the concepts of the cultural field are always subject to renewal and chang to further research .

Keywords: Culture , Cultural practice, culture cohesion ,Praxis , Habitus .

____

1. مقدمة:

يعد مفهوم الثقافة من المفاهيم الأوسع انتشارا في العالم المعاصر إلا انه يبقى أكثر التباسا و ذلك بسبب تعدد تعريفاته التي تحمل في طياتها الغموض و غياب الجانب المعياري لهذا المفهوم و لعل الغوص في تفكيك هذا المفهوم ادى بنا الى الكشف عن مفهوم الممارسة

الثقافية و ذلك نظرا الى تحويلها لسلوك و ممارسة و أنشطة ثقافية يقوم بها الفرد داخل بناءات ثقافية متعددة .و هذا ما يجعلنا نتساءل عن اهم تعريفات الثقافة و الممارسة الثقافية و لمزيد الكشف و التحليل اعتمدنا المنهج الوصفي و المنهج التاريخي للكشف عن أهم ما مرت به كلمة ثقافة و ممارسة ثقافية من محطات توصيفية و بنائية متنوعة .من هذا المنطلق تبنى اشكاليتنا على النحو التالي ماذا نعني بكلمة ثقافة؟ و ما هي أهم التيارات الفكرية التي حللت هذا المفهوم ؟ و كيف ادى تطور مفهوم الثقافة إلى إنتاج مفهوم الممارسة الثقافية ؟ و ما هي اهم تعريفات الممارسة الثقافية و مقوماتها ؟

2. سوسيولوجيا الثقافة النشأة و التطور :

1.2 في ماهية الثقافة :

عندما نطرح السؤال ما هي الثقافة ؟يفاجئنا تباين الإجابات و تعددها حتى أنه يمكن إحصاء مئات التعريفات لمصطلح الثقافة "**فميزة هذه الكلمة أنها أحدثت جدالا لم يتوقف منذ قدم العصور ،و أنها فسحت المجال أمام أكثر التأويلات اختلافا و تباينا**"[1] و هو ما جعل "**إدغار موران** "يطلق عليها "الكلمة الفخ" و يصفها كالأتي " **الثقافة بداهة خاطئة ،كلمة تبدو و كأنها كلمة حازمة و الحال أنها كلمة فخ خاوية ،منومة ،ملغمة ،مزدوجة ،خائنة ....و الواقع أن مفهوم الثقافة ليس أقل غموضا و تشككا و تعددا في علوم الإنسان منه في التعبير الدارج**"[2] و تتراوح هذه التعريفات بين القول أن الثقافة هي مجرد إكتساب درجة من العلم و المعرفة أو أنها تعني الإبداع و الابتكار الفني و الجمالي و بين القول انها السلوك أو نمط التعبير الخاص بمجتمع من المجتمعات أو أنها تقتصر على الضروب الرفيعة من التفكير النظري .

و تختلف تعريفات الثقافة حسب اختلاف الفترات الزمنية فقد اكتسبت كلمة ثقافة (culture) معناها الفكري في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .**فالكلمة الفرنسية كانت تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية (cultes) لكنها في القرن السابع عشر كانت تعبر عن فلاحة الأرض** "[3].

و مع القرن الثامن عشر اتخذت منحى يعبر عن التكوين الفكري عموما و عن التقدم الفكري للشخص بخاصة و عما يتطلبه ذلك من عمل ،و ما ينتج عنه من تطبيقات هذا هو المعنى الموجود في المعاجم الكلاسيكية و لكن إنتقال الكلمة إلى الالمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر اكسبها لأول مرة و قبل رجوعها إلى فرنسا مضمونا جماعيا فقد **أصبحت تدل على التقدم الفكري الذي يتحصل عليه الشخص أو المجموعات أو الإنسانية بصفة عامة**[4].

عندما طرح السؤال ما هي الثقافة في النصف الثاني من القرن الماضي و قبل أكثر من مئة سنة كانت أشهر الإجابات و أكثرها تكاملا إجابة **إدوارد تايلور** في كتابه الثقافة البدائية الصادر سنة 1871 و قد جاء فيها "**الثقافة هي ذلك المركب الكلي الذي يشتمل على المعرفة و المعتقد و الفن و الأدب و الأخلاق و القانون و العرف و القدرات و العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع**[5]" و قد عاد تايلور إلى تأكيد هذا التعريف في كتابه الانثربولوجيا الصادر سنة 1881 موضحا أن تعريف الثقافة على هذا الوجه يجعلها خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات الحية.و قد ضل هذا التعريف أشهر التعاريف واكملها و أكثرها ضبطا أو قل ضل هو التعريف الجامع المانع كما يقول المشتغلون بالمنطق لأكثر من نصف قرن من الزمان إلا أن تطور العلوم و الحركة العلمية بشكل عام و العلوم الإجتماعية و الأثروبولوجية بشكل خاص ألقى المزيد من الأضواء على فهم الثقافة و دفع إلى تعريفات جديدة تعكس التحولات التي طرأت على ثقافة الإنسان بالتالي على مفهوم الثقافة .

وعلى ضوء الدراسات المستجدة أصبح بمقدورنا أن نأخذ على تعريف تايلور عموميته و طابعه الوصفي و اهماله حركية و ديناميكية الظاهرة الثقافية إضافة إلى اهماله العلاقة بين الثقافة و المجتمع البشري الحامل لتلك الثقافة من جهة و البيئة أو المحيط الخاص بتلك الثقافة من جهة اخرى .

و قد حاولت الإجابات الجديدة عن سؤال ما هي الثقافة ؟أن تتجنب ما يمكن أن يأخذ على تعريف تايلور و من هذا القبيل تعريف **ك.رايت** للثقافة على أنها النمو التراكمي للتقنيات و العادات و المعتقدات لشعب من الشعوب يعيش في حالة الإتصال المستمر بين افراده و ينتقل هذا النمو التراكمي إلى الجيل الناشئ عن طريق الأباء و عبر العمليات التربوية إلا أن تعريف رايت هذا لم يتمكن من التخلص كليا من الطابع الوصفي الذي أخذ على تعريف تايلور بالتالي تعتبر من أهم التعريفات الأخرى تعريف **مالينوفسكي** الذي يؤكد أن الثقافة هي جهاز فعال" **الثقافة هي جهاز فعال ينتقل بالإنسان إلى وضع أفضل ،وضع يواكب المشاكل الخاصة التي تواجه الإنسان في المجتمع أو ذاك في بيئته و في سياق تلبيته لحاجاته الأساسية**[6]" فالثقافة هي المواجهة المتكررة مع تلك القضايا الجذرية و الأساسية التي تتم الإجابة عنها عبر مجموعة من الرموز فتشكل بذلك مركبا كليا متكامل المعنى متماسك الوجود قابلا للحياة.

و هكذا أخذت تعريفات الثقافة تتطور متماشية مع تطور الحركة العلمية و الفهم المتجدد للثقافة و دورها.و أخذت تعريفات المؤرخين و علماء السياسة و الاقتصاد و الاجتماع تجمع بين الجانب الوصفي و الجانب الديناميكي الفاعل للثقافة .فالثقافة ليست مجرد معلومات تقتني و ليست تراكما للمعرفة فقط بل هي مواقف حية متحركة فهي تعبر عن الإنسان من جهة و هي عمل دائم و سعي مستمر لتحقيق إنسانية الإنسان في مجتمعه و بيئته من جهة أخرى .

و يمكننا أن نقول من دون مبالغة أن هناك أكثر من مائة و ستين تعريفا للثقافة لعلماء ينتمون إلى تخصصات مختلفة منها الأنثروبولوجيا و الاتنولوجيا و علم الإجتماع و علم النفس و الطب العقلي و الإقتصاد و السياسة و الجغرافيا،" **من الطبيعي أن يركز كل عالم يمثل تخصص معينا على محاكات معينة و أن يعطي ثقلا لظواهر من الثقافة دون اخرى بحسب ما ينصرف إليه اهتمامه النابع من تخصصه**" [7].

و لعل أبسط التعريفات و احدثها تعريف روبرت بيرستد الذي "**يعتبر الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع**"[8] إلا أن تعريف غي روشيه أكثر شمولا و عمقا و يقدمه على الشكل التالي "**الثقافة هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير و ألشعور و الفعل و هي طرق صيغت تقريبا في قواعد واضحة و التي اكتسبها و تعلمها و شارك فيها جمع من الأشخاص تستخدم بصورة موضوعية و رمزية في أن معا من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة و مميزة.** [9]" و من الواضح أن هذا التعريف إستعان بصيغة دور كايم الموفقة جدا "**طرق التفكير و الشعور و العمل** " و هي صيغة أكثر شمولا و تركيبا من تعداد تايلور .

و يتميز تعريف كروبير و كلوكهن الشمولي بأبعاد جديدة فهو يعتبر "**بأن الثقافة تتكون من نماذج ظاهرة و كامنة من السلوك المكتسب و المتنقل بواسطة الرموز و التي تكون الإنجاز المميز للجماعات الإنسانية و الذي يظهر في شكل مصنوعات و منتجات أما قلب الثقافة فيتكون من الأفكار التقليدية .و بخاصة ما كان متصلا منها بالقيم و يمكن أن نعد الأنساق الثقافية نتاجا للفعل من ناحية كما يمكن النظر بوصفها عوامل شرطية محددة لفعل مقبل**[10] " . و من الواضح أن هذا التعريف يمتاز بأنه أكثر شمولا إذ يضم النظرة السيكولوجية للثقافة و النظرة البنيوية لها و يمتاز هذا التعريف كذلك بدينامية الثقافة و كيفية انتقالها و لا يهمل أن الثقافة إذا ما إختزلناها لوجدنا أنها نتاج رموز و أفكار و هذا يعني أن الثقافة من خلق الإنسان من ناحية كما أنها تحدد سلوكه و أفعاله من ناحية أخرى.

كما صدر سنة ٢٠٠٢ عن اليونسكو تعريف للثقافة ينبغي "**أن ينظر إلى الثقافة على أنها مجموعة مميزة من النواحي الدينية و العقلية و المادية و العاطفية للمجتمع أو لجماعة من الناس،و لذلك فهي تشتمل بالإضافة إلى الفن و الأدب ،أسلوب الحياة و طرق المعيشة معا و نظم القيم و العادات و العقائد** . "[11]

كما حددت الألسكو تعريفا للثقافة بأنها عبارة عن "**جماع السمات المميزة للأمة من مادية و روحية و فكرية و وجدانية و تشتمل مجموعة من المعارف و القيم و الإلتزامات الأخلاقية المستقرة فيها و طرائف التفكير و الإبداع الجمالي و الفني و المعرفي و التقني و سبل السلوك و التصرف و التعبير و طرق الحياة .كما تشمل أخيرا تطلعات الإنسان للمثل العليا و محاولته إعادة النظر في منجزاته و البحث الدائم عن مدلولات جديدة لحياته و قيمه و مستقبله ،إبداع كل ما يتفوق به عن ذاته**"[12] .

و بهذا تكون الثقافة ذلك الإنتاج الروحي القائم على الإبداع. هذا و قد ارتبطت الثقافة بمفهوم الممارسة الثقافية , و ذلك من خلال تحويلها إلى سلوك و ممارسة و أنشطة ثقافية يقوم بها الفرد داخل بناءات ثقافية متعددة .

2. في ماهية الممارسة الثقافية:

إن محاولة تعريف الممارسة الثقافية بدقة و وضوح تمر بالضرورة عبر تقديم مفهوم المفردات إذ تعرف الممارسة على أنها المرادف لمصطلح "**براكسيس الذي ترجم كذلك بالتطبيق العملي أو العمل و هو لفظ مشتق من اللغة الإغريقية**" 13 , تم تعريف الممارسة كذلك في معجم مفاتيح العلوم الإنسانية على أنها كل "**ما يتعلق بالأعمال و قوامه الفعل ،فالممارسة قوامها النشاط الخارق لمجمل الأحكام و القوانين التي تكون فنا أو علما**"14 .

و قد تخطت كلمة ممارسة مجرد كونها لفظ يدل على معاني لغوية معينة ليصبح محطة نظرية لبعض علماء الإجتماع أمثال **بيار بورديو** الذي عرف الممارسة بأنها تتولد من خلال علاقة متشابكة بين الذاتي و الموضوعي و قد حاول **بيار بورديو "توضيح كيف تتمثل الذات الفاعلة للشروط الموضوعية البنيوية فأنتج الهابتوس و كيف تؤثر هذه الذات في تلك الشروط فأنتج مصطلح المجال بحيث تصبح الممارسة محصلة العلاقة الجدلية بين الهابيتوس و المجال**"[15].

و في التصور الماركسي يدل اللفظ براكسيس أو الممارسة على مجموع النشاطات التي تهدف إلى تغيير الطبيعة و المجتمع و بإعتبار أن الإنسان هو الوحدة التأليفية لهذين الحدين و تبعاً لذلك نستنتج أن الممارسة هي المبدأ العام و القوة المحركة لتطور الإنسانية سواء على صعيد المجتمع أم على صعيد الوعي و هي واحد من أنواع النشاط الإنساني الموضوعي الحسي مثل الإنتاج و التربية و الفن و الإدارة .

و في هذا الإطار سنتناول مصطلح الممارسة الثقافية حيث تحدثت عنه بعض الأعمال و البحوث الأكاديمية الغربية بمصطلح"**Intérêts culturelle**" و استعمل كذلك بمصطلح [16] "**Pratiques culturelles**" و من الناحية التاريخية يمكن الإقرار أن مصطلح الممارسة الثقافية نشأ نتيجة التحولات و التغيرات التي شهدها العالم خلال بروز الثورة الصناعية التي مثلت منعرجا حاسم في تطور المجتمعات الحديثة مما أدى إلى إتساع دائرة الثقافة الجماهيرية و الحاجة إليها و إلى ممارستها كما ارتبطت الممارسة الثقافية و تسارع الإقبال عليها توازياً مع ظهور ما يعرف بالوقت الحر حيث أقر الباحث فيليب كلونجان"**أن الممارسة الثقافية تزايدت من خلال بروز ما يعرف بالوقت الحر**"[17] .

تعتبر الممارسة الثقافية في بدايتها مرتبطة بأطراف محدودة كالأسرة ،المدرسة ،المؤسسة الدينية إلا أنها اليوم تتعرض لتقلبات هذا العالم لتصبح الممارسة الثقافية "**جملة الأنشطة و الأفعال المرتبطة بالحياة الفكرية و الأدبية و الفنية و الترفيهية التي توظف فيها إمكانيات و إستعدادات من شأنها التأثير في نمط الحياة المتبع و اسلوبها**"[18] . بالتالي تدل الممارسة الثقافية على جملة من الأنشطة التي تهدف إلى الترويح و على كل الأنشطة ذات الطابع الثقافي التي تستجيب لميولات الفرد و تؤثر على حياته .

و بفضل التطورات التقنية السريعة و العميقة التي شهدتها صناعة مواد الثقافة و الترفيه و توسع مجال الإقتصاد الفرجوي و الترفيهي و الإستعراض بصفة عامة توسع نطاق الممارسة الثقافية خاصة خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن العشرين بحيث باتت في متناول فئات و شرائح إجتماعية أكثر فأكثر إتساعاً حيث "**أنها أصبحت تختلف من فرد إلى أخر و من**

مجتمع إلى أخر و من ثقافة إلى أخرى و يمكن تصنيفها إلى سبعة أنواع مختلفة إنطلاقا من ثلاث خصائص أساسية[19]. " الخاصية الأولى تتمثل في الفضاء المكاني للممارسات و يمكن أن نميز فيه بين الممارسات التي تتم داخل المنزل و الممارسات التي تتم خارجه و الخاصية التانية تهتم بوضعية الشخص أثناء النشاط و يمكن أن نفرق فيها بين النشاطات التي يكون فيها الفرد فاعلا في أي وضعية باثا كان أم متقبلا .الخاصية الثالثة تتمثل في إختلاف الغايات من ممارسة الأنشطة الثقافية و الأهداف منها حيث نجد من يبحث عن التعبير عن الذات أو عن التفاعل .

و مع إختلاف تعريفات الممارسة الثقافية نجد من أهمها تعريف **بيار بورديو** ،فما ينضوي تحت عنوان الممارسة الثقافية بالنسبة إلى **بيار بورديو** "**هو جملة الأعمال و الأنشطة و الأفعال التي يتم من خلالها إقتناء الخيرات الثقافية و تملكها و استهلاكها و هي تتجسد خلال مجاري الحياة اليومية في إرتياد المتاحف و المسارح و دور السينما و المكتبات العمومية و إقتناء الصحف و المجلات و مطالعتها و ابتياع التحف الفنية و اللوحات و مشاهدة برامج التلفزيون و كذلك ممارسة الرياضيات و السفر و الاشتراك بالرحلات**"[20]

ما نلاحظه إذاً أن الممارسات الثقافية متعددة و متنوعة حسب **بيار بورديو** إلا أن تعريفه هذا لم يقتصر على هذا الحد فقط بل بين أن الممارسة الثقافية في تعددها و تنوعها هذا تعود إلى عوامل متعددة جعلت منها مختلفة و من أهم هذه العوامل هو أنها ترتبط بالواقع الإجتماعي و الإقتصادي و الثقافي و هو ما يثبت أنها ليست متشابهة عند كل فرد و لا عند الطبقات الإجتماعية بل انها ترتبط من وجهة نظر **بيار بورديو** "**بالمستوى التعليمي للأفراد و ما يحوزونه من ثقافة و ما يمتلكونه من رؤوس أموال مادية و رمزية و كذلك بمنحدراتهم الإجتماعية المتباينة التي تشترك كلها عن طريق التطبع في ترسيخ جملة من المؤهلات و الإستعدادات لديهم تمثل محددات لاختياراتهم الجمالية المتباينة**[21]"و هذا ما أطلق عليه أيضا منجي الزيدي "**باقتصاد الإنتاج الثقافي الذي يرتبط منطقه الداخلي**

بالظروف الإجتماعية التي تنتج مستهلكي الإنتاج الثقافي و تحدد أذواقهم بالتالي يعود إختيار الممارسة الثقافية إلى التطبع الفردي "[22]. حيث أن الاهتمامات و الأذواق الثقافية في المجتمع ترتكز على متغيرات السن و الجنس و المستوى التعليمي و الأصل الاجتماعي و هي ذات طابع متحول إذ "**أنها ترتبط بالواقع الاجتماعي و تدخل كذلك في تحديد الممارسات الثقافية و التطورات التقنية و السياسات الثقافية المنتهجة التي تحدد البنية الأساسية للثقافة.**[23]"

و في تحليل أخر للممارسة الثقافية يستخلص **منير سعيداني** من خلال تحليله لهذا المفهوم أن الممارسة الثقافية تتلخص في النقاط التالية" **أولا مطالعة الكتب و المجلات و الجرائد المختصة و غير المختصة و صفحات الأنترنت سواء أكن ذلك في القراءات الوظيفية الموجهة نحو أنشطة مهنية أو دراسية أو من القراءات الحرة ثانيا التفرج على برامج التلفزيون و الإشتراك في القنوات و المشاركة في الألعاب و المسابقات التي ينظمها . ثالثا الاستماع إلى الراديو و المشاركة في الألعاب و المسابقات التي ينظمها و كذلك الإستماع إلى التسجيلات الموسيقية . رابعا الخرجات الفردية أو الثنائية أو الجماعية في نطاق مجموعات الأقران أو زمالة العمل و الدراسة أو في نطاق العائلة من أجل الفرجة على عروض السينما و المسرح و الموسيقى و المعارض التشكيلية و عروض المهرجانات و الندوات الثقافية و المعارض الفنية و المتاحف خامسا تعاطي الأنشطة الترويحية و الإنخراط في الجمعيات الثقافية و الإجتماعية و تعاطي الأنشطة التي تنظمها و ممارسة الهويات الفردية أو الثنائية أو الجماعية**[24]. "

خلاصة تحليلنا لهذا المفهوم يمكن القول أن الممارسة الثقافية تتحدد أكثر في تعامل المجتمع مع ما يتاح له من مادة ثقافية تنشرها المؤسسات الرسمية على نطاق أوسع و من أهم الفئات التي تتلقى جميع أنواع الممارسات الثقافية نذكر الشباب خاصةً الشباب الجامعي الذي تستقطبه المراكز الثقافية الجامعية لتتيح له الأرضية المناسبة لممارسة ما توفر من الأنشطة الترفيهية و

الثقافية ذلك لما لها من مردود إيجابي على الشباب لذلك تعطي السياسة الثقافية أهمية بالغة للشباب لأنه عمادة المجتمع و مستقبله.

3. خاتمة : في نهاية هذا البحث يمكننا التوصل الى أن الثقافة تحمل في طياتها تعريفات متعددة تختلف حسب اختلاف الفترات الزمنية و ذلك لان مصطلح ثقافة يتطور مع تطور الحركة العلمية. و لعل هذا ما جعل منها تنتمي الى تخصصات مختلفة من بينها الانثروبولوجيا ,الاتنولوجيا , علم الاجتماع ,علم النفس, الاقتصاد والسياسة .

و هنا يتبين لنا أن مفهوم الثقافة أنتج مفهوم الممارسة الثقافية و حوله الى سلوك و ممارسة و أنشطة ثقافية يقوم بها الفرد داخل بناءات ثقافية متعددة ,و قد ارتبط هذا الأخير بفترة الثورة الصناعية و تسارع الإقبال عليه توازيا مع ظهور ما يعرف بالوقت الحر .هذا و قد اتسع نطاق الممارسة الثقافية خلال العشرين سنة الأخيرة حيث باتت في متناول فئات و شرائح اجتماعية أكثر اتساعا و هنا يجب أن ننبه إلى أن الممارسة الثقافية مختلفة عند كافة الأفراد و ذلك لان الواقع الاجتماعي ,الاقتصادي و الثقافي يختلف من مجتمع الى اخر. و لعل هذا ما أنتج ألامركزية ثقافية حيث ان المادة الثقافية لا تتوفر بطريقة متكافئة لكافة المجتمعات و هذا ما يتطلب مزيدا من المراجعة و البحث .

4 .المراجع باللغة العربية :

- إدغار ،أندرو ; و سيدجويك، بيتر . (2014) . **موسوعة النظرية الثقافية المفاهيم و المصطلحات الأساسية**. (مراجعة و تقديم و تعليق محمد ،الجوهري ،و ترجمة هناء ،الجوهري) . الطبعة الثانية :المركز القومي للترجمة.

-أحمد ، خليل .(1989) .**مفاتيح العلوم الإنسانية** ،معجم (عربي ،فرنسي ،إنجليزي) . بيروت :دار الطباعة للنشر .

-حسن الساعاتي ،سامية. (1983) .**الثقافة و الشخصية بحث في علم الإجتماع الثقافي** . بيروت: دار النهضة العربية .

-حمد، محمد الجوهري. (2009). **الثقافات و الحضارات إختلاف النشأة و المفهوم**. القاهرة :الدار المصرية اللبنانية.

-روشيه ، غي .(1985) .**مقدمة إلى علم الإجتماع العام**. (ترجمة مصطفى، دندشلي) . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر .

-الزيدي، منجي (1999) . **الشباب و الثقافة في المجتمع التونسي** .أطروحة دكتوراه. قسم علم الإجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية: تونس .

-الزيدي ،منجي. (2005) .**الدخول إلى الحياة :الشباب و الثقافة و التحولات الإجتماعية** : تونس . منشورات تبر الزمان .

-السعيداني ، منير. (2007) .**استحالات المثقف و الثقافة و الممارسة الثقافية**. تونس :مكتبة علاء الدين كلية الأداب و العلوم الإنسانية.

-الطاهر، لبيب .(1988) . **سوسيولوجيا الثقافة**. صفاقس : دار محمد علي الحامي للنشر.

-عبد الغني ،عماد. (2006) . **سوسيولوجيا الثقافة :المفاهيم و الإشكاليات من الحداثة إلى العولمة**. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية.

المراجع باللغة الأجنبية :

- Bourdieu , P. & Darbelle, A .(1965). l **amour de l art, les musées leur public** . paris: Ed .minuit.

-Bourdieu, P.(1993).**la distinction critique social du jugement**. Paris.

- Biersted,R .(1963) .the social order an introduction to sociology . New York : 2nded Mc Graw8Hill.

- **Coulangeon**,**P**. (2010) .collRepers :la decouverte .

- Coulangeon,P. (2005) .**sociologie des pratiques culturelles**. Paris : la découverte ,coll,repere .
- Kroeber ,A.L, & Kluckhohn,C. (1952) .**Culture** ;a **critical Revuew of Concepts and Definitions**. New York :10,With the assistance of wayne unteremer and appendices by Alfred ,G. ,Meyer &Vintage Books no v-226:vintage Books.
- Roselyme ,B., Noel,F., & Thoveron ,G. (1921).**Temps libre et pratiques culturelles** création et communication . Belgique :maraudage Liège .
- Tylor,E.(1871).**Primitive culture** :Researches into the development of Mythology, Philosophy:,Religion,Art,and custom,2,vois .London J Murray.
- Morin, E.(1969). **De la culture analyse a la politique culturelle**. Paris :Ed seuil.

-الدوريات :

بدوي، أحمدموسى.(خريف 2009) . **ما بين الفعل و البناء الاجتماعي بحث في نظرية الممارسة لدى بياربورديو**. منشور العدد الثامن :القاهرة , مصر.

هوامش:

[1]منجي الزيدي ، **الشباب و الثقافة في المجتمع التونسي**،أطروحة دكتوراه في علم الإجتماع ،كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ،تونس، 1999،ص 107 .

[2] Morin, Edgard,**De la culture analyse a la politique culturelle**,Ed seuil ,Paris ,1969,p 5 .

[3] لبيب الطاهر , **سوسيولوجيا الثقافة**، ط 5، صفاقس دار محمد علي الحامي للنشر، 1988 ،ص6.

[4] غي روشيه , **مقدمة إلى علم الإجتماع العام**, ترجمة مصطفى دندشلي,3 , ج بيروت, المؤسسة العربية للدراسات و النشر 1985, ص.130

[5] Edward B.Tylor ,**Primitive culture** :Researches into the development of Mythology,Philosophy,Religion,Art,and custom,2,vois,London J Murray ,1871.

[6]عماد عبد الغني ،**سوسيولوجيا الثقافة :المفاهيم و الإشكاليات من الحداثة إلى العولمة** ،مركز دراسات الوحدة العربية ،الطبعة الأولى ،بيروت ، 2006 ص 22.

[7] سامية حسن الساعاتي ، **الثقافة و الشخصية بحث في علم الإجتماع الثقافي**، ط 2، بيروت، دار النهضة العربية ،1983، ص 34

[8] Robert biersted ,the social order an introduction to sociology ,2nd ed New York. Mc Graw 8 Hill 1963,p38.

9 غي روشيه , **مقدمة إلى علم الإجتماع العام**, ترجمة مصطفى دندشلي , 3ج بيروت, المؤسسة العربية للدراسات و النشر, 1985, ص 198.

[10] A.L.Kroeber and Clyde Kluckhohn,**Culture** ;a critical Revuew of Concepts and Definitions ,10,With the assistance of wayne unteremer and appendices by Alfred G ,Meyer,Vintage Books;no .v-226 ,New York :vintage Books ,1952,P 357 .

[11] محمد الجوهري حمد، **الثقافات و الحضارات إختلاف النشأة و المفهوم** الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة2009 ، ص 38.

12 الخطة الشاملة للثقافة العربية،المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ،تونس 1990،ص 40.

[13] أندرو إدغار ، بيتر سيدجويك ،**موسوعة النظرية الثقافية المفاهيم و المصطلحات الأساسية**، مراجعة و تقديم و تعليق محمد الجوهري ،ترجمة هناء الجوهري ،الطبعة الثانية 2014 ،المركز القومي للترجمة ص 173 .

[14]خليل أحمد ،**مفاتيح العلوم الإنسانية** ،معجم (عربي ،فرنسي ،إنجليزي)،دار الطباعة و النشر بيروت 1989 ص 437.

[15] أحمد،موسى بدوي **ما بين الفعل و البناء الإجتماعي بحث في نظرية الممارسة لدى بيار بورديو** ,منشور العدد الثامن ،خريف 2009،مصر ،ص 12.

[16] منجي الزيدي ،**الشباب و الثقافة في المجتمع التونسي** ،أطروحة الدكتوراه في علم الإجتماع تونس ،كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ،تونس 1999 ص180 مع العلم أنه ذكر سابقا.

[17] Philippe coulangean ,coll Repers ,la decouverte,2010 ,p3.

[18] Ibid ,coulangeon,**sociologie des pratiques culturelles** ,la découverte ,coll,repere s , paris ,2005 ,p8 .

[19] Bouillin Roselyme, Françoise Noel et Gabriel thoveron ,**Temps libre et pratiques culturelles**,creation et communication maradaga Liège ,Belgique ,1921 ,p55.

[20] Pierre Bourdieu et Alain Darbelle, l **amour de l art**, **les musées leur public** ,minuit, paris 1965 , p 85.

[21] Pierre bourdieu,**la distinction critique social du jugement**,puf,paris,1993 ,p112.

[22] منجي الزيدي ،**الدخول إلى الحياة :الشباب و الثقافة و التحولات الإجتماعية**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2005. , ص 96 .

[23] نفس المرجع ذكر سابقا ص 97.

[24]منير السعيداني ،**استحالات المثقف و الثقافة و الممارسة الثقافية**،مكتبة علاء الدين ،كلية الأداب و العلوم الإنسانية، تونس؛2007 ص 261_262.

أهمية الأرشيف الفرنسي في كتابة تاريخ المغرب المعاصر

The importance of the french archive in writing the contemporary history of Morocco

د/ محمد الوردي ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس –المغرب–

Elouardi2med@gmail.com

د/ حورية ومان، جامعة محمد خيضر، بسكرة –الجزائر–

Houria.ouamane@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/04/22 تاريخ القبول:08 /2021/06 تاريخ النشر: 2021/06/30

تسلط هذه الدراسة على أهمية ودور الأرشيف الفرنسي في الكتابة التاريخية، بالتحديد تاريخ المغرب المعاصر، لما يحتوي من معلومات مهمة في العديد من المجالات التي تهم الباحث في دراسة الحقائق التاريخية، وخاصة أن أغلب أصناف الأرشيف صدرت من جهات رسمية أو غير رسمية، مما جعل لها أهمية بالغة في التحقق من مصدر المعلومة التاريخية، كما يعد الأرشيف الفرنسي ذاكرة مشتركة بين المغرب وفرنسا يجعل البلدين يشتركان في العديد من المناسبات والأحداث التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الأرشيف، تاريخ المغرب، ماوراء البحار، وزارة البحرية، قسم الاستعلامات.

Summary: this study deals with the importance and role of the french archive in historical writing, specifically the contemporary history of morocco,because it contains important information inmany areas of interest to the researcher when carrying out his study of historical facts, especially since most of the archive items can be issued by official or unofficial bodies, which makes it very important to verify the source of historical information ; the french archive

is also a shared memory between memory between morocco and France, and it makes the two countries participate in many occasions and historical events.

Key words: Archive, history of morocco, Overseas, ministry of navy, information Servic

مقدمة

يسمح الأرشيف[1] للشعوب الملمة بالتاريخ، والفاطنة بأهميته في التأريخ لمسارها ومنجزاتها، من الانتقال من طور الذاكرة إلى مرحلة التاريخ العلمي الأكاديمي، ويمنح في المقام الأول قيمة للدليل التاريخي عبر تبليغ الماضي من خلال إعادة بعث الحياة فيه، كون الذاكرة تحفظها الوثيقة المكتوبة التي تشكل المادة الأولية التي ينهل المؤرخ منها المعطيات التي يبني عليها نصه التاريخي، ومن هنا يكتسي الأرشيف الفرنسي قدرا مهما من المصداقية بالنسبة للبحث الأكاديمي عن تاريخ المغرب المعاصر. وحتى لو كان هذا الأرشيف حامل لوشام استعماري جاهز وأن حق الاطلاع عليه مقيد ببعض الشروط[2] فلا مجال للشك من أن المادة الأرشيفية الموزعة في دور الأرشيف الفرنسي هي أس البحث في تاريخ المغرب المعاصر، وأن عملية كتابة هذا التاريخ بما له وما عليه لا يمكن أن تتم على أحسن وجه ما لم يكن هناك أرشيف، يعوض فراغ المصادر المغربية وندرتها. من هنا سنحاول الحديث في هذا المقال عن أهمية الأرشيف الفرنسي من خلال التعريج على المحطات التاريخية التي مر منها ظهوره، لنخلص إلى ماهية أقسامه، وأهميته بالنسبة للبحث العلمي الأكاديمي بالمغرب. فكيف ظهر الأرشيف الفرنسي؟ وما هي أصنافه وأقسامه ومحتواه حول المغرب؟ وما مدى مساهمته في كتابة تاريخ المغرب المعاصر ؟

أولا. نبذة تاريخية عن ظهور الأرشيف الفرنسي

تميزت الفترة الوسيطية بفرنسا بحضور نوعين من الأرشيفات: الأرشيفات الثابتة، والأرشيفات المتنقلة التي كانت ترافق الملوك والحكام. وقد كان لانهزام ملك فرنسا لوي فيليب في إحدى المعارك سنة 1194م وضياع مجموعة من الوثائق حينها سببا في إعطاء أوامره بترك الأرشيف في باريس، ليصان من التلف والضياع[3].

إن بداية التدوين الحقيقي للحياة في فرنسا، من جوانبها المختلفة، ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، بدأت منذ اندلاع الثورة الفرنسية سنة 1789 بعدما أحدثت الجمعية العامة مركز الأرشيفات الوطنية بباريس (les archives nationals). ومنذ سنة 1793 بدأ أرشيف وزارة الخارجية يتشكل بدوره عندما جرى فصل القنصليات عن البحرية[4]. وبعد صدور مرسوم الاستفادة من الوثائق الفرنسية سنة 1936، وتأسيس المجلس الدولي للأرشيف بالعاصمة باريس سنة 1948[5] تم فتح أغلب الأرشيفات الفرنسية في ثمانينات وتسعينيات القرن الماضي في وجه العموم.

إنها تقاليد أرشيفية قديمة لفرنسا، مما يجعلها اليوم من الدول التي تتوفر على أرشيف فريد على المستوى العالمي، ويحتل الأرشيف الفرنسي المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية من حيث الغنى والتنوع والحجم.

ثانيا. الأرشيف الفرنسي حول المغرب: أصنافه، ومحتواه وأهمته

يصنف الأرشيف عموما إلى صنفين، هما: الأرشيف العام ويضم وثائق الدولة وهيئاتها ومؤسساتها العمومية وجماعاتها المحلية، والأرشيف الخاص، الذي يتكون من وثائق الأشخاص أو العائلات أو المؤسسات والمنظمات غير العمومية[6]. ويقسم الأرشيف الفرنسي إلى أصناف متعددة تبعا لتعدد مراكز الأرشيف وتخصص كل واد منها، فهناك:

<u>مركز الارشيف لما وراء البحار</u> (Centre des Archives d outre mer)بمدينة ايكس أون بروفانس قرب مرسيليا[7]. تأسس منذ سنة 1962 ويحتوي المركز على أرشيف ضخم يضم كل مراسلات وتقارير السلطات الاستعمارية الفرنسية في مستعمراتها فيما وراء البحار، أي خارج فرنسا[8]. ورغم أن أغلب وثائق هذا المركز الأرشيفي مخصصة للجزائر فإننا نجد به مجموعة من المحافظ عن مغرب القرن التاسع عشر ومغرب الحماية ضمن ثلاث مجموعات كبرى يرمز لها ب: 30 H و 31 H و 32 H تضم معلومات وافرة عن ثروات بعض الأسر مثل الوزانيين، وعن قضايا السلاح والتسلح والحدود المغربية–الجزائرية واللصوصية والتهريب بالمغرب ووضعية الجزائريين بالمغرب، والمحادثات المغربية–الفرنسية والمعاهدات والأوفاق التي وقعها الطرفان بين سنتي 1844 و 1926 (المجموعة: 30 H)، بالإضافة إلى تقارير حول بعض القبائل وعن الوطنية المغربية خصوصا مع بداية الثلاثينيات (مثلا المحفظة رقم: 31H 1). وأخيرا المجموعة 32 H

بمحفظاتها العشرة التي تحوي تقارير سرية كانت تصدرها إدارة الشؤون الأهلية عن الوضع السياسي والعسكري والاقتصادي بالمنطقتين الفرنسية والاسبانية[9].

إنها ذخيرة وثائقية هامة حول تاريخ المغرب المعاصر، فقد كانت الإدارة الفرنسية بالجزائر تتوصل منذ مطلع القرن التاسع عشر من باريس أو من المغرب بنسخ من التقارير التي كان يحررها الضباط العسكريون الفرنسيون ورجال السياسة والدبلوماسية عن مغرب ما قبل الحماية، لهذا فهي غنية بالمعطيات عن وضع المغرب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وتساعد على فهم أعمق لأحداث ووقائع القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لطرقها مواضيع وقضايا غامضة لم تتطرق لها الوثائق المغربية في غالب الأحيان.

مركز أرشيف وزارة الحربية بقصر فانسن بباريس: هو عبارة عن قصر ضخم يرجع تاريخ تأسيسه إلى القرن الرابع عشر الميلادي. يقع في الضاحية الجنوبية الشرقية لباريس على بعد خمس كيلومترات تقريبا[10]، يحتوي على مجموعتين هامتين من الوثائق تغطي كل منهما الفترة التاريخية الممتدة ما بين 1877 و1960 [11]. تضم المجموعة الأولى (3H) حوالي ثلاثة آلاف محفظة ضمنها ألف محفظة خاصة بمكاتب الشؤون الأهلية[12]، في حين تضم المجموعة الثانية (Sous-serie) عشرين محفظة، فضلا عن سلاسل مكملة تحت رموز: B, E, EM, K, N ,[13].

ولعل أهم ما تتميز به هذه الوثائق هو صدورها عن مختلف الأجهزة العسكرية، ونذكر على سبيل المثال:

التقارير العسكرية المفصلة: هي تقارير يومية وأسبوعية وشهرية عن سير العمليات العسكرية البرية والجوية والبحرية في مختلف جبهات القتال بالمغرب في تازة[14] وأحوازها[15] والأطلس المتوسط والصغير والكبير (مثلا الصناديق رقم: 3H586-596 و3H1556). ونجد كذلك تقارير مفصلة عن الوضع السياسي والعسكري وتطوراته خلال حرب الريف[16]، وعن قضية الأسرى وشخصية الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، وكذا التعليمات القيادية والتعزيزات البشرية والتقنية التي كانت تفد من المتربول (المحافظ: 3H601 –3H597)[17].

المنوغرافيات: هي منوغرافيات دقيقة ومركزة أنجزها ضباط الشؤون الأهلية في شكل بطائق القبائل (Fiches de tribus) تحت إشراف وتوجيه من نخبة الجيش الفرنسي[18] عن "بلاد السبة" أو مناطق العصيان (Les Regions dissidents) حول فاس ومكناس وتازة (

قبيلة البرانس)[19] وغيرها من المناطق، وهي غنية أيضا بالمعلومات المفصلة عن حياة القبائل وبنياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويتم في هذا الصدد إحصاء عدد السكان و"الكوانين" وعدد البنادق والخيول والمقاتلين الذين يمكن لأي قبيلة أو فخذة استنفارهم زمن الحرب. وقد شكلت هذه المونوغرافيات بالفعل سلاحا فتاكا في يد قسم الاستعلامات الفرنسية لحبس الأنفاس وضبط الأهالي ودفع القبائل إلى الإذعان وطلب الأمان على مضض[20]. ومن شأنها أن تجعل الباحث في تاريخ المغرب زمن الحماية يقف على الأحوال العامة للقبائل المغربية، ويتعرف على العادات والتقاليد والعقليات ومختلف المظاهر اليومية من أكل وملبس وسكن.. وهذا الصنف من الأرشيف مهم جدا للذين يبحثون في تاريخ القبائل أو التاريخ المونوغرافي للهامش، خصوصا في ظل انكباب كتب الحوليات والتراجم على المدن والحواضر لكونها القواعد المركزية للمخزن، في حين كان حظ البوادي ضئيلا من كتابات النخبة المثقفة، وتزداد شحا الوثائق كلما ابتعدنا عن الحاضرة واقتربنا من الأطراف[21].

تقارير قسم الاستعلامات : ضمن المحافظ رقم: 3H 102 [22] و5N 45-46[23] ذات الطابع الدعائي الذي غالبا ما ركز على سيناريوهات الدعاية الألمانية بالمغرب (Action allemande au Maroc)، و"التورط" الألماني–التركي في دعم المقاومة المغربية (مثلا المحفظة رقم: 3H108)[24]، ونشاط زعمائها مثل عبد المالك بن محيي الدين الجزائري (محافظ رقم: 3H 133 و3H 909 و 3H 913) تصل إلى حد رصد كل كبيرة وصغيرة عن تحركات شخصيات ألمانية مثل شخصية ألبير بارتلز في منطقة تازة خلال الحرب العالمية الأولى[25]. وعموما لا يمكن إنكار الأهمية البالغة لهذه الوثائق إلا أنه يجب التعامل معها بحذر ومقارنتها بمختلف المصادر الوثائقية الأخرى المكتوبة والشفهية، خاصة المغربية[26].

صورة رقم 1: جانب من قصر فانسين حيث الجناح المخصص للأرشيف العسكري
(تصوير محمد الوردي، يوليوز 2014)

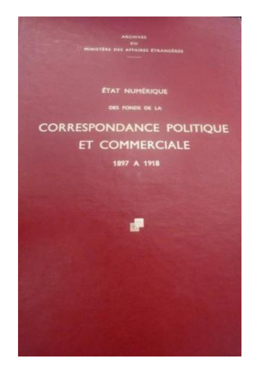


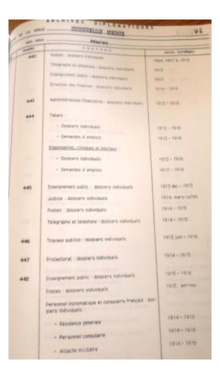
مركز أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية "لاكرنوف" بباريس: تابع لوزارة الخارجية الفرنسية كي دورسي Qui d(')Orsay في باريس، فتح أبوابه للعموم سنة 2009، ويحفظ نحو ثمانين كيلومترا من الوثائق التاريخية الخاصة بوزارة الخارجية[27]، يحتوي هذا الأرشيف عن المغرب صناديق وملفات (تحت جرد رقم: 179 CPCOM، و 73 CPCOM) تؤرخ لوضعية المغرب في علاقته مع فرنسا من أواخر القرن التاسع عشر (1897) إلى حدود فترة الاستقلال، وأغلب وثائقها تؤرخ للعلاقات التجارية المغربية–الأجنبية وتنظيم التجارة في المنطقة الشمالية والجنوبية، وكل ما له علاقة بالمحميين والتجنيس، والشخصيات المقيمية والدبلوماسية والقناصل الفرنسيين والأجانب والأطماع والمصالح الاسبانية والانجليزية والألمانية في المغرب والشؤون المالية للمغرب (ميزانية، قروض، جمارك، ضرائب صرف، أبناك..) والقضائية والحالة المدنية والمسائل العقارية، والصحافة والأوضاع العسكرية.

هي بحق ذخيرة أخرى حول تاريخ مغرب ما قبل الاستعمار ومغرب الاستعمار من وجهة نظر دبلوماسية صرفة صادرة عن المركز الدبلوماسي الذي تمثله وزارة الخارجية الفرنسية في علاقتها مع باقي التمثيليات الدبلوماسية والقنصلية الدولية بطنجة وفاس وغيرها من المناطق، وهي أغنى من حيث الكم الوثائقي ومن حيث تنوع المواضيع والمضامين وتشعبها، كون فرنسا خلال هذه المرحلة

عملت جاهدة على تركيز وجودها بالمغرب والقضاء على كل معيقات الاستئثار به، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، لذلك واكبت الآلة الدبلوماسية الفرنسية تسارع الأحداث حول "المسالة المغربية" وعملت على رفع منسوب احتواء الوضع الدولي في سياق تنافس امبريالي محموم حول مغرب مضطرب عرفت الدراسات حوله طفرة كبيرة تحت ضغط المصالح الامبريالية.

صورة رقم 2: نماذج محتوى فهارس ووثائق[28] عن المغرب في أرشيف لاكرنوف (تصوير محمد الوردي: 4 غشت 2015)







مركز الأرشيف الديبلوماسي في مدينة نانط غرب فرنسا: وضعت به وثائق وزارة الخارجية الفرنسية منذ سنة 1966، وفتح أبوابه للعموم سنة 1987[29]، يغلب على الوثائق المحفوظة به الطابع الدبلوماسي أي كل الوثائق المستقدمة من الممثليات الفرنسية في الخارج ولدى المنظمات الدولية فضلا عن الأرشيف الخاص بلبنان وسورية وبلدان شمال افريقيا[30]. ويضم هذا الأرشيف 12 ألف محفظة عن المغرب والحرب العالمية الأولى[31]، وتقع الوثائق المتعلقة بالمغرب به في أكثر من عشرين فهرسا (**Inventaire**) تقسم حسب مؤسسات الحماية التي صدرت عنها الوثائق إلى أرشيف مصالح الإدارة المركزية وأرشيف المصالح الإقليمية التابعة لها. وهي موضحة وفق فهارسها في الجدول الآتي:

عنوان الفهرس	رقم الفهرس (**Inventa**	رقم الجرد	أهم المواضيع

	ire)		
Cabinet Diplomatique	2	1MA.15.5-7	السلاطين المغاربة
		10 bis	السياسة الداخلية للمغرب
		1MA.15.16-24, 49-78	معلومات عن القنصليات الفرنسية بالدار البيضاء والرباط وفاس ومكناس ومراكش ومزكان وأسفي وموكادور المسائل العسكرية والدنية والصحية والاقتصادية والمالية بالمغرب وقضايا الصحافة والتعليم والشؤون الألمانية والانجليزية والاسبانية والايطالية بالمغرب و"الإسرائيلية" ..
Direction de L'intérieur	3	1MA.200.C2	الأوسمة والتوشيحات
	3	C 12 E,H,Q,S	الدعاية الفرنسية، والتنظيم الإداري المحلي. الشغل والمسائل الاجتماعية. الأمن والشرطة. القواد وبعض الشخصيات الفاعلة..

Direction des Affaires Chérifiennes	4	1MA.300.13-20	الشؤون الإسلامية: الحج... المعهد الإسلامي بباريس، الإسلام في الصحافة..
	4	1MA.300.16. 17	السياسة الأهلية بالمغرب
		1MA.300.22-29	سلاطين الدولة المغربية والشخصيات المخزنية : السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ، والحاج المهدي المنبهي وعبد الرحمان بنيس ومحمد الكباص والحاج عمر التازي..
	4	1MA.300.30-54	خليفة السلطان بالمنطقة الخليفية ملفات عن أعيان وقواد مناطق الشاوية وكرسيف وتازة وفاس ومكناس والرباط ومراكش وأكادير والدار البيضاء
Région d'ouezzane et d'agadir	5	16MA.300.1-14 10MA.900.1-18	الشخصيات المدنية الدفاع الوطني ولدرك بوزان الشؤون العسكرية والأشغال العمومية وبطائق المعلومات الخاصة بأعيان وشخصيات

			منطقة أكادير والنواحي..
Direction de l'instruction publique	6	3MA.900	السياسة التعليمية الفرنسية بالمغرب: المدارس الخاصة ومدارس الأعيان، والمدارس الحرة وجامع القرويين. التنظيم البيداغوجي، جمعيات قدماء التلاميد...
Direction des Affaires indigènes	8	1MA.285 1MA.100 4MA.900	-
Secrétariat général du protectorat	9	2MA.1.1-50	التنظيم الإداري لمؤسسات الحماية ومصالحها المختلفة. المراقبة الإدارية وبرامج الإصلاح الإداري. موظفو الإدارة العمومية... .
Bureaux territoriaux	10	17MA.900.1-110	ملفات عن الأحباس بفاس وجامع القرويين ومحافظ عن الوطنية المغربية بمنطقة فاس وقضايا تهريب السلاح والصهيونية ونشاط قواد وأعيان فاس وأحوازها ...
Région d'Oujda	11	15.MA.900	نشرات دورية ومراسلات عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والديني... بمنطقة وجدة زمن الحماية
Région de Rabat	12	-	نشرات دورية ومراسلات وتقارير عن الوضع السياسي

والاقتصادي والعسكري والديني.. بمنطقة الرباط والنواحي زمن الحماية			
نشرات دورية ومراسلات وتقارير عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والديني.. بمنطقة فاس زمن الحماية	12MA.900	13	**Région de Fes**
–	–	14	**Cabinet civil**
نشرات دورية ومراسلات وتقارير عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والديني.. بمنطقة مكناس زمن الحماية		15	**Région de Meknès**
نشرات دورية ومراسلات وتقارير عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والديني بمنطقة مراكش زمن الحماية	–	18	**Région de Marrakech**
نشرات دورية ومراسلات وتقارير عن الوضع السياسي والاقتصادي والعسكري والديني بمنطقة الدار البيضاء زمن الحماية	–	19	**Control civil de Casablanca**
الأبحاث الميدانية التي أنجزها ضباط الشؤون الأهلية حول عدة مواضيع عن المغرب والمغاربة	Microfilm 2mi	20	**Mémoire de Stages**

Tanger (A,B)	–	–	–
Fonds iconographique Maroc	–	38 20MA,202,carton photo 1-4	صور مختلفة عن فترة الحماية الفرنسية

صورة رقم 3 : فهارس أرشيف نانط حسب مصالح الجهاز الاداري للحماية (تصوير محمد الوردي، غشت 2019)



ونظرا لدور هذه المصالح بالنسبة لإدارة الحماية الفرنسية والإقامة العامة، فقد خلفت كمية هائلة من الوثائق تغطي سنوات 1912 إلى 1956 وتتنوع مواضيعها بتنوع اختصاصات كل إدارة أو مصلحة، وسنركز هنا فقط على أرشيف مديرية الشؤون الأهلية باعتبارها مصلحة مركزية، وأرشيف المناطق باعتباره أرشيفا تابعا للمصالح الإقليمية:

مديرية الشؤون الأهلية: مثلت أساس " السياسة الأهلية" (La polique des indigene) التي أنتجتها التجربة الفرنسية الاستعمارية في مغرب الحماية. تأسست بموجب ظهير 2 يونيو 1917 وأصبح الضباط الذين يزاولون نشاطهم الاستخباري والعسكري ضمن هذه المديرية يحملون اسم ضباط الشؤون الأهلية[32]، ووضعت تحت سلطتها مصلحة الاستعلامات، وظللت تشتغل إلى أن ألغيت سنة 1936 وحلت محلها مديرية الشؤون السياسية[33].

تحتوي مديرية الشؤون الأهلية بأرشيف نانط على حوالي 475 حزمة عن المغرب، وتتضمن معلومات عن كل ما له علاقة بالأهالي وخاصة القبائل والسياسة العامة المتعلقة بالقبائل المغربية في المنطقة الفرنسية، والعمليات العسكرية التي كانت القبائل مسرحا لها خلال عملية التهدئة، وكذا معطيات وبطائق الاستعلامات (Fiches de Renseinements) عن رؤساء القبائل ومواضيع أخرى ذات الصلة خلال الفترة الممتدة ما بين 1912 و 1934[34].

إن أهم ما يميز هذا الصنف طابعه السري الذي يضفي عليه نوعا من المصداقية، وطابعه الطارئ والفوري، وهو ما ينتج عنه وجهات نظر متعددة ومتناقضة تسعف الباحث في معرفة ملابسات حدث معين من زوايا نظر مختلفة، ورصد الصراعات بين الفاعلين والمساهمين في صنع أحداث المغرب زمن الحماية، والوقوف على البُنى القبلية التي أتاحت للسلطات الاستعمارية الفرنسية إمكانية اللعب على التناقضات المحلية للمجموعات والألفاف، والتحكم في مواقف الزعامات. يقول ريمي لوفو في هذا الصدد: « **فزعماء الحرب الذين نصبهم السكان لمقاومة الغزو الاستعماري ينتهون بالتعاون مع هذا الأخير، بشرط الاحتفاظ بهم على رأس قبائلهم باسم السلطان**» [35].

أرشيف الأقاليم العسكرية والمدنية: منذ سنة 1912 قسم المغرب إلى أقاليم عسكرية، وهي فاس ومكناس ومراكش، ومنذ 1919 أحدثت سلطات الحماية ثلاث أقاليم مدنية، هي: الدار البيضاء والرباط ووجدة إضافة إلى أكادير، وقد خلف موظفوا الإدارات الإقليمية (ضباط الشؤون الأهلية والمراقبون المدنيون) في هذه المناطق وثائق عدت بمآت الآلاف وغطت عهد الحماية في كل إقليم إلى غاية 1956 وإن كان أغلبها حول إلى قصر فانسن وكي دورسي بباريس، ومن أهم الأقاليم المغربية التي تزخر محفوضات نانط بوثائقها إقليم فاس ب 265 حزمة تغطي الفترة المتراوحة بين 1920 و1957، وتضم الوثائق معلومات عن

مدينة فاس، والدوائر والملحقات التابعة لها مثل تازة وتيسة وقرية با محمد وصفرو وإموزار وخنيفرة...[36].

إنها وثائق مصدرية غنية ودقيقة لتكوين فكرة عن أحداث الحماية الفرنسية سواء بالقبائل أو بالمدن المغربية، وإعطاء صورة عن الواقع المعاش في البادية والحاضرة في كل مرحلة من مراحل الحماية لكن بإعمال العقل الناقد للوثائق الأرشيفية نظرا لما يتطلبه التعاطي معها من وجوب توافر الرؤية العلمية الثاقبة، والحس التاريخي الكبير.

خاتمة

إن الأرشيف هو من المسائل الضرورية التي يجب على الفرد والجماعة والدولة تحديدا عبر مؤسستها الخاصة أو العامة أن تولِي له أهمية في إستراتيجيتها، فهو ذاكرتها ودليل استمراريتها، وهو الشاهد على جميع الأنشطة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، في واقع الفرد والجماعة المعيش، والأرشيف كما قال المؤرخ جامع بيضا – مدير أرشيف المغرب – إذن ماضٍ، تاريخ، هوية، تراث، عربون الشفافية، ويساهم في التنمية الاقتصادية للبلاد؛ فهو ضمان لاستمرارية الدولة، فتنظيمه وفاء للماضي، وتدبير معقلن للحاضر، وتطلع للمستقبل، وقد عبر عن ذلك جاك ديريدا في موضع آخر لما قال: "ليست مسألة الأرشيف متعلقة بالماضي فحسب، إنها أيضًا مسألة المستقبل، مسألة المستقبل بالتأكيد، مسألة جواب ووعد وشعور بالمسؤولية لبناء الغد"[37].

لقد صارت الحاجة اليوم إلى دراسة أرشيف تاريخ المغرب علميا وأكاديميا، وحصر أماكن تواجده في بقاع العالم واستثمار المسموح الاطلاع منه خصوصا الأرشيف الفرنسي الضخم، إلى جانب فتح آفاق جديدة للباحث الأكاديمي لضمان تنوع الرؤى والأطروحات من خلال توسيع مجال استثمار الأرشيف الوطني الموجود في العمالات والبلديات وادارت الدولة، وكذا مخلفات العهد الاستعماري لدى بعض الخواص من المغاربة كالقواد والشيوخ والأعيان والعائلات، فلم تنل هذه الوثائق بعد ما تستحق من أهمية وتمحيص لتعرض أغلبها للتلف والإهمال والإقبار المبالغ فيه أحيانا.

الهوامش:

[1] كلمة أرشيف لاتينية، أصلها: "أرشيفوم"، مشتقة من كلمة "أرخيا" في اللغة اليونانية، أي الوثائق التي تؤرخ لعائلة أو شخص أو مجموعة، وسرعان ما تحول معناها وصار يدل على مجموع الوثائق الشخصية التي يحتفظ بها شخص ما

في مكان معين، أو لدى مؤسسة معينة للرجوع إليها للاستعمال كمصدر عند الاقتضاء. وفي تعريف اصطلاحي واسع جدا للأرشيف الذي أعطاه القانون الفرنسي سنة 1979:" الأرشيف (المحفوظات) هي مجموعة الوثائق، مهما كان تاريخها، وشكلها وأوسندها المادي الذي أنتجها أو تلقاها كل شخص مادي أو معنوي أو كل دائرة أو هيئة عامة أو خاصة أثناء ممارسة الوظيفة".

Le robert :dictionnaire de la langue française, matière archives, archiviste, archivistique, p.116

رشيد البرنوسي، "**الكتابة التاريخية من الأرشيف إلى التمثيل السردي** "، ***مجلة مدارات تاريخية***، المجلد الثاني، العدد السادس، يونيو 2020، ص. 195

[2] يمنع في الأرشيف الفرنسي إتاحة أية وثيقة قبل ستين سنة على تاريخها، كي يضمن ذلك على الأقل ألا تثار أية مشكلة عند الكشف عنها، وخصوصا إذا كانت تتعلق بكشف حقيقة موقف ما كان غامضا، أو إذا كانت تؤكد تورط أحد الأطراف وأزمة شديدة تعرض لها هذا البلد أو ذاك (زينب الطحان، "**الباحثة المتخصصة في الأرشيف الفرنسي الدكتوراه ليليان زيدان: القانون الفرنسي يمنع إتاحة الوثائق قبل مرور ستين سنة على تاريخها**"، ***أرشيفو***، مركز أوال للدراسات والتوثيق، العدد 9، مارس 2018، ص.3)

[3] سالم عبود الألوسي، محمد محجوب كامل، **الأرشيف تاريخه أصنافه إدارته**، الطبعة الأولى، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979، ص. 8

[4] زينب الطحان، "**المؤرخ الدكتور أنطوان الحكيم**: أرشيف الانتداب مصدر أساسي لكتابة تاريخ لبنان في **القرن العشرين**"، ***أرشيفو***، مركز أوال للدراسات والتوثيق، 11 مارس 2019، ص.3

[5] محمد بوسلام، **الأرشيف في خدمة البحث العلمي والتنمية**، منشورات المجلس البدي لصفرو 1999، ص. 18

[6] سالم عبود الألوسي، م.س، ص. 45-49

[7] بعد استقلال الجزائر سنة 1962 نقل إلى أكس – أن – بروفانس) (Aix En Provence بين 1961-1962 مما خلق نزاعاً أرشيفياً بين الجزائر وفرنسا حول 200 ألف علبة (600 طن) من الأرشيف العائد لفترة الاستعمار بين 1830-1962، و1500 علبة من الوثائق العائدة إلى الفترة العثمانية (بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر) التي سبقت الاجتياح الاستعماري

[8] عبد القادر خليفي، "**رحلتي إلى إيكس أون بروفانس في 1913** (مركز أرشيف ما وراء البحار)"، ***مجلة عصور الجديدة***، مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر، جامعة وهران، العدد 11-12، خريف شتاء (فبراير) 2013—2014، ص. 420

[9] عبد الحميد احساين، "**المغرب في أرشيف إيكس إين بروفانس**"، ***مجلة أمل***، العدد الثالث، السنة الأولى، 1993، صص. 127-130

[10] محمد البكراوي، "**رصد وثائقي أولي حول المغرب والحرب العالمية الأولى مركز أرشيف وزارة الحربية بفانسين نموذجا**"، "، ***وثائق عهد الحماية رصد أولي***، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 57، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ص.

[11] عبد القادر بوراس، م.س، ص. 91

[12] نفسه

[13] البكراوي، م.س، ص. 72-73

[14] من أبرز المحفظات الخاصة بالتاريخ العسكري لتازة في أرشيف فانسن نذكر: 3H1479, 1537, 1538, 1616 1546, 1562, 1580, 1582, 1585,

[15] **S.H.A.T**, "**La situation en avant de Msoun juillet– décembre 1913**", opérations militaires, série 3H, Carton 1556

S.H.A.T, "**Rapport, période du 20 janvier au 20 février 1915**", 1e partir, situation politique, nouvelles, série 3H, Carton 1556

S.H.A.T, "**Télégramme officiel, colonne mobile à Taza, au résident général, Rabat, commandant général du nord Meknès, région de Fèz, subdivision Oudjda**", N° 25 B.F, Le chef de service des renseignements, Taza le 1er février 1915, série 3H, Carton 1556

S.H.A.T, "**Rapport du chef de bataillion Moucin chef de service des renseignements sur la situation politique dans le territoire de Taza; période du 15 au 24 janvier 1915**", situation politique, série 3H, Carton 1556

S.H.A.T, "**Rapport de lt– colonel Derigoin commandant le territoire de Taza à monsieur le colonel commandant de la région de Fèz**", service des rensiegements, N° 778 R, 5 aout 1915, Série 3H, Carton 1556

S.H.A.T, "**Operation toutes région 1914-1924, rapport d'operations (période du 20 juin au 1 er septembre 1914)**", Carton 3 H 586

[16] **S.H.A.T**, **La Situation politique et militaire du 10 au 16 février 1925**, la Direction des Affaires indigènes et des Renseignements, Carton 3 H 100

[17] محمد خرشيش، "**وثائق محفوظة في مراكز الأرشيف الفرنسي حول حرب الريف**"، ***وثائق عهد الحماية رصد أولي***، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 57، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ص. 59

[18] يمكن الحديث في هذا الصدد عن كل من القبطان روبير مونطاني والقبطان جوستينار الذي سمي "بالقبطان الشلح" نظير معرفته بأحوال وعوائد القبائل البربرية في الجنوب وليوطنان سييلمان المعروف بسليمان. (عبد القادر بوراس، م.س،، ص. 92)

[19] -**S.H.A.T** (Service historique de l'Armée de Terre), Château de Vincennes, Paris, "**Fiche type sur les Branès**", 1928, Carton 3 H 1629

-**S.H.A.T**, "**Notice sur les Branès**", 1934, Carton n 3 H 1629

[20] خرشيش، م.س، ،ص. 60

[21] عبد القادر بوراس، "**آفاق وحدود استثمار شباط الشؤوون الأهلية في كتابة التاريخ**"، ***وثائق عهد الحماية رصد أولي***، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 57، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ص. 106

[22] تضم هذه المحفظة على مذكرات قسم الاستعلامات الخاصة بتهريب الأسلحة والدعم الأجنبي للريفيين والتنظيمات الريفية وغيرها من المواضيع ذات الصلة خلال الفترة الممتدة من 1923 إلى 1926 (عثمان بناني، "**عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين**"، ***وثائق عهد الحماية رصد أولي***، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 57، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ص. 86

[23] البكراوي، م.س، ص. 73

[24] **S.H.A.T**, Rapports du résident sur l'action et la propagande allemande au Maroc (1914-1919) " **Lettre de ministre de la guerre à ministère de l'extérieur** ", Paris, le 19 novembre 1914, Carton 3H 108

[25] S.H.A.T, "**Littre du chef de bureau des renseignements des Branès à monsieur le colonel commandant de territoire de Taza**", opération colonne des Beni Bouyala (janvier 1916), Carton 1556

S.H.A.T, "**Rapport du capitaine Pamponneau chef de l'annexe des Tsoul, sur les opération contre les Beni Bou Yala, du 23 mai au 5 juin 1916**", a colonne de Beni bou yala (janv 1916), série 3H, Carton 1556

[26] البكراوي، م.س، ص. 61

[27] ميشال أبو نجم، "**الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي: 80 كيلومترا من المخطوطات والصور و430 وثيقة و25 ألف معاهدة**"، ***جريدة الشرق الأوسط***، العدد 11243، 9 شتنبر 2009

[28] "**Les puissances et rangers el la question marocaine, Intérêt espagnols, opération militaires au maroc, dec 1916-Dec 1919**", Direction politiaue et commercial, Ministre des affaires etrangeres, Maroc (221), Série M, Carton 11 Dossier 3, Cote: 73CPCOM

[29] بوشتى بوعسرية، "**مركز الأرشيف الديبلوماسي في مدينة نانط في فرنسا**"، ***وثائق عهد الحماية رصد أولي***، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 57، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996م، ص. 21

[30] ميشال أبو نجم، "**الأرشيف الدبلوماسي**"، م.س

[31] البكراوي، م.س، ص. 71

[32] بوراس عبد القادر، م.س، ص. 96

[33] بوعسرية، م.س، ص. 28

[34] نفسه، ص. 28

[35] بوراس عبد القادر، م.س، ص. 90

[36] بوعسرية، م.س، ص. 32

[37] جامع بيضا وآخرون، **الدليل المرجعي لتدبير الأرشيف العمومي**، أرشيف المغرب، طباعة غرافهوم، 2017، ص. 5